

AMALIA & AYATO

الملاك الأسود

THE CURSED FATE

مياري تونسي



AMALIA & AYATO

The
Black
Angel

THE CURSED FATE

MAYARA TOUNSI

الملاك الأسود

The Black Angel

Mayara Jounsi

Mayara.tn

INSTAGRAM

إلى من تجرباً على فتح هذه الصفحات،

لا أملك بحكاية ستمنحك ما تريد، فبعض الحكايات لا تُكتب بالعبر، بل بأشياء أكثر حكمة .

هنا، لا تسأل منذ البداية من كان على حق، ولا من كان يستحق النجاة؛

فقد تكون الحقيقة أكثر قسوة من الكذب، وقد يأتي الخلاص في هيئة الهلاك.

اترك يقينك عند العتبة، وادخل كما أنت ... لكن لا تتوقع أن تخرج كما دخلت.

فبعض الأبواب لا تُفتح بدافع الفضول، وبعض القصص، حين تبدأ، لا تسمع لك بالعودة كما

كنت.

لذلك، إن كنت مستعداً ... اقلب الصفحة.

الفصل الأول: طوق النجاة المسموم

لم تكن العشرين ربيعاً التي مرت من عمر "أماليا" سوى ندوب صقلها الشقاء. خمس سنوات مرت على رحيل والدتها، تركتها فيها وحيدة تقاسم العتمة مع جسد والدها الذي خانته قواه إثر حادث بناء مريع، ليصبح أسيراً لكرسي متحرك بارد. الفقر في حياتهما لم يكن مجرد عوز مالي، بل كان وحشاً ينهش كرامتهما يومياً.

في ذلك المساء، دلفت أماليا إلى منزلها البسيط بعد يوم دراسي خانق. كانت خطواتها ثقيلة كمن يجر خلفه سلاسل غير مرئية. لم تعد قادرة على التظاهر بالصلابة، فبمجرد أن أغلقت الباب، انفرط عقد دموعها الحارقة، وسالت على وجنتيها لتغسل مساحيق التعب. لمحها والدها، فتحرك بكرسيه، دافعاً عجالاته بجهد مضنٍ. أحاط كفها الصغير بقبضته الخشنة المجعدة، وسأل بنبرة يرتجف لها الوجدان:

"أخبريني يا وحيدتي.. ما الذي ينهش روحك ويكسو ملامحك بهذا السواد؟"

تمالكت نفسها، وأقسمت ألا تبكي، لكن الكلمات كانت تختنق في حنجرتها:

"الجامعة يا أبي.. طردوني اليوم من قاعة المحاضرة أمام الجميع. الديون السابقة تراكمت،

والإنذار الأخير انتهت مهلته. الأجر الزهيد الذي أتقاضاه من عملي بالمطعم لا يكفي حتى ثمن

دوائك وقوتنا اليومي، واليوم هددوني رسمياً.. إن لم أسدد قبل نهاية الأسبوع، فسيكون

السجن هو مستقري القادم."

وقع الكلمات شلّ حركة الأب تماماً. جمدت نظراته في الفراغ، سقطت يده عن كفها بضعف، وعجز لسانه عن النطق. كان الصمت في الغرفة خانقاً، أشد قسوة من الموت. رأت أماليا الرعب المكسور في عينيه، فابتلعت غصتها بسرعة، وحاولت رسم ابتسامة باهتة زائفة لتطمئنه:

"لا تقلق يا أبتى.. سأجد حلاً، بطريقة ما، سأدبر الأمر."

لم ينبس ببنت شفة، ولم تحرك له شعرة؛ ظل شاخصاً ببصره إلى الحائط كجثة تفكر. اقتربت منه أماليا، طبعت قبلة دافئة على جبينه المثقل بالهموم، ثم انسحبت إلى غرفتها. رمت بجسدها الهزيل فوق السرير، وتركت عقلها يتخبط في وادٍ من الأفكار المظلمة حتى غلّق النعاس جفניה المستسلمين.

في الصباح الموالي، استيقظت بقلب واجف. جهزت الفطور، وأيقظت والدها لتطعمه. كانت الأجواء ثقيلة، وفي منتصف الطعام، رفع عينه المكسورة نحوها ليسأل بتهديج:

"ماذا ستفعلين اليوم صغيرتي؟" أجابت وهي تحاول شحن صوتها بالقوة والتفاؤل:

"سأذهب للجامعة أولاً، ثم أباشر عملي في المطعم، وأعود عند الثامنة مساءً كالعادة."

طأطأ رأسه غارقاً في شعوره بالذنب وواصل طعامه بصمت. أنهت وجبتها بسرعة وقصّدت جامعته، وهناك.. بدأ الجحيم الحقيقي.

بمجرد أن وطئت قدمها باحة الجامعة، شعرت بالعيون تلاحقها كسهام مسمومة. الطالبات من العائلات المخملية ينظرن إليها باحتقار، يتهاMSN بضحكات مكتومة ويمسكن حقائبهن

الفاخرة وكأن وجود فتاة فقيرة مثلها يلوث المكان. وعلى الجانب الآخر، كانت هناك نظرات الشفقة اللعينة من بعض الأساتذة والطلاب؛ نظرات تعاملها كمسكينة بائسة لا تملك ثمن كتابها. ذلك المزيج بين الاحتقار والشفقة كان ينهش كرامتها، ويجعلها تشعر بأنها عارية تحت سوط نظراتهم. لم تكن تنتمي إلى هذا العالم الصاخب، فكانت جدران قاعات المحاضرات تضيق عليها حتى تكاد تخنقها.

خرجت من الجامعة متوجهة فوراً إلى المطعم حيث تعمل. ولم يكن العمل هناك أرحم؛ فصاحب المطعم، رجل غليظ القلب لا يعرف الرحمة، استقبلها بالصراخ أمام الزبائن لأنها تأخرت خمس دقائق:

"أنتِ هنا لتعملي، لسنا جمعية خيرية لتتأخري متى شئتِ! إذا تكرر هذا، سأرمي بكِ وبحقيبتكِ في الشارع، وهناك مئة فتاة بائسة تتمنى ربح أجرك!"

ابتلعت إهانتها بصمت، وانحنت لتنظف الأرضيات وتحمل مشقة طلبات الزبائن الفظة لساعات طويلة، والدموع تحرق عينيها لكنها ترفض إسقاطها. حين حانت ساعة الثامنة، غادرت المطعم والظلام قد لف المدينة بالكامل. كانت خطواتها واجفة وهي تسير في الأزقة الخالية.

وحين انهك جسدها استندت على جانب حائط وسط الظلام، مسحت وجهها بكفيها المرتجفتين، ثم همست في سرّها بنبرة يمزقها قهر عارم وموجع:

"إلى متى سأظل أجّر هذه الروح الميتة في جسدٍ يتحرك بالقصور الذاتي؟ أتعبتني الصلابة الزائفة، وأرهقني هذا الصراع اليومي لمجرد البقاء على حافة الحياة. كيف أصبحت كرامتي مشاعاً يستبيحها الجميع؛ يدنسها أصحاب النفوذ بضحكاتهم الفارهة، ويدوس عليها صاحب المطعم بصراخه، وتجلدها نظرات الشفقة المسمومة؟ لم أعد أعرف أيهما أشد إيلاماً: الفقر الذي يأكل أجسادنا، أم الذل الذي يدهس كرامتنا في كل خطوة؟ أتساءل أحياناً.. هل خلقتُ لأكون مجرد دريئة يتمرن عليها القُساة، أم أن القدر يختبر قدرتي على الانكسار دون أن أخرج صوتاً؟"

استجمعت ما تبقى من شتات قوتها، ومسحت آثار الدموع عن وجنتيها بأناملها الباردة، ثم رفعت رأسها وخطت نحو منزلها وهي ترسم على شفتيها ابتسامة متكلفة، محاولةً بكل ما أوتيت من جهد أن تدفن حطام روحها خلف قناع من الزيف.

تقدمت نحو والدها الجالس على كرسيه، وألقت بحقيبتها جانباً بنشاط مفتعل. نظر إليها بملامح تفوح بالقلق، ولاحظ فوراً ذلك النشاط الزائف في حركاتها وطريقتها، فعقد حاجبيه وسألها بنبرة متوجسة:

"ما بال هذه الحيوية غير المعتادة يا أماليا؟ أراكِ مبتهجة.. أخبريني، ما الذي حدث معكِ اليوم؟"

توترت ملامحها للحظات، لكنها سارعت بالتهرب متماسكة، وبدأت باختلاق قصص ومواقف طريفة لم تحدث قط لتصرف انتباهه؛ فحكّت له كيف أن طالباً مغروراً في كليتها

تعثر بحقيبتته وسقط أمام الجميع بشكل مضحك، وكيف تشاجر صاحب المطعم مع قطعة ضالة اقتحمت المكان. كانت تسرد تلك الأكاذيب البيضاء بصوت عالٍ ومبالغ فيه، محاولةً تشتيت نظراته الثاقبة التي كانت تخترق دفاعاتها الزائفة.

توقف الأب عن حركته، وظل يراقبها بصمت ثقيل ونظرات تفكك كل حرف تنطق به. لم تنطلي عليه تمثيليتها اللطيفة؛ فقد كان يرى وراء ابتسامتها الباهتة روحاً تنزف، وفي عينيها بحراً من الدموع المحبوسة يكاد يفجر مقلتيها.

دفع عجلات كرسيه بهدوء حتى أصبح أمامها تماماً، ثم مدّ يده وأمسك بكفها المرتجفة ليووقف حركتها الاضطرابية. أطرق رأسه قليلاً ثم رفعه إليها، وقال بنبرة حنونة وممزوقة بالأسى:

"يكفي يا أماليا.. لا تجبري روحك على الضحك بينما قلبك يحتضر. لا تكتمي دموعك ولا تحاربي حزنك لتراعي مشاعري يا بنيتي.. بكاؤك ألامي يخفف عنك، أما تصنعك للقوة فيقتلني ألف مرة. ابكي.. أخرجي هذا القهر ولا تتصنعي الصلابة لأجلي."

وما إن أنهى كلماته، حتى انهار الحصن الهش الذي بنته، وسقطت على ركبتيها أمام كرسيه، لتنفجر في بكاء هستيري مرير، واضعة رأسها على قدميه العاجزين.

وحين هدأت قليلاً حرك عجلات كرسيه ثانية متجهاً بخطوات مميتة نحو طاولة صغيرة في زاوية الغرفة. بسط يده المرتجفة وأخرج منها قصاصة ورقية مصقولة بعناية فائقة، ظلت مخبأة بين طيات كتبه القديمة.

عاد إليها، ووضع الورقة في يدها المتعركة بنبرة يملؤها العجز والحزن الشديد:

"اقرئي هذه يا أماليا.. جلبها جيلبرت الصائغ منذ أيام. إنه إعلان رسمي عن عقد عمل خادمة

في قصر الملك 'تشارلز الثاني' وأمرائه الأربعة، في مملكة 'كايدي'. العقد لعامين فقط،

وبمقابلته سيسددون كل ديونك الجامعية، مع منحك منحة كاملة في جامعة 'كايدي العالمية'

وراتب يبلغ مليون دولار شهرياً. اختيار الخادمت يتم عبر الأمراء الأربعة، وصارمة القوانين

تقضي بأن واحدة فقط ستصمد للنهاية لتنال الجائزة والحرية."

نظرت أماليا إلى الورقة بذهول، وازدادت نظراتها اندهاشاً وهي ترفع عينيها نحو والدها:

"ماذا تقول يا أبي؟! هل تريدني أن أذهب إلى هناك؟ ومن يدفع ثروة قارون شهرياً مقابل عمل

خادمة؟! هذا المكان يكتنفه الغموض والشر، ألم تسمع الشائعات المتظاولة حول ذلك

المكان؟ كيف تفكر في إرسالني إلى قصر مجهول ومريب كهذا؟"

دمعت عينا الأب واعتصرت قبضته حافة كرسيه قائلاً بنبرة يمتزج فيها الخوف الشديد

باليأس:

"أعلم يا ابنتي.. يعلم الله أن قلبي يعتصر رعباً عليك، وأن الفكرة تطعن كرامتي كأب عاجز.

لكنه الحل الوحيد والمتاح أمامنا للنجاة من السجن والشارع! إنها فرصة عمرك لتمسحي هذا

العذاب."

هزت رأسها برفض قاطع وهتفت والدموع تفيض من عينيها:

"مستحيل يا أبي! لن أترك طريح هذا الكرسي وحدك تقتلك الديون والمرض، وأذهب إلى جحيم مجهول! لن أستبدل حريتي وسلامتك بمال مشبوه، سأتحمل أي إهانة وسأجد حلاً آخر!"

قاطعها الأب متمسكاً بيديها بقوة، ونظرات التوسل تملأ عينيه:

"أرجوك يا أماليا! لا تقفي في طريق نجاة نفسك، ادعني رجائي الأخير. انظري إلى حالنا، السجن يترصد بنا، وأنا لا أملك ما أحملك به. الذهاب إلى هناك خيار مفزع، لكنه أرحم من أن أراك خلف الأغلال! اذهبي، واستغلي هذه الفرصة، واصمدي من أجل مستقبلك".

لزمت أماليا الصمت أمام توسلاته المكسورة، مدركة أن قسوة واقعهم أسود من أي مخاوف غامضة قد تواجهها. سحب رأسها برفق ووضعها على صدره، وظل يداعب خصلات شعرها بنعومة حتى استسلمت للنوم بين يديه من فرط البكاء والتعب.

مع شروق شمس اليوم التالي، فتحت أماليا عينيها لتجد نفسها لا تزال نائمة في أحضان والدها الدافئة. أيقظته برفق، وجهزت الفطور، وجلست تطعمه بيديها. بعد أن تناول ملعقتين فقط، أمسك كفها فجأة، وانفجر باكياً بحرقة مريرة هزت كيانه:

"أماليا.. أنا آسف يا ابنتي. آسف حقاً على كل شيء حدث.. وعلى كل سوء سيحدث لك بسبب عجزى وفقرى".

انهمرت دموعها هي الأخرى، وأطبقت على يده بقوة:

"لا تقل هذا يا أبي، دموعك تقتلني".

كفكف دموعه بصعوبة وقال بنبرة وداع تفتّر القلوب: "حان وقت الفراق إذن؟.. رافقتك السلامة أينما حلت خطاك."

"عن أي فراق تتحدث؟ كلها عامان فقط.. سأعود إليك محملة بالمال، وسنعيش في رغد ونسى هذا العذاب. لقد وعدتك، وسأفي بوعدتي."

دخلت غرفتها بخطوات مرتعشة، وقفت أمام مكتبها، تحقّق في تلك الورقة اللامعة بين يديها، شعرت ببرودة ثلجية تسري في عظامها. همست في سرّها بصوت مكسور تخنقه العبرات:

"كيف وصلت بنا الدناءة والفاقة إلى هذا الحد؟ أل هذه الدرجة أصبحت كرامتي وهواني وسيلتنا الوحيدة للبقاء على قيد الحياة؟ يُباع شبّابي وأحلامي في مزاد القصور الملعونة تحت مسمى 'النجاة'، وأنا أقف هنا عاجزة، أختار بين جحيم أجهله أو قاع يدهسنا بلا رحمة. أتراني خلقتُ لأكون مجرد قربان يُقدّم لآلهة الفقر كي لا ينكسر أبي، أم أن الحياة أتقنت سلب أرواحنا قبل أن تجرّو على أخذ أجسادنا؟"

جمعت ثيابها القليلة البالية في حقيبة صغيرة وحانت لحظة الخروج، عانقت والدها عناقاً طويلاً كأنها تودع حياتها السابقة بالكامل. مسح على وجهها بيده المرتجفة قائلاً: "انتظريني لحظة."

حرك عجلات كرسيه متجهاً نحو غرفته، استغرق دقيقتين بدتا كأنهما دهر، ثم خرج وبسط يدها، وضع فيها مبلغاً متواضعاً وزهيداً من المال:

"ستحتاجين بعض المال للمواصلات.. هذا كل ما استطعت ادخاره وتخبيئته من أجلك يا ابنتي، أعلم أنه لا شيء، لكنني أصر أن تأخذه."

حاولت إعادة المال وعبراتها تخنقها: "لكن معي ما يكفي من أجرتي الأخيرة يا أبي، دعه معك لتشتري دوائك." أصر بصوت حازم ومكسور: "بل ستأخذه.. هيا اذهبي!"

طبعت قبلة أخيرة على وجنته المالحة وخرجت مسرعة، مغلقة الباب خلفها. وفي تلك اللحظة بالذات، انهار الأب بالداخل مسترسلاً في بكاء ونحيب عالٍ وصراخ ممرق، تغلغل صوته عبر شقوق الخشب ليخترق صدرها بالخارج، فازدادت حُرقتها وركضت وهي تبكي. مشيت خطوات قليلة نحو منزل جارتهم، طرقت الباب بعجلة. خرجت الفتاة، وتفاجأت بملامح أماليا المنهارة:

"أماليا! ما الأمر؟ ولماذا تبكين بهذه الحرقعة وحقيبتك معك؟" أمسكت أماليا يدها وضغطت عليها بقوة:

"اسمعي يا ميرندا، سأذهب للعمل في مكان بعيد جداً، وسأغيب لسنتين كاملتين. خذي هذا المال.. وأرجوك، اعتني بأبي، لا تتركه وحيداً، تفقديه كل يوم رجاءً، وحين أعود من سفري سأكافئك بكل تأكيد" ودست في يدها المال الذي أعطها إياه والدها.

نظرت ميرندا إلى المال ثم إلى جارتها الباكية، وقالت بوجل وجدية: "لا تقلقي يا أماليا، والدك في أمانتي كأنه أبي تماماً. اعتني بنفسك وعودي سالمة."

عانقتها أماليا بامتنان، ثم ركضت نحو الشارع الرئيسي وأشارت لسيارة أجرة. صعدت في المقعد الخلفي، ونظرت إلى السائق عبر المرأة وقالت بنبرة حاولت جعلها حاسمة:

"خذني إلى قصر الملك تشارلز بكايدي."

تصلبت يد السائق على عجلة القيادة فجأة، والتفت نحوها بملامح شاحبة ومصدومة:

"هل أنت في كامل قواك العقلية يا آنسة؟! أتريدين الذهاب حقاً وإيرادتكِ إلى ذلك الوكر الملعون؟"

استغربت أماليا من ردة فعله المرعبة وسألته بوجل: "أجل، وما الغريب؟ أنا ذاهبة للعمل هناك. ماذا تعرف عن ذلك القصر؟"

ارتبك السائق، وتصبب جبينه عرقاً، ثم أعاد نظره إلى الطريق وهو يضغط على البنزين متمتماً بخوف: "ليس من شأني.. مهمتي هي إيصالكِ إلى الحواف الخارجية فقط، لا أكثر. أنا لا أتدخل في غير شؤوني."

تابعت أماليا بقلق ينهش صدرها: "حسناً.. أسرع إذًا."

بعد رحلة طويلة ومرعبة غابت فيها معالم الحياة والمدينة، توقفت السيارة فجأة وسط غابة كثيفة ملتفة الأشجار بشكل مريب، حيث كانت الأغصان تحجب ضوء الشمس تماماً كأنها ترحب بالظلام الصرف. التفت السائق ونبرته جافة ومرتجفة:

"أجرتكِ دولارين. انزلي هنا."

نظرت أماليا حولها عبر النوافذ المتسخة، ولم تر سوى الأشجار العملاقة والضباب الكثيف الذي يلف المكان، فقالت بنبرة متوجسة:

"آسفة.. ولكن أظنني بلهاء؟ أين القصر؟ أنا لا أرى شيئاً سوى الأحرار والأشجار!"

ابتلع السائق ريقه وصوته يكاد يختفي: "أنا هو الآسف يا آنسة.. لكنني لن أتقدم خطوة

واحدة إضافية للأمام. التقدم بسيارتي هنا ممنوع.. بل ومميت لأي بشري."

ضاقت عيناها وقالت تحارب الرعب الذي بدأ يتسلل لقلبها:

"لا تقل ممنوع.. بل أنت مرتعد وخائف! ملامحك تغيرت منذ أن سمعت اسم القصر. أخبرني

ماذا هناك؟ لماذا أنت مرتعب حتى آخذ حذري وأعلم إلى أين تسير قدمي؟"

مد السائق يده بتوتر وقلق شديد: "هاتي المال وانزلي من فضلك، ليس لدي وقت لأقضيه

على حافة الجحيم!"

تنهدت بعجز، أخرجت الدولارين وأعطتها له، ثم فتحت الباب وترجلت وهي تمسك

حقيبتها بإحكام شديد: "على الأقل.. دلي على الطريق حتى لا أضيع في هذه المتاهة

المظلمة."

أشار بسبّابته المرتعشة نحو ممر ترابي ضيق ووعر يمتد بين الأشجار المتشابكة السوداء

وقال:

"استمري في المشي للأمام دائماً، إياك، وإياك أن تنعطي يميناً أو يساراً. سيظهر لك القصر من بعيد كخيال عظيم.. اتبعي الطريق حتى تصلي إلى بوابته الضخمة. هذا كل ما يمكنني فعله لك.. وعسى أن تخرجي سالمة."

قبل أن تنطق بكلمة واحدة، استدارت السيارة بسرعة جنونية مخلفة وراءها غباراً كثيفاً ورائحة إطارات محترقة، تاركة أماليا وحيدة تماماً وسط صمت الغابة الخانق والمريب، تتقدم بخطوات واجفة نحو مصيرها المجهول...

الفصل الثاني: البوابة السوداء

مالت الشمس للمغيب، وتلاشت أسراب الضباب الهاربة تحت ثقل الظلمة، وقفت "أماليا" في الممر التراي الوعر تستحث قدميها المجهدين. كانت أسطح القصر تتراءى من بين أغصان الأشجار الملتوية كأنها مخالب حجرية تجرح صدر السماء. لم تكن الصروح العظيمة تخيفها، بل ذلك الصمت الخانق الذي يغلف الهيكل الرخامي الأسود. ركضت وما تبقى في رئتيها من أنفاس يئن تحت وطأة الخوف والأمل، حتى بلغت السور الحديدي العالي.

كانت القضبان مدببة كالرمح، تنزف رطوبة باردة. أطبقت أناملها المرتجفة على الحديد وصرخت، وتوسلاتها تتكسر على الجدران الصماء:

"هل من أحد هنا؟ افتحوا لي الباب.. أرجوكم!"

تأوه الحديد بصوت مقتضب، وانفجرت البوابة الضخمة ببطء مصحوبة بصرير معدني حاد. أطل من العتمة جسد عملاق؛ حارس يتلفع بسواد تام، تتسع كتفاه لتمحوا الضوء خلفه، وكانت ببؤفة عينيه تعكس بريقاً جافاً خالياً من أي انفعال بشري. حدجها بنظرة ثقيلة وجردها بصوته النحاسي الخشن:

"ماذا تبغين في هذه الساعة أيتها الأنسة؟"

رفعت أماليا رأسها بالكامل، تبتلع الغصة التي ازدادت ثقلًا في حلقها:

"أنا.. أنا هنا من أجل إعلان العمل. أتيت للمقابلة."

"عودي أدراجك، العائلة المالكة لا تستقبل أحداً الليلة" قالها وجاهزية المغادرة ترتسم في جسده الضخم وهو يهم بإغلاق البوابة.

دفعت أماليا بكفيها الصغيرتين حافة البوابة بحركة يائسة، ونبرتها تتأرجح بين الإنهاك والتوسل:

"لن أعود! لقد قطعت طريقاً مميتاً، وأقدامي لم تعد تحملني، ولا أملك فلساً واحداً للعودة. دعني أنتظر في ساحة القصر فقط، لن أزعج أحداً!"

مال الحارس برأسه قليلاً، وانخفض نبر صوته لتبدو كوعيد مكتوم:

"البقاء هنا ممنوع، والبوابات تسد في وجه الغرباء عند هبوط الليل. غادري فوراً قبل أن أضطر لإبعادك بالقوة."

مسحت أماليا عرقاً بارداً خالطه غبار الطريق على جبهتها، واستندت بظهرها إلى الحائط الحجري المصقول، ثم ألقيت بحقيبتها القماشية البالية على الأرض وجلست فوقها بخور تام، وهتفت بنبرة مبجوحة:

"تصرف كما تشاء.. لن أتحرك قيد أنملة. ألا يوجد في صدرك قلب ينبض؟ ألسنا جميعاً بشراً نلتمس النجاة؟ اضطجع أنت في دِفئك واطركني أنا هنا... على الحافة."

توقف الحارس، وجلس يراقب ثباتها البائس. علت وجهه سيماء الحيرة قبل أن يزعم شفثيه ببرود:

"ستسببين في عقابي أيها العنيدة.. ومقابلتك لن تكون الليلة على أي حال. الإعلان يبدأ مع تباشير الصباح."

اتسعت عيناها بذهول ممتزج بالخيبة:

"غداً؟! يا لللعنة.. أين سأقضي هذه الليلة المظلمة إذن؟"

قبل أن يرتد صدى كلماتها، اهتزت أوراق الأشجار العتيقة خلفهما، واخترق الظلام شعاعان أصفران حادان. اقتربت سيارة سوداء فارهة، محركها يزمجر بهدير مكتوم يشبه زمجرة مفترس يحبس أنفاسه. انفتحت البوابة على مصراعيها تلقائياً، وتراجع الحارس خطوات إلى الخلف منحنيًا بزاوية حادة.

توقفت السيارة بجانب أماليا تماماً. انخفض الزجاج الداكن للنافذة الخلفية ببطء إلكتروني انسيابي، ليظهر من خلاله نصف وجه منحوت بصرامة غريبة. كانت بشرته شديدة الشحوب، تتوهج تحت الضوء الخافت بمسحة زبرجدية باهتة، لكن ما جمّد الدماء في عروق أماليا كان عينيه؛ حزقتان عسليتان تشعان ببريق ناري غير طبيعي، تحيطان ببؤبؤ مقطب كأنه عين صقر يرصد فريسته.

"من هذه آرثر؟" خرج الصوت رخيماً، عميقاً، فيه بحة صقيعية تصيب الجسد بقشعريرة لا إرادية.

انحنى الحارس أكثر وقال بنبرة طائفة: "فتاة جاءت من أجل طلب الخدمة يا سيدي."

لم تتحرك حدقتا الأمير العسليتان عن وجه أماليا المصدوم، تفرست ملامحها لثوانٍ بدت كأنها دهر، قبل أن يميل برأسه للداخل ويقول بجفاف:

"أدخلها، وخصص لها حجرة في الجناح السفلي حتى الصباح."

تحركت السيارة نحو الداخل وانزلقت في أعماق العتمة. ظلت أماليا شاخصة في أثرها، تنفسها متقطع، ويدها تعصران طرف معطفها.

"هيا استجمعي شتاتكِ واتبعيني"، قال آرثر بنبرة أقل حسمية.

سارت خلفه عبر ممرات رخامية شاهقة، تحفها تماثيل حجرية قاتمة وشمعدانات ضخمة تلقي بظلال متراقصة على الجدران. اقتادها إلى حجرة صغيرة ذات أثاث خردى بسيط، لكنها دافئة.

"اقبعي هنا ولا تطئي بقدمك خارج الباب طوال الليل. القوانين هنا لا ترحم العابثين، هل فهمتِ؟" حدجها بنظرة حازمة ثم أغلق الباب الخشبي الثقيل، لتسمع صوت أقفال متعددة تطبق من الخارج.

رمت أماليا بجسدها على السرير البارد، تحاول استيعاب النبذة النارية التي تحدّث بها ذلك الأمير، والعينين اللتين لم ترَ لهما نظيراً في حياتها، حتى غلبتها السلسلة المجعدة من الذكريات وسقطت في نوم ثقيل خالٍ من الأحلام.

مع انبثاق الفجر، أيقظتها أصوات جلبة واهتزازات مكتومة ترتج لها الجدران. ارتدت معطفها المستهلك بخطوات متسارعة وخرجت عبر الباب الذي وجدته موارباً. قادت الممرات العريضة تلقائياً نحو البهو الرئيسي للقصر.

توقفت أماليا عند أعتاب القاعة العظمى، والجام بصرها ذهول عارم. قاعة واسعة كساحة مدينة، سقفها الشاهق مزخرف بلوحات دينية قاتمة، وتزدحم بداخلها مئات الفتيات؛ كأنهن سيل المتوسلين. يتصاعد من بينهن همس مضطرب كإزيز النحل.

تسللت أماليا بين الصفوف المترصفة، ووقفت بجوار فتاة تعتصر يدها بتوتر، اقتربت منها وسألتها بصوت خفيض:

"صباح الخير.. هل كل هؤلاء هنا من أجل التقدم للوظيفة؟"

التفت إليها الفتاة بعينين متسعيتين أرهقهما الأرق: "نعم.. الجميع ينتظر وصول العائلة المالكة."

وفجأة، قطعت تلك الشوشرة هبة هواء باردة انبعثت من عمق القاعة، وساد صمت ثقيل ومطبق، حتى صار صوت التنفس مسموعاً. تراجعت الأجساد وانقسم الفتيات إلى صفين حادين.

من منصة الرخام المرتفعة، تقدم رجل طاعن في السن، يرتدي عباءة مخملية سوداء مطرزة بأسلاك الفضة. لم تكن شيخوخته وهناً؛ بل تمثالاً من الجليد الصلب، بشرته شمعية بيضاء

كالملايس الجنائزية، وعيناه غائرتان كأنها تجوفان من العتمة. جلس على عرش ضخم مشكل من الفولاذ الأسود.

وعن جانبيه، تقدم أربعة أمراء بخطوات موزونة لا تحدث صوتاً على الرخام. تحجرت أماليا في مكانها وهي تتأمل أشكالهم: لا ينتمون للبشر بصلاية ملامحهم، وجلودهم ذات اللمعة الزرقاء الباردة كجليد القطب، وعيونهم التي تتوهج بألوان غير مألوفة تحت الضوء. جلس اثنان عن يمينه واثنان عن يساره.

بدأت الفتيات بالتقدم واحدة تلو الأخرى صوب المنصة لتحديد الهوية والدافع. كانت الحركة تسير بألية حاسمة باردة.

انحنت أماليا على الفتاة التي تقف خلفها، وسألتها بهمس مرتجف:

"عفواً.. كيف ستم الاختيارات؟ وماذا سيحدث لمن لم يقع عليهن الاختيار؟ هل نعود للديار؟"

تسمرت الفتاة في مكانها، وتطلعت إلى أماليا بنظرة يمتزج فيها الدهول بالشفقة الساخرة:

"هل أنتِ بملء قواك؟ ألم تقرئي البنود المكتوبة بالدم في أسفل الإعلان؟"

تصلب ظهر أماليا: "عن ماذا تتحدثين؟"

اقتربت الفتاة أكثر، واعتصرت حافة رداء أماليا وهي تهمس بحذر شديد:

"البقية سيُبادون ليلتهم.. هذا ليس قصرًا نبيلًا، هذه قلعة 'كايدي'.. معقل مصاصي الدماء!

لا أحد يطاق أرضهم ويخرج بأسرارهم حيًّا!"

هوت الكلمات على رأس أماليا كالمطرقة. تجمعت غيمة سوداء أمام عينيها، وضربت دقات قلبها في أذنيها بصيرير مرعب. تجمعت الصور في ذهنها كالبرق: ذعر سائق سيارة الأجرة، تحذيرات والدها المكسورة، نظرات الأمير العسلي المرعبة، وشحوب أجساد الحراس. أدركت في تلك اللحظة القاتلة أنها لم تطرق باب فرصة عمل.. بل خطت بقدميها إلى مسلخ سحري محتوم.

"التالية!" جاء الصوت الحاد من أعتاب العرش ليقطع ذهولها.

وجدت أماليا نفسها واقفة في مقدمة الصف، تحت أضواء الثريات الشاهقة، وعيون العائلة الملعونة تتركز عليها بالكامل. جف حلقها، وشعرت أن قدميها غروتا في الرخام. ساد القاعة صمت متوتر متسائل عن سبب جمودها.

دارت الأفكار في رأسها كالدوامة: (إن أظهرت خوفي سأباد فوراً كحشرة.. لا خيار لي سوى الصمود والحصول على العقد، من أجل ديوني، من أجل أبي!)

استجمعت أماليا كل ذرة تجلد في جسدها، رفعت رأسها وثبتت نظراتها بثبات مصطنع، وهتفت بصوتٍ جهوري اخترق الصمت المخيف:

"أنا أماليا.. في العشرين من عمري، من مقاطعة 'مارين فورد'. أجمع بين الدراسة والعمل لأعيل والدي المقعد بعد رحيل أمي. جئتُ لأنتزع هذه الفرصة، لأمسح عن والدي عار الديون، ولأنتسب لجامعة كايدي.. جئتُ لأصمد، ولن أغادر هنا إلا حية بالعقد!"

أحدثت نبرتها الجريئة وقصتها الصريحة هممة خفيفة بين الحضور. أوماً الملك رأسه إيماءة باردة لا تفي بأي انطباع، مائلاً بيده للتالية.

وفي طريق تراجعها بخطوات واجفة، اصطدمت حدقتها بعينين توهجتا بلون أخضر زمردى شعاعى. كان أحد الأمراء يجلس مستنداً بذقنه على قبضته، بشرته شاحبة بزرقة باهتة كالمتوفين حديثاً، وملامحه حادة كالسيف. كانت عيناه الخضراوان تتفرسان أماليا بدقة متناهية، ثم ارتفعت زاوية شفتيه عن ابتسامة جانبية غامضة، تنم عن تسلية مفترسة، قبل أن يحول نظره ببساطة نحو الفتاة التالية.

تنفست أماليا الصعداء برعب، وهي تشعر بأثر تلك الابتسامة يقطع أنفاسها. مالت صوب الفتاة المجاورة لها وسألتها بهمس مبجوح:

"من.. من يكون ذاك صاحب العينين الخضراوين؟"

أجابتها الأخرى دون أن تحرك رأسها: "إنه الأمير الثانى.. آياتو."

انتهت الطواير الحاشدة، واصطففت مئات الفتيات في انتظار اللحظة الحاسمة؛ اللحظة التي سيتحدد فيها من ستمنح طوق النجاة المسموم..

الفصل الثالث: الميثاق الأحمر

ساد القاعة العظمى صمتٌ جائئٌ أثقل من الصخر، وشخصت عيون مئات الفتيات نحو العرش الرخامي الشاهق. خيم الخوف المكتوم على الأنفاس حتى كادت دقات القلوب المذعورة تسمع من بين الجدران.

تنحى الملك الطاعن في السن، وصدر صوته جافاً، حاداً كحد السيف، يتردد صدها بين الثريات الزجاجية الشاهقة:

"بعد أن استمعنا لكل المتطلبات، سيتولى أمراي اختيار أربع فتيات فقط لينضممن إلى خدمة القصر.. أما البقيات اللواتي لم يقع عليهن الاختيار، فستذهبن فوراً إلى حيث قُرّر في بنود العقد المكتوبة بالدم..."

هوت الكلمات على الحضور كالصاعقة؛ تعالت شهقات مخنوقة، وانهمرت دموع صامتة على وجوه أكلها الشحوب والذعر. لم يكن هناك مجال للتراجع أو الرحمة.

في تلك اللحظة، ارتفع جسد الأمير الأكبر، إيرنست، تحيط به هالة من الهيبة القاسية. جرد الفتيات بنظرة عسلية حادة كإيقاع السيف، وصوته الرخيم يتردد بين جدران القاعة العظمى:

"بعد أن استمعْتُ للمتطلبات جميعاً، وبحكم موقعي كولي للعهد، وقع اختياري على الأولى.. وستكون: فيولا."

في تلك اللحظة، ارتهن نفس فتاة تسير بخطى مرتعشة، وشخصت عيناها قبل أن تسقط جثة هامدة على الرخام من هول الفرحة والذهول. تبادل حارسان ضخمان نظرة سريعة، ثم سحباً جسدها المغمى عليه ببرود ودخلا بها خلف ستارة مخملية سوداء. ساد القاعة رعب خانق، وانكملت الأجساد المترصفة؛ فلم تتبق سوى ثلاث فرص فقط للنجاة من الإبادة الجماعية التي تنتظر البقية.

عاد إيرنست إلى عرشه الشاهق، بينما ارتفع جسد الأمير الثاني، آياتو. كانت بشرته الشمعية تشع ببرودة أزوردية، وعيناه الخضراوان تلمعان ببريق مفترس. مسح الصفوف بابتسامة خفيفة تظهر طرف نابه الأيمن، وقال بنبرة هادئة تتخللها بحة واثقة:

"بصفتي الأمير الثاني للمملكة.. سأختار خادمتي، وستكون: لونار."

تعالى صرخة قاطعة من وسط الطابور، وقفزت فتاة شاحبة أجهشت بالبكاء، واختلطت ضحكاتها الهستيرية بعبرات انسكبت على وجنتيها، قبل أن يقتادها الحراس إلى الداخل.

في تلك اللحظة، هوى قلب أماليا في قاع مظلم. شعرت ببرودة ثلجية تجمد عروقها؛ فقد اختار آياتو غيرها، وتلاشت ابتسامته اللعوبة الزائفة التي ظنتها طوق نجاة. بدأت أفكار الموت تتزاحم في رأسها، وتخيلت كيف ستُساق مع مئات الفتيات إلى المسلخ عند هبوط الليل.

استقر آياتو في مقعده، ووقف الأمير الثالث، رايتو، مبتسماً بتهكم وهو يجرد ما تبقى من الوجوه الصفراء:

"الأمير الثالث يختار.. نتاليا."

شهقت نتاليا واندفعت نحو الأمام بدموع جارفة، وكأنها بُعثت من الموت. لم يتبقَّ في القاعة الكبيرة سوى أماليا وجيش من الفتيات اللواتي تحولت وجوههن إلى أشباح تقف على أعتاب الحافة.

تراجع رايتو، وقام الأمير الرابع، والتر، ذو الملامح الحادة والعيون النارية:

"بصفتي الأمير الرابع، فإن اختياري يقع على..."

توقف والتر فجأة؛ فقد مال إيرنست نحو أذنه، وهمس له بكلمات سريعة لم تلتقط أماليا منها سوى بريق العينين العسليتين الموجهتين نحوها. عاد والتر لإعتداله، وارتفعت زاوية شفته:

"... وستكون: أماليا."

هوت أماليا على ركبتيها فوراً فوق الرخام الصارد. اعتصرت يديها صدرها، وتزاحمت في حنجرتها غصة جمعت بين صدمة النجاة ورعب المصير المجهول. انقض حارسان عليها وأقاماها من ساعديها لينقلاها بعيداً عن صرخات الذعر التي بدأت تتصاعد من الفتيات المتروكات خلف البوابات المغلقة.

أدخلت أماليا إلى قاعة أخرى شاهقة، تنبعث منها رائحة البخور الثقيل وورق الورد المجفف. وقفت الفتيات الأربع جنباً إلى جنب أمام العرش الملكي. كانت نظرات أماليا تائهة تتجه

تلقائياً نحو آياتو، الذي كان يراقبها بحدقتيه الخضراوين بثبات مرعب، وكأنه يدرس فريسة خاضت للتو أول المتاهة.

تنحج الملك، وصوته القادم من عمق العرش الرخامي يشبه انكسار الجليد:

"لا تظن واحدة منكن أن اجتياز الخطوة الأولى يعني الظفر بالنجاة والجائزة. المرحلة الحقيقية تبدأ الآن: صمودكّن ثابتاً وعلى قيد الحياة هو الاختيار الفعلي. غيرن ملابسكّن، فالعمل يبدأ الليلة."

اقتادهن الحراس إلى حجرة بديلة كُست جدرانها بالخشب القاتم، ووُضعت على طاولة طويلة أربعة أطقم من ملابس الخدم المكونة من أثواب سوداء وياقات بيضاء صارمة. فور إغلاق الباب، التفتت "فيولا" برأسها المرفوع وغرور لم تمحه فترة إغمائها:

"مسكينات أنتن.. أظننتن أن لديكن فرصة معي؟ اختارني ولي العهد بنفسه، واحفظن هذا الاسم جيداً: فيولا ستكون الملكة المستقبلية لـ 'كايدي'."

قاطعتها نتاليا وهي تضبط ياقة ثوبها بصوت متوتر: "لكن رايتو هو المفضل لدى الملك، واختياره لي لم يكن عبثاً! ربما أكون أنا الملكة."

ضحكت لونار بصوت ساخر قاطع، وقالت وهي تعدل خصلات شعرها: "هههههه! أفيقا من هذا الوهم البائس! أظننتما أنهما اختاراكما للزواج؟ نحن مجرد خادمت هنا، وأي حلم أبعد من هذا سيكلفكما حياتكما."

قبل أن يرتد صدى كلماتها، طرق الحارس الباب بقسوة: "انتهى الوقت، اخرجن!"

خرجن في صف متناسق. كانت أماليا تتخلف بخطوات، وعقلها يسترجع هيئة "إيرنست"؛ ذلك الأمير الذي أفسح لها مكاناً دافئاً في ليلتها الأولى ووفر لها مكاناً بينهم عن طريق التأثير على الأمير الأصغر، متسائلة إن كان يخبئ خلف تلك النبوة العسلية شفقاً أم غدراً. وصلت الفتيات الأربع إلى قاعة الطعام الشاسعة. كانت المائدة الطويلة تنوء بأطباق الفضة، والملك يجلس عند رأسها وحوله أبنائوه الأربعة.

التفت رايتو (الأمير الثالث) بجمود نحو نتاليا وقال بصوت جاف: "كأس ماء." أسرع نتاليا متلعثمة نحو المطبخ، وعادت تحت الخطى وهي تحمل كؤوساً بلورية على طبق فضي. وقبل أن تضع الكأس أمامه بإنش واحد، مد رايتو ساقه بطريقة خاطفة. تعثرت القدم النحيفة بالثوب المنسدل، وسقط الطبق ليرتشق الماء بحدة على صدر الأمير آياتو. نهض آياتو فوراً، وانفجر هادراً بنبرة قاطعة جعلت الثريات الزجاجية تهتز: "خذوا هذه الرعناء من أمامي حالا!"

في أقل من ثانية، انقض حارسان على نتاليا المذعورة وسحباها للخلف وهي تصرخ وتتوسل. نظر الملك إلى مائدته ببرود متناهٍ وقال بأسى مصطنع: "تبقت ثلاث فتيات." لمحت أماليا بطرف عينها حركة سريعة؛ تبادل آياتو ورايتو غمزة خاطفة وابتسامة خبيثة لم تدم إلا كرمشة عين. لقد كان فخاً مدبراً بدقة لإقصاء الفتاة الأولى دون جهد.

مع هبوط الظلام الكامل، صعدت الفتيات الثلاث إلى جناح الخدم، ودخلت كل واحدة حجرتها المخصصة.

ارتمت أماليا على الفراش البارد، تحديق في السقف الخشبي المتشقق. كانت صدمة المشهد لا تزال تتردد في ذهنها (يا لهما من خبيثين! كل شيء كان مرتباً لإسقاط تلك المسكينة.. يجب أن

أكون حذرة للغاية، الفخ القادم قد يوضع تحت قدمي مباشرة.)

وفجأة، شعرت بأثير بارد يخترق عتمة الغرفة، ونفسي ثقيل يقترب من خلفها. استدارت

بذعر، لتجد الأمير الأكبر إيرنست يتقدم بخطوات صامتة كالظل.

نهضت أماليا مرتعشة، وتراجعت حتى التصقت بالحائط، وقالت بصوت متلعثم يحاول

إخفاء الخوف:

"..سيدي! كيف دخلت إلى هنا؟ وماذا تريد في هذه الساعة؟"

لم يجبها إيرنست. خطا نحو سريرها بهدوء، وأزاح الغطاء وجلس عليه متهيئاً للنوم بجسد

ثابت كأن المكان ملكه.

ضاقت عينا أماليا، واشتعلت بداخلها موجة قهر: (حتى لو كان ولي العهد، وحتى لو كان

مصاص دماء.. لن يسمح له هذا باقتحام خلوتي والدوس على كرامتي!)

ثم تنبعت فوراً لشرك أشد قسوة: إن بقيت معه في الحجرة، سأتهم بتدنيس القوانين وتُطرد

فوراً.

بلعت غصتها، وطأطأت رأسها بجفاء متماسك:

"سموك.. أستسمحك عذراً، لا يمكنني البقاء في حجرة ينام بها ولي العهد. سأغادر القاعة."

تحرك إيرنست بهدوء، وأبعد الغطاء عنه، ثم مد يده إلى جيبه وأخرج مفتاحاً نحاسياً ثقيلاً،
ورماه نحوها لتلتقطه بصعوبة:

"إذن، هذا مفتاح جناح الشرف الخاص بي.. اذهبي ونامي هناك الليلة." ختم كلماته بابتسامة
دقيقة حملت استخفافاً واضحاً.

قلبت أماليا المفتاح بين أناملها الباردة، وفكرت بسرعة: (تظن أنني سأقع في الفخ؟ لو دخلت
جناحك سيتهمونني بالتسلل!)

انحنت بزاوية خفيفة وقالت: "شكراً لكرمك سموك."

خرجت من الحجرة، وأغلقت الباب الخشبي الثقيل خلفها. وقفت في الممر القاتم، تتأمل
المفتاح ثم ألقت به جانباً على رف قديم. انكمشت على نفسها عند عتبة باب غرفتها المغلق
من الداخل، ولفت ثوبها الأسود حول جسدها، لتقضي ليلتها كاملة نائمة على الأرضية
الرخامية الباردة.

مع بزوغ أول شعاع فجر أبيض عبر النوافذ العالية، انفتح باب الغرفة فجأة. خرج إيرنست
وهو يرتب ياقته الفاخرة، وعلى وجهه ملامح تربص واثقة لعدم وجودها، لكن قدمه تعثرت
بكثف أماليا الرابضة عند العتبة.

استقامت أماليا فوراً، ومسحت عينيها المجهدتين بثبات، ثم قالت بنبرة حملت تحدٍ هادئ:

"صباح الخير يا ولي العهد.. أتمنى أنك نمت جيداً في حجرتي الصغيرة."

اتسعت عينا إيرنست باستغراب واضطراب مكتوم: "هل بقيت هنا طوال الليل؟"

ابتسمت أماليا ابتسامة خفيفة، وأمسكت بيده الثلجية لتضع فيها المفتاح النحاسي:

"بالتأكيد.. لا يحق لخادمة مثلي أن تطأ جناح ولي العهد. أتمنى لك يوماً طيباً سموك."

جمدت ملامح إيرنست، وانقبض فكه بغضب مكتوم، ثم استدار ومضى بخطوات سريعة دون أن ينبس ببنت شفة.

دخلت أماليا غرفتها، غسلت وجهها بالماء البارد، وغيرت ثوبها، ثم توجهت نحو قاعة الطعام. وهناك، وجدت الملك وأمراءه الأربعة، لكن المائدة لم تكن تضم سوى فتاة واحدة فقط من زميلاتهما.

اقتربت أماليا من لونار وهست لها بقلق: "أين فيولا؟ كنا ثلاثاً أمس!"

ردت لونار بنبرة باردة وهي تعدل طبقها: "وقعت في الفخ الليلة الماضية على ما يبدو.. لا بد أنها أصبحت رماداً الآن. كانت مغرورة وظنت أن اختيار ولي العهد لها يمنحها الحصانة." ثم التفتت إلى أماليا بحدة: "لم نتبق سوى أنا وأنت.. أنتِ اختارك والتر وأنا آياتو. أنصحكِ ألا نتظاهر بالصدقة؛ فالنهاية لن تتسع إلا لواحدة، ولا أريد أن أحزن على رحيلكِ." ردت أماليا بثبات: "ربما لن أكون أنا من يرحل يا لونار.. لا تفرطي في الثقة كي لا تلحقي بفيولا."

انقطع حديثهما حين رفع الأمير الرابع، والتر، عينيه النارييتين نحو أماليا وقال بجفاف: "أحضري لي كأس ماء."

دخلت أماليا المطبخ، وقلبها يخفق بحدة: /لا بد أنهم سيعيدون الحيلة نفسها.. سيمدون أقدامهم ليتعثر الطبق وسأسكب الماء على أحدهم. يجب أن أسبقهم برقعة واحدة!) فتحت الأدراج الخشبية بسرعة تبحث عن حيلة، حتى وقعت عينها على بكرة لاصق قماشي عريض يُستخدم لتغليف الطرود. ابتسمت بدهاء، وأحضرت طبقاً فضياً مسطحاً، وقامت بتثبيت القارورة الزجاجية والكأس الفارغ على الطبق بقطع صغيرة من اللاصق المتين من القاع، ثم كست الطبق بمنديل حريري يخفي الأطراف.

خرجت تثبت خطواتها. كانت تسير بحذر شديد، وعندما اقتربت من مائدة والتر، أخرج آياتو قدمه بلمحة خاطفة ليعثرها. بالفعل، التوت قدم أماليا، ومال جسدها نحو الأمام، لكن الطبق انقلب في يدها دون أن تسقط القارورة أو يتحرك الكأس الملتصق!

استعادت توازنها فوراً وسط دهشة صامتة عمّت القاعة. تقدمت أماليا بثبات، ونزعت الشريط اللاصق بخفة تحت المنديل، ثم فتحت القارورة وسكبت الماء بلطف في كأس والتر:

"تفضل يا سيدي."

أخذت بكرتها المستهلكة، وعادت إلى موضعها بثبات. كانت عيون الأمراء تتفرسها بذهول، والملك يتابع أفعالها بنظرة اهتمام ثقيلة. أما لونار، فقد اصفر وجهها كالموت، وشخصت عيناها بغيرة عارمة.

عندما دنا المساء، ومالت الشمس نحو الأفق مخلفة شفقاً أحمر، وضعت أماليا الدلو والممسحة جانباً، ووقفت عند نافذة القصر الشاهقة تريح جسدها المنهك.

انخفض نظرها نحو الساحة الخارجية، فبصرت بالأمير الأكبر إيرنست يتدرب صامتاً مع حراسه. كانت عضلاته البارزة تنتشر الضوء المائل، وشعره العسلي يتطاير مع حركة سيفه الثقيل. تذكرت ليلته في غرفتها، ونبرته الخشنة، وكيف فسح لها مجالا في ليلتها الأولى. وفجأة، امتد ظل طويل بجانبها. التفتت لتجد الأمير الثاني، آياتو، يقف محاذياً للنافذة، وعيناه الخضراوان تلمعان ببرق زبرجدي.

قال آياتو بصوت خفيض حمل نبرة تهكم غامضة: "ما الأمر؟ هل أنتِ مسرورة الآن؟"

تطلعت أماليا في عينيه بحيرة: "ماذا تقصد سموك؟"

ابتسم آياتو ابتسامة جانبية باردة، وكرر بنبرة حادة: "لقد فزتِ بالنهاية.. وطُردت لونا قبل قليل."

اتسعت عينا أماليا بالذهول، وهتفت بصوت لا يصدق: "حقاً؟! فزتُ أنا؟ هل هذا حقيقي؟"

لم يجبها آياتو. اكتفى بنظرة ثاقبة انغرست في عينيها لثوانٍ، ثم استدار بعباءته السوداء ومضى في عمق الممر الداكن، تاركاً أماليا تثبت نظرها على الغروب الممتد فوق غابة كايدي.

تجلت العتمة فوق قاعة الطعام العظمى، وارتفعت ألسنة الشموع لتلقي بظلال طويلة متراقصة على الرخام الأسود. ساد صمت هائل، ولم يعد يُسمع سوى صليل الأواني الفضية الخفيف. عند رأس المائدة الشاهقة، جلس الملك كالتمثال الشمعي، وحوله أبناؤه الأربعة.

وفي زاوية الظل، وقفت أماليا؛ الخادمة الوحيدة المتبقية في هذا الصرح الملعون، تكتف يديها أمام ثوبها الأسود الصارم.

كسر الملك الصمت بنبرة جافة، وهو يرسل إليها نظرة ثقيلة من تحت حاجبيه الكثيفين:
 "أنتِ من ستفوزين بالجائزة لو بقيتِ ثابتة."

اتسعت عينا أماليا فوراً، واحتدم بداخلها شعور بفخر جارف. انحنت برأسها في إجلال هادئ
 دون أن تجرؤ على النظر إليه مباشرة، لكن حدقتها انزلقتا تلقائياً نحو يسار المائدة؛ حيث
 يجلس الأمير الأكبر إيرنست. كان يتناول طعامه ببرود مطلق، وسيم كأنه قُدّ من رخام، وشعره
 العسلي يتوهج تحت ضوء الشموع. لاحظ شرودها المديد وثبات عينيها عليه، لكنه لم يبدِ
 أي حركة، وظل وجهه قناعاً مصمتاً خالياً من الانفعال.

بعد انقضاء العشاء وقيامها بواجباتها المجهدة، أخذت أماليا كفايتها من الطعام البسيط، ثم
 انسحبت بنشاط واهن نحو حديقة القصر الخلفية. كانت الأشجار العتيقة تهمس مع نسائم
 الليل الباردة. جلست على مقعد حجري مصقول تحت قباب النجوم المتألئة، وأسندت
 ظهرها للتفكير، تائهة في بحر من التساؤلات:

(لو كانوا مصاصي دماء حقاً.. فلماذا يتناولون اللحوم والنبيد كالبحر ولا يشربون الدماء أمامنا؟
 أين أجنحتهم الدامسة وأنيابهم الطويلة؟ ولماذا تتوهج أعينهم بألوان الزمرد والعسل
 والفيروز، بدلاً من القرمز المظلم؟ هل هم بشر يمتلكون السحر.. أم وحوش من طراز آخر؟
 ما هذه الورطة التي ألقيتني في جوفها يا أبي؟)

انسكبت عبرة دافئة على وجنتها وهي تطالع الأفق المظلم: (اشتقتُ إليك يا أبي.. ماذا تفعل في هذه الساعة؟ هل أخذت دواءك؟ لم يعد الكثير.. اجتزّت المرحلة المميته بنجاح، ولم يبقَ سوى عامين فقط لأعود إليك بثروة تقلب بؤسنا نعيماً.)

"ماذا تفعلين وحدكِ هنا؟"

اخترق الصوت الرخيم العميق هدوء الليل من خلفها مباشرة. فزعت أُماليا، وقفزت من المقعد وهي تعتصر يديها، لتجد إيرنست واقفاً في هالة الظل، متلفعاً بعباءته القاتمة. احمر وجهها خجلاً، وسارعت بإطراق رأسها نحو الأرضية الحجرية.

خطأ إيرنست بهدوء وانساب فوق المقعد بجانبها، متسائلاً بنبرة مستفسرة:

"هل قطعوا لسانك؟"

فتحت شفيتها لترد، لكنه قاطعها بنظرة حادة وشبه ابتسامة باردة:

"لا تقعي في حبي أيتها البشرية.. فأنتِ لستِ النوع الذي أفضله."

شعر قلب أُماليا بوانية حادة، وكأن كبرياءها طُعن بسكين ثلجي. بلعت غصتها الحارقة، وتظاهرت بالصلابة وهي ترفع رأسها:

"أنا لم أقع في حبك أيها الأمير لأنني..."

وقبل أن تكمل، سألها بجفاف: "لماذا أنتِ جالسة هنا إذن؟"

تناهت أنفاسها المتهدجة: "أحب رؤية النجوم في الليل."

"ممم.. هواية مميزة." قالها وهو يرفع رأسه نحو القبة السماوية، تاركاً إياها تراقبه في ذهول صامت.

تفرست أماليا في تفاصيله الدقيقة عن قرب؛ خصلات شعره التي تتطاير مع الهواء البارد، عينيهِ العسليتين اللتين تتوهجان ببريق ناري تحت ضوء القمر، فكه الحاد المنحوت، وشفثيه المائلتين للحمرة. (إنه لوحة متكاملة من الوسامة الآسرة، ولكن يبدو أنه مغرور للغاية.. لا يحب سوى نفسه).

التفت إليها إيرنست فجأة، وعيناه تتقدان بجمود:

"ألم أحذرك من الوقوع في حبي؟ ثم كيف تحكمين عليّ بالغرور ولم تتجاوزي أسبوعاً واحداً هنا؟"

نهض من حذوها بخطوة واحدة، وفي لمح البصر، تبلور جسده كالدخان واختفى تماماً من أمامها!

تسمرت أماليا في مكانها، واتسعت حدقتها بجنون. قفزت من مقعدها وهي تلتقط أنفاسها بصعوبة: (كيف قرأ أفكاري؟! وكيف اختفى بالكامل كالهواء؟! هو ليس بشياً بكل تأكيد.. لكن هل سمع كل كلماتي عنه؟! يا للفضاعة.. أتمنى أن تنشق الأرض وتبتلعني ولا أواجه وجهه مجدداً!)

الفصل الرابع: ثمن العودة

مر شهر كامل فوق قلعة "كايدي". صارت الأيام رتيبة ومحملة بالخوف والكد؛ من خدمة المائدة الشاهقة إلى تنظيف الممرات الرخامية، لكن مع كل صباح يمر، كان شغفها الشديد وعواطفها المضطربة تنشد أكثر نحو إيرنست؛ الأمير الخفي الذي يجمع بين الصقيع والدفء الغامض.

وفي يوم كئيب، انتهت أماليا من ترتيب المهام الموكلة إليها، وجلست في حجرتها المظلة على أحراش القصر. كانت تتطلع نحو الأفق البعيد بوجنتين ذابلتين وعينين غائمتين بالحزن. وفجأة، شعرت باهتزاز بارد في الأثير خلفها. لم تفزع هذه المرة، فقد اعتادت حركته الساحرة. التفتت ببطء، وقالت بصوت خفيض:

"فيمَ يمكنني مساعدتك أيها الأمير إيرنست؟"

وقف عند منتصف الغرفة، وجرد ملامحها الشاحبة بحدقتيه العسليتين:

"لا شيء.. لكنني شعرت بضيقك، فأردتُ أن أسألك: ما خطبك؟"

أنزلت أماليا رأسها، وخفق قلبها بحدة متسائلة بداخلها: (هل يهتم لأمرى حقاً؟ هل وقع في حبي أخيراً؟)

اشتعلت حدقتا إيرنست ببرق ناري، وقال بنبرة حادة:

"كلا، لم أقع في حبك! إنما هو فضول فقط لمعرفة سبب حزنك!"

ضربت أماليا جبهتها بكفها، واحمرت خجلاً حتى أذنيها وهي تقول في سرها: (تَباً.. نسيْتُ أن هذا الوغد يقرأ الأفكار!)

اتسعت عينا إيرنست بصدمة، وزم شففيه بنبرة وعيد خطيرة:

"ماذا؟ وغد؟! أتريدون الموت أيتها البشرية؟"

هوت أماليا على ركبتيهما فوق الخشب البارد، واعتصرت يديها بتوسل مذعور:

"أنا آسفة حقاً! لم أكن أعني ذلك.. أرجوك سامحني، لم أقصد الإهانة!"

قبل أن تنهي توسلاتها، تلاشى جسد إيرنست في الهواء كأنه لم يكن، تاركاً أماليا تجثو وحدها.

انهمرت دموعها الحارقة، وانكفأت على الأرض تبكي بحرقة وقهر.

وفجأة، بدأ الهواء يتكثف في زاوية الغرفة القاتمة، ليتشكل جسد الأمير الثاني، آياتو، تدريجياً.

كان يستند بظهره إلى الجدار الحجري، وعيناه الخضراوان تلمعان بتهكم:

"كم أنت مثير للشفقة!"

رفعت أماليا رأسها المبتل بالدموع، وقالت بنبرة حانقة ممتزجة بالخوف:

"هل يحق لي أن أحدث نفسي.. أم أنك تقرأ الأفكار أنت أيضاً؟"

سار آياتو بخطوات واثقة، وجلس على طرف الطاولة الخشبية مقطعاً حاجبيه:

"كلا، خذي راحتك؛ أنا لا أقرأ الأفكار. ثم لماذا تبكين؟ لن يفعل لك إيرنست شيئاً، فأنت لم

تنطقي بكلمة، وهو لا يعاقب أحداً على مجرد أفكار عابرة."

اتسعت حدقتها باستغراب: "لحظة.. هل كنت تتصنت علينا؟"

ابتسم آياتو ببرود وأشار بيده نحو الزاوية القاتمة:

"كلا، أنا هنا منذ وقت طويل.. لكنني كنتُ متخفياً. جالساً هناك بالتحديد."

شخصت أماليا بصرها نحو الزاوية: "ماذا؟! منذ متى وأنت تجلس هناك؟"

مط آياتو شفثيه بتفكير: "يومنا هذا؟ ممم.. منذ أن دخلتِ الغرفة."

ارتعدت أماليا وقالت بصوت مذهول: "اليوم؟! هل كنت تجلس معي هنا كل يوم دون أن

أراك؟"

"ليس كل يوم.. يوماً بعد يوم تقريباً." ابتسم ابتسامة جانبية أظهرت نابه الأبيض: "لكن لا

تقلقي، لم أرهب خصوصيتك ولم أر شيئاً."

غطت أماليا وجهها بكفيها، واشتعلت وجنتاها حرارة: (يا إلهي.. كم هذا محرج ومخيف!)

نظر إليها آياتو بحدقتيه الزمرديتين، وتغيرت نبرته لتبدو أكثر جدية:

"إذن، لنعد لموضوعنا.. لماذا أنتِ حزينة اليوم؟ لستِ كعادتكِ، تبدين ذابلة كزهرة ميتة."

تنهدت أماليا بأسى، ورفعت عينيها المجهدتين:

"أنا في الحقيقة.. اشتقتُ لأبي كثيراً."

مال آياتو برأسه قليلاً: "حقاً؟ يمكنكِ زيارته.. لكن يُسمح لكِ بيوم واحد فقط طوال فترة

بقائكِ هنا."

قفزت أماليا في مكانها بلهفة: "حقاً؟! هل يمكنني الذهاب اليوم؟"

"أجل، لما لا؟ أتريدون أن أخبر الحراس ليأخذوكِ؟"

ردت بامتنان وعينين تشعان أملًا: "أجل، من فضلك! وشكرًا لك.. سأذهب فوراً لإخبار الملك."

اعترضها آياتو بيده وضحكة ساخرة: "تعالى إلى هنا! وكأن الملك يكثرث لأمر خادمة في هذا القصر.. اذهبي دون إخباره."

تصلب ظهر أماليا بشك: "هل هذه حيلة أخرى كي يتم طردي؟"

ضحك آياتو مجدداً: "ههههه، كلا! أنتِ من فزتِ بالعقد، ولن نلعب الحيل بعد الآن. لكن إن كنتِ لا تثقين بي وتريدين الاستئذان منه.. فاذهبي."

"حسناً.. يبدو أنني لا أثق بك، سأستأذن أولاً."

خرجت من الحجرة، واتجهت بخطى سريعة عبر الممرات العريضة نحو جناح الملك. طرقت الباب الضخم، فجاءها الصوت الرخيم الثقيل: "ادخل."

دخلت وانحنى حتى كادت جبهتها تلمس الأرض:

"جلالتك.. هل يُسمح لي بأخذ إجازة ليوم واحد؟ لقد اشتقتُ لوالدي وأريد رؤيته."

رفع الملك عينيه الغائرتين، وارتسمت على شفثيه الباردتين ابتسامة غامضة:

"حان الوقت إذن؟ حسناً.. اذهبي كما تشاءين."

انحنى أماليا مجدداً وخرجت، والبهجة تكاد تطير بها. أسرعَت إلى غرفتها، وحزمت القليل

من أغراضها في حقيبة قماشية صغيرة، ثم التفتت وهتفت في فراغ الغرفة:

"أيها الأمير آياتو.. هل أنت هنا؟"

تجسد آياتو أمامها ببطء كأنه يخرج من لوحة زيتية. ابتسمت أماليا وقالت بلهفة:
 "هيا، فلنذهب.. أنا مستعدة!"

تقلصت ملامح آياتو فجأة، وانقبض وجهه بشرة قسوة متعالية:

"نذهب إلى أين؟ اذهبي بمفردك! أظننت أنني حارسك الشخصي هنا؟. الزمي حدودك أيتها
 البشرية!"

تسمرت أماليا في مكانها، وسقطت بهجتها كزجاج تهشم على الصخر. ظنت أنها تقربت منه،
 لكن كبرياء مصاصي الدماء ظل سدًا مانعًا. اختفى آياتو من أمامها كالهواء، فمسحت دمعة
 متمرّدة أحرقت وجنتها، حملت حقيبتها وخرجت بقلب مكسور.

عند البوابة الحديدية الضخمة للقصر، كان الضباب يلتف حول القضبان النحاسية. رأت
 أماليا الحارس العملاق يقف بجانب سيارة سوداء فارهة. ركضت نحوه وهتفت بنبرة محاولة
 للتخفيف:

"أهلاً صديقي.. " سكتت برهة ثم ضربت جبهتها: "بئساً.. نسيْتُ اسمك!"

جردها بنظرة حادة من تحت حاجبيه الكثيفين، وقال بنبرة نحاسية خشنة:

"اسمي آرثر.. ولا تثرثري كثيراً، فالطريق طويل."

فتح الباب الخلفي للسيارة الفخمة وقال بجمود: "اركبي."

استقرت أماليا في المقعد الخلفي الناعم، بينما استقر آرثر خلف عجلة القيادة. انطلقت

السيارة بهدير مكتوم يشق أحراش غابة "كايدي". طال الصمت المطبق داخل السيارة،

وكانت أماليا تتطلع عبر النافذة للنسيم وخطوط الشجر المسرعة، بينما كان آرثر يراقب انكسار وجهها عبر المرآة الأمامية.

تنحج آرثر وقال بصوت خشن:

"هل أنتِ بخير؟ لماذا لا تتكلمين؟"

رمقته أماليا باستغراب من عبر المرآة:

"حين أتكلم تقولين اصمتي، وحين أصمت تسألني لماذا لا تتكلمين! ماذا يعني ذلك؟"

عقد آرثر حاجبيه: "حسناً حسناً.. ألا يمكنكِ التحدث باعتدال؟"

تنهدت أماليا: "سأحاول.. لكن هل لي أن أسألك سؤالاً؟"

"تكلمي."

"هل أصحاب القصر مصاصو دماء فعلاً؟"

تطلع آرثر إليها عبر المرآة: "من تقصدين بأصحاب القصر؟"

"الملك والأمراء؟"

رد آرثر ببرود حاسم: "أجل.. وحتى الحراس والخدم."

اتسعت عيناها بذهول: "أوه! حقاً؟ لحظة.. هذا يعني أنك مصاص دماء أيضاً؟"

"أجل، هذا صحيح."

ساد الصمت مجدداً، شعرت أماليا بقشعريرة باردة تسري في جسدها، فاكتملت الصور في ذهنها.

"هل يخيفك ذلك أيتها البشرية؟" سألها آرثر.

ابتسمت أماليا ابتسامة هادئة: "كلا.. أظن أنكم مخلوقات جيدة، عكس ما يُحكى عنكم في أساطير القرى."

قبض آرثر على عجلة القيادة بقوة وقال بنبرة تحذيرية ثقيلة:

"لا تتمسكي بهذه الفرضية كثيراً.. والآن انزلي، ها قد وصلنا."

توقفت السيارة أمام المنزل الخشبي المتداعي. تطلعت أماليا عبر النافذة، واهتزت مشاعرها

بلهفة جارفة. خرجت تركض ونبضات قلبها تتسابق مع خطى قدميها:

"يااا!! حقاً لم أشعر بطول الطريق.. أبييبي! أنا قادمة!"

الفصل الخامس: أخبار الأوهام

اندفعت أماليا من الباب الخلفي للسيارة بخطوات متلهفة، تطأ الممر الترابي المألوف الذي حفظت كل حصة فيه. كانت روحها تسبق أقدامها نحو البيت الخشبي المتواضع. وفي خلفية المشهد، جلس الحارس العملاق "آرثر" خلف عجلة القيادة، يراقب اختفاء حماسها المندفع في هالة الغروب الحزين، وسرت في صدره نبذة شجن مكتوم وهو يحادث نفسه: (ما ذنب هذا الجسد الغض كي يخوض عذاباً أثقل من الجبال؟)

توقفت أماليا عند العتبة المتهالكة، وأطبقت قبضتها على الباب تشبثاً وأملاً. أخذت تطرق بحدّة متسارعة جعلت صرير الخشب يتردد في الشارع الضيق:

"أبي! افتح الباب.. أنا أماليا، لقد عدت لزيارتك!"

ساد صمت جاف، ولم يفتح الباب. تابعت الطرق بلهفة أشد، حتى لمح طرف عينها نظرات المارة في الأزقة المجاورة. كان القرويون يتوقفون على مسافات متباعدة، يتأملون الثوب الأسود الصارم الذي ترتديه، ويتهايمسون بنبرات يمتزج فيها الذعر بالشفقة الساخرة:

(يا لها من مسكينة!.. ألم يبلغها الخبر بعد؟)

(ما الذي سيحل بعقلها إن اكتشفت الحقيقة؟)

نهضت قشعريرة باردة في جسد أماليا. تراجع أملها خطوة للوراء، وتسرب الرعب إلى حنجرتها:

(هل يعقل أن والدي قد فارق الحياة في غيابي؟ هكذا دون أن أودعه؟)

اندفعت نحو النافذة الزجاجية الجانبية تحاول استقراء ما بالداخل، لكن الشيش الخشبي كان مغلقاً من الداخل بإحكام، وكسي بغبار كثيف متراكم. تحركت بخطوات مضطربة نحو المنزل المجاور؛ بيت "ميرندا"، الفتاة التي أودعتها المال القليل قبل رحيلها لتتولى رعاية والدها المقعد.

ضربت أماليا باب ميرندا بلهفة. وبعد ثوانٍ، انفرج الباب قليلاً لتطل منه ميرندا. وما إن استقرت حدقتها على وجه أماليا حتى ارتبكت ملامحها، وتراجعت خطوة للخلف بنبرة متلجلجة:

"من أنتِ يا فتاة؟ وماذا تبغين من بيتي في هذه الساعة؟"

اتسعت عينا أماليا بذهول ممتزج بالصدمة:

"من أنا؟! ميرندا، ماذا جرى لك؟ أنا أماليا! أين أبي؟ أين المبلغ الذي تركته لك للاعتناء به خلال غيابي؟"

ارتسمت على وجه ميرندا علامات الحيرة والنفور البارد، وانقضت حواجبها بجفاء تام:

"أنا لا أعرفك مطلقاً، ولا أفهم ما تهدين به! اذهبي عن عتبي يا آنسة قبل أن أنادي الأجوار!" ثم دفعت الباب بقوة ليغلق في وجه أماليا بصدمة مدوية هزت الممر كله.

تسمرت أماليا في مكانها، وشعرت أن الأرض تميد تحت قدميها. تحركت كالمشلوكة نحو سيدة عجوز كانت تقف بالقرب من الطريق ترقب السهد المرتسم على ملامحها. أسرع

أماليا إليها، ونبرتها تتوسل النجاة:

"سيدتي.. أرجوك، هل تعلمين أين ذهب صاحب البيت المجاور؟ الرجل المقعد الذي كان يقطنه؟"

ترددت المرأة العجوز، وتراجعت خطوة للخلف وهي تتلعثم بحذر:

"أي رجل يا بني؟ هذا البيت مهجور وساقط الأطراف منذ أكثر من عشر سنوات.. لم تكن تسكنه سوى عجوز طاعنة ماتت وتلاشى أثرها منذ أزمنة بعيدة!"

هوت الكلمات كالصخرة فوق رأس أماليا، وتناثرت حولها الحقيقة كشظايا الزجاج:

"ماذا؟! كيف يكون مهجوراً منذ عشر سنين؟! أنا ترعرعت تحت سقفه مع والدي! غادرت هذا الباب منذ شهر واحد فقط.. كيف تحول الشهر إلى عقد من الزمان؟!"

توقفت أماليا عن الصراخ فجأة، وانعقد لسانها حين جالت بخاطرها فكرة مرعبة كادت

تقتلها: (شهر واحد في قلعة 'كايدي'.. هل يعقل أن الزمن في معقل مصاصي الدماء يسير

بإيقاع يلتهم أزمنة البشر؟ سيكون ذلك الشهر قادمي عبر عشر سنوات كاملة في عالم الأحياء؟!)

انهارت أماليا على ركبتيها فوق التراب، واعتصرت رأسها بكفيها في محاولة يائسة لمنع عقلها

من الانفجار، واستقرت في حنجرتها صرخة بكاء مريرة خنقت أنفاسها:

"أين أنت يا أبي؟ ماذا فعلتُ بنفسي وبالعمر؟ أين ذهبت؟!"

كان المشهد يدور تحت حدقتي "آرثر"، الذي نزل من السيارة الفارهة ببطء، وخطا نحو

الفتاة الجاثية فوق التراب. وقف أمامها كظلمة شجرة عتيقة، وقال بصوت جنازي خافض:

"لم تجديه؟ إذن، لا فائدة من البقاء هنا.. لنعد إلى القصر."

شهقت أماليا تحاول كسر الباب بقبضتها الصغيرة، لكن اختناق العبرات في صدرها سلب منها القدرة على التنفس. استدارت ملامحها نحو الشحوب التام، وقبل أن تغرق في ظلام الإغماء، تمتمت بنبرة ذابلة:

"لكنني.. أريد أبي..."

انحنى آرثر بثبات، وحمل جسدها الضئيل بين ذراعيه الفولاذيتين كأنها ورقة شجر يابسة، ثم وضعها على المقعد الخلفي للسيارة. دار إلى عجلة القيادة، وأدار المحرك لينطلق بهدير صامت يشق العتمة نحو قلعة "كايدي". طوال طريق العودة، كانت أماليا تتأرجح بين الغيبوبة والصحو، وتنسكب الدموع من عينيها المغشيتين، والتساؤلات الحارقة تطحن رأسها دون رحمة.

توقفت السيارة أمام البوابة الحديدية الضخمة للقصر القاتم. نزل آرثر وفتح لها الباب، لتخرج أماليا بخطى ثقيلة متهالكة. تطلعت إلى ملامحه الحجرية وقال آرثر بنبرة هادئة حملت مسحة سرية:

"أظن أن الأمراء سيجيبونك على كل تساؤلاتك الحارقة."

نظرت إليه أماليا بحدة وعينين محمرتين من أثر البكاء:

"كيف ذلك؟ ما الذي تلمح إليه يا آرثر؟"

ارتفعت زاوية شفثيه عن ابتسامة حزينة غامضة، ولم يزد على أن فتح الباب الخشبي الشاهق للقصر وقال:

"ادخلي."

تخطت عتبة القصر دون أن تنبس ببنت شفة، واندفعت بخطوات ممزقة نحو جناح الخدم، حتى دخلت غرفتها وأغلقت الباب خلفها. ألقت بجسدها المجهد فوق السرير البارد، واستسلمت لنوبة بكاء عارمة هزت كتفيها، ونحيبها المكتوم يتردد بين الجدران الخشبية. وفجأة، ثقل الهواء في الحجرة، وتكثف الضباب البارد ليتشكل منه جسد الأمير الأكبر "إيرنست" عند حافة السرير. كان يلفه وقار مهيب، وقال بنبرة جافة تتخللها بحة صارمة: "صوت نحيبك يملأ أروقة القصر القاتمة.. ما الذي يجري معك أيتها البشرية؟" رفعت أماليا وجهها المبلل بالدموع، وغرزت عينها فيه بضعف وقهر، لكن حنجرتها كانت أضعف من أن تخرج كلمة واحدة، فاستمرت في البكاء الصامت. جلس إيرنست على طرف السرير، ووجهه حدقتيه العسليتين المتقدتين نحو عينيها مباشرة. ساد الصمت لثوانٍ بدت كأنها أدهار، كان يقرأ في أفكارها الفوضى والرعب والزمن المفقود. ثم انقبضت ملامحه بصرامة سردية، وقال بجفاف: "لن أجيبك على أيّ من تساؤلاتك.. فهذا يخرق قوانين المملكة العتيقة. لذا، لا تجرؤي على سؤالي، أو سؤال أيّ منّا!"

وفي لمح البصر، تلاشى جسده كالدخان في أثير الحجرة!

ضربت أماليا قبضتها بمرارة فوق الفراش البارد، وصرخت بنبرة مبحوحة يمزقها الغضب:

"قرأ أفكاري اللعنة عليه! ذلك الوغد المغرور!.. إن كان يرفض الحديث، فمن يجيبني إذن؟

إيرنست أيها المسخ الملعون!"

الفصل السادس: أنياب الفضول

حل المساء، وساد القصر سكونٌ ثقيل يُسمع فيه صرير الرياح وهي تجرح الزجاج الشاهق. كانت حجرة أماليا مظلمة تماماً؛ لم تخرج منها طوال النهار، واستقرت العائلة المالكة حول مائدة العشاء الشاسعة. كانت أطباق الفضة تتلألأ تحت ضوء الشموع الراقص، والكل يقتطع طعامه بصمت بارد.

مال الأمير الأكبر إيرنست بنصف جسده نحو الملك الجالس عند رأس المائدة، ونبس بنبرة خفيضة ترتحل كأثير جليدي:

"جلالتك.. هل حان الوقت لإخبارها؟ قرأت أفكارها الممزقة اليوم، ويبدو أنها أكلت الطعم الأول بنجاح."

دون أن يرفع عينيه، انبعث صوته كصرير الرخام المتشقق:

"كلا.. لا يجب أن تعرف مطلقاً. عليها أن تبقى قتيعة تحت هذا السقف؛ لو علمت بأصلها وفكت شفرة النسب.. ستهرب قبل أن تكتمل الخطة."

انحنى إيرنست بجذعه إجلالاً: "تحت أمرك، جلالتك."

على الجانب الآخر من المائدة، كانت أعين الأمراء الثلاثة ترقب ذلك الحوار المكتوم بشك ومواربة. انحنى رايتو نحو آياتو، وهمس له من خلف كأسه البلوري:

"ما الذي يدور بينهما؟ ألم تلاحظ حركاتهما المريبة منذ الصباح؟"

حدجه آياتو بحدقتيه الخضراوان اللتين تلمعان بقسوة: "لا أعلم.. لكني لا أرتاح لهذا الصمت."

وهنا، ارتسمت ابتسامة لعوب على شفتي الأمير الأصغر والتر، وهمس وهو يقطع شريحة اللحم بمهارة:

"أنا أعرف السر.. اجتمعا في حجرتي بعد العشاء، وسأحكي لكما التفاصيل."

تبادل آياتو ورايتو نظرة سريعة، وأوماً كلاهما برأسه في إشارة اتفاق، وواصل الجميع تناول الطعام دون إثارة أي انتباه.

بعد انقضاء العشاء، انسل الثلاثة نحو جناح والتر الفاخر. اتخذ رايتو مقعداً جليداً عريضاً، بينما استند آياتو بكتفه على الحائط الحجري، ووجه كلاهما نظرات نارية حادة نحو والتر المنتظر عند منتصف الغرفة.

تنهد والتر وأصلح ياقته المطرزة بالفضة:

"حسناً.. الأمر الذي تهامس بشأنه إيرنست والملك يخص تلك الخادمة البائسة، أماليا."

قطم آياتو حاجبيه: "وكيف عرفت أنت أيها الجرذ الصغير؟"

رد والتر بشيء من الخيلاء: "سمعتهما صدفة حين كنتُ ماراً بجناح العرش."

اتكأ رايتو بجسده للأمام: "أجل أجل، صدفة... واصل!"

صمت والتر لثوانٍ، ثم تئاءب بخبث ومط شفتيه: "ممم.. أظني اكتفيت بهذا القدر الليلة.

اخرجنا، أريد أن أنام."

برقت عينا آياتو بشعاع زمردى غاضب، وخطا نحوه بثبات تهديدي:

"تكلم أيتها الحشرة المغفلة! وإلا أبلغتُ الملك فوراً أنك تتجسس على جلساته الخاصة مع ولي العهد!"

تراجع والتر خطوة للخلف بضيق: "تباً لك! تشعرني بالندم في كل مرة أشاركك فيها أمراً!"

قاطعه رايتو بصوت قاطع: "أكمل القصة فوراً ودعك من المماطلة!"

جلس والتر على طرف سريره، ورفع يديه مستسلماً:

"حسناً.. سمعتُ الملك وإيرنست يتحدثان عن أماليا بشكل صريح. قالوا تحديداً إنها ملكة

بالوراثة في الأصل، وأن أمها لا تريدها أو شيء من هذا القبيل."

ضاقت حدقتا آياتو بنفور ساخر: "قصتك غير مكتملة وتبدو كخرافة أطفال! سأتحرى الأمر

بنفسي وأكشف سر هذه البشرية."

قام رايتو واقفاً، وابتسامة جشعة ترتسم على وجهه:

"إن أثبتت أنها ملكة حقاً، فسأ تزوجها! لن أبقى مجرد أمير قابع في ظل إيرنست، سأصبح ملكاً

لمملكته وسلطانها."

رد والتر ببرود: "لو كانت ملكة حقاً فلن تتزوجك.. أنت مصاص دماء ملعون وهي بشرية،

النبلاء لن يقبلوا بك."

استدار آياتو ونبس بنبرة خافضة تحمل وعيداً: "سرّها صار يثير فضولي أكثر من أي وقت

مضى.."

خرج رايتو وآياتو من الغرفة. وفي طريقه نحو جناحه، كان آياتو يقلب الأفكار في عقله كالمفترس: (فكرة رايتو ليست بائسة كلياً.. هذه فرصتي لأضع التاج على رأسي وأخرج من جلاباب الملك وإيرنست. يجب أن أضع يدي على حقيقتها.)

وقف آياتو عند الممر، وجالت بخاطره فكرة شيطانية: (ولماذا أعتمد على التكهانات؟ سأتحفى وأتجسس على الملك وإيرنست في جلستهما القادمة.. هناك ستنجلي الحقيقة بالكامل.)

في الصباح التالي، أشرقت شمس باهتة فوق أسوار القصر. اجتمعت العائلة المالكة حول مائدة الفطور، لكن مقعد الخدم كان خالياً؛ لم تكن أماليا هناك. لاحظ الملك غيابها، فنادى رئيسة الخدم بنبرة حازمة:

"أين الخادمة المستجدة؟"

انحنت رئيسة الخدم بجسدها الطاعن:

"جلالتك.. لقد أمضت الليل بطوله تبكي في الحديقة الخلفية تحت الصقيع، وهي الآن

تصارع الحمى والزكام ولا تستطيع النهوض من فراشها."

تأفف الملك بضيق مصطنع: "يا للمشقة! حسناً، دعوها ترتاح، ولكن ليس لأكثر من يوم

واحد. اهتموا بها حتى تسترد عافيتها للعمل."

بعد الفطور، التفت إيرنست بعباءته القاتمة واتجه بخطوات حثيثة نحو جناح الخدم. وقف

عند باب أماليا وطرق الخشب بطرقات خفيفة متأنية.

جاءه صوتها المبحوح السعال: "ادخل.."

فتح الباب، وسحب كرسيّاً خشبياً ليجلس قبالتها. كانت أماليا متكئة على فراشها، وشعرها مشعث، ووجنتاها تشتعلان بحمرة الحمى. تفرس ملامحها الشاحبة لثوانٍ، ثم قال بصوت ركيم:

"سمعتُ أنكِ مريضة.. كيف حالكِ الآن؟"

سعلت خفيفاً وأجابت بنبرة ذابلة:

"أنا بخير.. شكراً لك. لكن ليس من عادتكِ الطرق على الباب، عادة أستيقظ لأجدك تحوم بجانبني كالهواء."

رمقها بنظرة دافئة نادرة:

"ظننتُ أنكِ قد تكونين في وضع لا يسمح بالمفاجآت وأنتِ بهذه الحالة."

ابتسمت أماليا بضعف: "شكراً يا ولي العهد.. لاهتمامك بأمرى."

كانت عيناها تتطلعان في وجهه؛ فكه الحاد، وعينيهِ العسليتين اللتين بدتا أقل حدة من المعتاد. شعرت براحة غريبة تنساب في صدرها وهي تراقبه، وروحها تقع أكثر فأكثر في شباك حسنه، كأنها تهوى في هاوية لا قاع لها.

تصلبت ملامح إيرنست فجأة، وضاحت عيناه بقسوة قاطعة:

"لا جدوى من كلامي معكِ.. لقد صرتِ تعشقيني أيتها البشرية، وهذا أمر سليم الشؤم."

تذكرت فوراً قدرته الملعونة على قراءة أفكارها، فأطرقت رأسها بخجل حارق:

"هذا.. هذا ليس صحيحاً..."

حاولت استكمال عبارتها، لكن نوبة سعال شديدة داهمتها وجعلت جسدها الهزيل يرتجف. في لحظة خاطفة، جلب إيرنست كأس ماء من الطاولة المجاورة، وأدناه من شفيتها ليشربها برفق، فيما امتدت كفه الثلجية لتربت على ظهرها بحنو غريب وهو يهمس:

"ما كان عليكِ المبيت تحت الصقيع خارج الحجرة أمس.. لو علمتُ بذلك لما تركتُكِ تفعلين."

استكان السعال، ورفعت أماليا عينيها المغشأتين بالدموع لتلتقي بحدقتيه العسليتين. كانت وجنتاها تلهبان حمرة، وعيناها منتفختين من أثر البكاء والمرض.

ابتسم إيرنست ابتسامة هادئة أظهرت نبل ملامحه، وقال بنبرة التمس فيها دفقاً نادراً من الحنية:

"وجهكِ لطيف كالتوليب الوردي.. تشبهين الرضاع عند غضبهم."

تجمدت الأنفاس في حنجرة أماليا. اتسعت حدقتها بصدمة حلوة، وارتسمت على شفيتها المرتجفتين ابتسامة خجل جارفة. لكن إيرنست شعر فوراً بأنه تجاوز حدوده الباردة؛ سحب كفه عن ظهرها فجأة، وتراجع خطوتين للخلف وهو يتنحى ليقطع الموقف المحرج:

"بما أنكِ بخير الآن، سأترككِ لترتاحي.. كلي جيداً ونامي، ستتحسنين قريباً."

وفي كسر من الثانية، انحل جسده كالدخان واختفى من الغرفة.

فور غيابه، انطلقت من أماليا صرخة مكتومة ممتزجة بضحكة كتمتها في وسادتها، ووجهها
يحترق خجلاً وسعادة:

(يا إلهي!.. كم هو لطيف معي! إنه يهتم بأمرى حقاً.. كم يعجبني هذا مصاص الدماء الملعون!
ليته يبادلني الحب.. يبدو أنه بدأ يضعف أمامي، كم هذا ساحراً!)

لكن شريط الذكريات اندفع فجأة كالصفعة؛ تذكرت ليلة النجوم، وتأكيده القاطع بأنه لن
يحبها ولن تكون نوعه المفضل. أزاحت الوسادة وتضاءلت ابتسامتها تدريجياً:
(لا بأس.. حتى لو لم أكن نوعه المفضل، سأجعله يحبني مع الأيام، سأحارب من أجل ذلك!)
وفجأة، اعتصر قلبها ألم قاطع حين تذكرت والدها، وانهمرت عبراتها ساخنة فوق الوسادة:
(أين أنت يا أبي؟ لماذا تركتني هنا في هذا الظلام؟ ماذا فعلتُ بنفسى.. ولماذا يحدث كل هذا
معى؟)

جثت على الفراش وأجهشت بالبكاء.

في تلك الأثناء، وفي الزاوية القاتمة للحجرة، كان الأمير الثاني آياتو يقف متخفياً كالهواء! شهد
المشهد كاملاً؛ نظرات إيرنست، همساته الحنونة، وسعادة أماليا المفرطة ثم انهيارها
الحزين. سرت في عروقه الميته نغزة غير مفهومة، مزيج من الغيرة الغاضبة والكبرياء الجريح.
نفث الهواء من فمه بضيق، وانحل هواءً متجهاً نحو الممر.

وفي طريقه عبر الممرات الشاهقة، أبصر بإيرنست يتجه بوقار نحو الجناح الملكي. حث آياتو خطاه المتخفية، وانسل خلفه كالظل الداكن، ليدخل القاعة الشاهقة ويتخذ مكاناً عند العمود الرخامي المظلم.

انحنى إيرنست أمام العرش الملكي وقال بصوت خفيض:

"جلالتك.. هل لي أن أحدثك بشأن الخادمة أماليا؟"

ابتسم الملك إيماءة هادئة، وأشار إلى المقعد الرخامي بجانبه: "تفضل ولي عهدي، كلي آذان صاغية."

جلس إيرنست، واستطرد بصوت جاف:

"جلالتك.. حالة الفتاة لا تسر، وتبدو مهشمة بالكامل. لماذا لا نخبرها بحقيقتها وينتهي هذا العبء؟"

اعتلت وجه الملك ابتسامة قاسية، وقال بنبرة تسودها النفعية الباردة:

"كلا يا بني.. سيلفينا تدفع لنا ثروة هائلة كي نغلق فمها ولا نبوح بالسر، لكن المهمة لم تكتمل بعد؛ ينبغي أن تذوق طعم العذاب والذل أولاً كما اشترط علينا."

ارتسمت على شفتي إيرنست ابتسامة برود متصنعة، وقال مستهزئاً:

"المسكينة.. لا تدري أي جحيم يساق إليها."

ثم قام، وانحنى للملك، وخرج بخطوات واثقة.

خلف العمود الرخامي، تحجرت أنفاس آياتو، واشتعلت بداخله شفرات الشك والذهول.

تجسدت عينان زيرجديتان تتأججان بغضب مكتوم:

(من هي سيلفينا هذه؟! ومن تكون أماليا في الأصل كي تُدفع الأموال لعذابها؟ وما هو الجحيم

الذي يخفونه عن الجميع؟)

الفصل السابع: شك يرتدي اليقين

دخل آياتو إلى جناحه الخاص وعيناه تتأججان بغضب مكتوم؛ أطبق قبضته حتى ابيض مفصلهما وهو يفكر في التفضيل الأعمى الذي يمارسه الملك تجاه إيرنست، يحجب عنه أسرار العرش ويخص بها ولي عهده. كان يجوب الحجرة بجسد متوتر كالنمر الحبيس، حين انفتح الباب فجأة وانسل منه رايتو. اغلق الباب برفق مستنداً بظهره عليه، ونظر إلى آياتو بنبرة تتخللتها الريبة:

"إيرنست يحيك أمراً ما في الخفاء.. رأيته للتو في القبو السفلي، يشحذ سيوفه الفضية ويصقل حوافها ببرود مريب."

اندلعت شرارة الغضب في عروق آياتو، وتجاوزت دواخله حدود الصبر. خرج من الغرفة بخطى حثيثة تحرق الأرض، ورايتو يهرول خلفه متفاجئاً من اندفاعه. اقتحم آياتو جناح إيرنست دون استئذان، ورمقه بنظرة نارية حادة:

"الحقني فوراً إلى قاعة العرش.. لدي ما أقوله للملك!" ثم التفت إلى رايتو بنبرة آمرة: "استدع والتر، ولتجتمعوا جميعاً هناك."

خطأ آياتو بثبات نحو مجلس الملك الشاهق. دخل وانحنى بجسده انحناء صارمة لم تخف التحدي في عينيه:

"جلالتك.. استأذنك في جمع الأمراء هنا، ففي صدري كلام ينبغي أن يُقال أمام الجميع."

قطم الملك حاجبيه، مستغرباً الجرأة المتفجرة في نبرة ابنه الثاني. وما هي إلا لحظات خاطفة حتى دخل إيرنست متوشحاً بعباءته السوداء، وانحنى بهدوء قبل أن يوجه حدقتيه العسليتين نحو آياتو:

"ما الأمر آياتو؟ لم هذه الدعوة المفاجئة؟"

تبعه والتر ورايتو، فانحنيا للملك واستقرا في جانب القاعة بصمت حذر. أشار الملك بكفه نحو المقاعد الذهبية المرصعة بالجواهر، فجلس الأمراء الأربعة، والأعين ترنو نحو آياتو الذي انتصب كالحرية منتصف القاعة:

"جلالتك.. أنا أمير في هذه الإمبراطورية العتيدة، ومن حقي الشرعي أن أكون على علم بكل ما يدور خلف أسوارها!"

حدجه الملك بنظرة ثابتة تتصلب فيها القسوة: "وماذا بعد؟"

استطرد آياتو بنبرة تقطر تحدياً:

"أشك في أن ثمة سراً أثيماً يُحاك بينك وبين ولي العهد دون علمنا.. سرّاً يخص الخادمة أماليا! أريد أن أعرف من تكون حقاً؟ ولماذا خضنا هذه التمثيلية الوضيعة؟ منذ متى ونحن نستقبل الخدم البشريين في قصر مصاصي الدماء؟ وما هو أصلها الحقيقي؟"

التفت الملك نحو إيرنست، ونبس بصوت كالرعد الخافت: "أأنت من باح له بالسري يا ولي العهد؟"

رد إيرنست بثبات بادر: "كلا يا جلالة الملك.. لم أخرج كلمة واحدة من شفتي."

حدق الملك في آياتو بصرامة: "إذن كيف علمت أن الأمر يتصل بالخادمة؟"

رفع آياتو رأسه بصلافة: "هل ستجيب على أسئلتى أم ستستمر في التهرب يا جلالة الملك؟"

ساد القاعة صمت ذهولي؛ تبادل رايتو ووالتر نظرات الدهشة من هذه الجرأة غير المسبوقة،

وانقبضت ملامح إيرنست بنفور بارد. أرجع الملك ظهره للعرش، وأطلق تنهيدة جافة:

"حسناً.. سأجيبك."

اتسعت حدقات الأمراء، وانهمر صوت الملك ببرود كشف اللثام عن الماضي:

"صحيح أن إيرنست هو ولي العهد، لكنكم جميعاً أبناءى وأمرأ هذه المملكة. لذا استمعوا..

ثمة ملكة بشرية تُدعى 'سيلفينا'، تعتلي عرش مملكة 'لاود'. قبل أزمنة، وقعت في غرام ملك

مصااص دماء هو 'هوارد'، حاكم مملكة 'باكوغو' العدو. تبادلوا العشق، لكن زواجهما كان

محالاً لاختلاف الفصيلتين. وبعد فترة، اكتشفت سيلفينا أنها تحمل نطفته في أحشائها،

فأنجبت فتاة في الخفاء دون أن تخبره.. وتلك الفتاة هي أماليا."

ارتجفت ملامح والتر، فيما تابع الملك دون أن ترمش له عين:

"أخفت السر لأن هوارد تزوج امرأة من فصيلته. لكن القدر ضربه في إحدى الحروب؛ أصيب

بعقم دائم وحُرم من الذرية. وهنا استيقظ الحقد في قلب سيلفينا؛ أرادت الانتقام منه عبر

ابنته الوحيدة. سلمت أماليا لعائلة بشرية بسيطة لتتربى في جهل تام بنسبها، وحين بلغت

العشرين.. باعته لي مقابل ثروة هائلة! والمطلوب مني الآن هو أن أعذب هذه الفتاة حتى

الفناء، ثم نرسل جثتها الهامدة إلى أبيها هوارد كي يحترق قلبه.. هذا هو انتقام سيلفينا، وهذه فرصتي لأشفي غليلي من هوارد، عدوي اللدود منذ عقود."

صمت الملك، فتردد أصل القصة كالكبوس في أذهان الأمراء. تقدم آياتو خطوة، ونبس بنبرة مشدودة:

"إذن.. هل أماليا بشرية أم ينبض في عروقه دم مصاصي الدماء؟"

رد الملك بجفاء: "هي بشرية كاملة.. فاتحاد رجل مصاص دماء بامرأة بشرية لا ينتج سوى بشر خالص."

تمتم رايتو بصدمة: "ولكن يا والدي.. أستقتلها حقاً؟ أستشارك في هذه الجريمة البشعة ضد فتاة لا ذنب لها؟"

قهقه الملك بنبرة جافة: "هوارد عدوي الأول، وسيلفينا تدفع لي جبلاً من الذهب لنفس المهمة! إن كانت أمها التي ولدتها لم ترحمها وباعتها للعذاب، أفأكون أنا الرحيم بها؟ لا يهمني أمرها مطلقاً!"

قال والتر بنبرة متوسلة: "لكن يا أبي.. الفتاة بريئة، لا تستحق هذا المصير المظلم! وهذا الشر ليس من صفاتك!"

تدخل إيرنست بصوت حاد كالصلب، واضعاً يده على مقبض سيفه:

"لكي تكون حاكماً قوياً يا والتر، يجب أن تدع العواطف جانباً.. لا تتبع سوى مصلحتك والسيطرة المطلقة."

ابتسم الملك بفخر وهو ينظر لإيرنست: "ولهذا السبب المظلم أنت ولي عهدي الجدير بالعرش."

سأل آياتو وعيناه تتوهجان ببريق غريب: "ومن سيتولى تنفيذ حكم التعذيب والقتل؟"
أجاب الملك: "لم أقرر بعد.. ينبغي أن أبتكر طريقة تجعل عذابها أليماً يرضي سيلفينا قبل أن تفاض روحها."

استدار الأمراء وانحنوا، ثم خرجوا من القاعة. كانت أفكار آياتو تتضارب؛ صراع ناري بين رغبته في انتزاع العرش من إيرنست وبين رفضه الدفين لرؤية الفتاة تتدمر. انسلّ من الممر مظلماً، وانساب كالهواء نحو غرفة أماليا.

تجمد في الحجرة، ثم تجسد فجأة أمام النافذة حيث كانت تقف تتأمل النجوم بعينين محمرتين. خافت وتراجعت للوراء متلعثمة:

"ح.. حضرة الأمير آياتو! تفضل.. كيف يمكنني خدمتك؟"

جلس آياتو على طرف سريرها الخشبي، وأشار لها برأسه كي تجلس بجانبه. نظرت إليه بحذر، فثبت حدقتيه الزمرديتين في عينيها وقال بصوت خفيض حاسم:

"لدي كلام سيغير مجرى حياتك بالكامل.. اسمعي جيداً، ولا تتفوهي بكلمة لأحد، وإلا كان الموت مصيرك الفوري."

أومأت برأسها خائفة، فاستطرد آياتو:

"أنتِ لستِ مجرد خادمة بائسة.. أنتِ ملكة بالوراثة، ابنة الملكة سيلفينا والملك هوارد. أمكِ البشرية حقدت على أبيكِ مصاص الدماء، فباعتكِ لأصحاب هذا القصر ليعذبوكِ حتى الموت انتقاماً منه!"

شحب وجه أماليا، وارتجفت شفتاها بنفي مذعور:

"كلا! هذا كذب! أمي وأبي بشريان فقيران.. ربياني وعشت معهما كل حياتي!"

رد آياتو بصلافة: "هما مجرد خادمين استأجرتهما أمكِ الحقيقية لتربيتكِ حتى تبلغين

العشرين، ليتم بيعكِ هنا."

سقطت دمة ساخنة على وجنتها، وتمتعت برعب: "هل.. هل ستقومون بقتلي؟ هل

ستقتلني أنت؟"

أجابها آياتو: "أنا لن أقتلك.. لكن الملك ينوي البدء في تعذيبكِ قريباً جداً."

انهارت أماليا بالبكاء، وتلاحقت في ذهنها ذكريات أبيها المزعوم وهو يودعها بنبرة حزينة،

والجيران الذين أنكروا معرفتها؛ كل الأحجيات المظلمة أصبحت حقيقة مرعبة. وقفت تذرع

الغرفة بذهول واعتصار:

"ماذا أفعل الآن؟! كيف أنجو من هذا الكابوس؟!"

قام آياتو ووقف أمامها مباشرة:

"لو كنتُ أريد موتكِ لما أتيتُ إلى هنا.. لدي حل واحد فقط؛ إما أن تقبلي به، أو تستسلمي

للموت تعذيباً تحت سياط القصر."

أمسكت يده بتوسل مدعوم بالخوف: "أرجوك.. ما هو الحل؟ أخبرني!"

سحب يده برفق وقال بصرامة:

"سأقدم للملك عرضاً لشرائك واقتنائك كملكية خاصة، وأدعي أنني من سيتولى إعدامك..

لكن هل تدركين ثمن هذه الخطوة؟"

"ما هو الثمن؟"

"سيسحب الملك مني إمارتي، ويجردني من أملاكي ولقي، وسأطرد من القصر مفلساً.. هذا

هو ثمن حريتك. في مقابل ذلك، سأخذك إلى مملكة أمك لتنتقمي منها وتعتلي عرشها، لكنك

لن تتوجي ملكة إلا بشرط واحد.. أن تتزوجيني لأصبح الملك بجانبك."

شهقت أماليا بعيون متسعة، وشعرت بدوار يهاجم عقلها: "أنا.. أنا لم أفهم، أعد الشرح

أرجوك!"

قال آياتو بوضوح حاد: "سأشتريك وأفقد لقي كأمير، وسنطرد معاً. أساعدك على انتزاع

العرش من أمك، وفي المقابل تتزوجيني لأكون الملك الحاكم معك.. هل وضحت الصورة؟"

أطرقت رأسها، واستقرت الأفكار المسمومة في ذهنها: (أنا لا أحب آياتو.. بل يربيني نظره

القاسي! لماذا لم يكن إيرنست هو من يقدم على مساعدتي؟ حظي عاثر دائماً.. حياتي كانت

كذبة كبيرة، وأمي الحقيقية تدفع المال لهرسي بين التروس!)

ابتسم آياتو ابتسامة جانبية ساخرة: "سأتركك الآن.. فكري جيداً، وفي الصباح أخبريني بقرارك

لنبدأ التنفيذ."

ثم اختفى كالهواء.

ضمت ركبتيها إلى صدرها المقيد بالوجع، وأسندت ذقنها المرتجف عليهما. كانت النجوم المترامية من النافذة تتلألأ كعيون باردة ترقب احتضارها الصامت. اعتصرت قميصها الخفيف عند موضع قلبها، وانقضت من أعماقها همسات مبحوحة، تقطر مرارة وتتكسر مع كل زفير:

"أبي... أين أنت يا أبي؟ هل كنت تناديني بهذا الاسم طوال عشرين عاماً وأنت تعلم أنني لست ابنتك؟ هل كانت تلك العناقات الدافئة مجرد تمثيلية أُنقن أداؤها لتنتهي عند هذا الجدار البارد؟"

انسكبت دموعها ساخنة تغرق وجنتيها، تشبثت برأسها كأنها تحاول منع أفكارها من التفتت:

"أمي الحقيقية... الملكة التي لم أتمسح يوماً بعباءتها، ولا شممت طيبها... تدفع المال كي أعذب حتى الموت؟ أي ذنب اقترفته عيناى حين فتحتُهما على هذا العالم؟ ألهذا الحد كان وجودي جرماً تُسدّد قيمته بسيّاط القسوة؟ ألم تشعر بنبضي في أحشائها يوماً؟ كيف أكون طفلتها، وكيف تتلذذ ببقي لمسلاخ مصاصي الدماء؟"

غرزت أظافرها في كفيها، وأطلقت زفرة مسحوقة امتزجت بشهقات بكاء مكتوم:

"حياتي كلها كانت كذبة... طفولتي، ضحكاتي، بيتنا القديم الذي تحول إلى غبار وخرائب منذ عشر سنين... حتى خطاي التي قادني إلى هذا القصر، لم تكن سوى حبل تُسحب به رغبتى

إلى الموت! والآن... أباغ كبضاعة رخيصة في مزاد النبلاء؛ يشتري إماراتي مصاص دماء لا أعرف إن كان يمسك بيدي لينقذني، أم ليجرني إلى جحيم أشد صرامة."

شهقت بآلم ينخر أضلعها، ورفعت عينيها المحمرتين نحو السماء المظلمة وهي تتوسل
اللاشيء:

"يا الهي... كيف لقلب غض قلبي أن يحتمل كل هذا الركام؟ أردتُ فقط أن يعود أبي ليمسك بيدي، أردتُ بيتاً صغيراً يئويني وسقفاً لا يتهددني بالانهيار... كيف تحولت حياتي إلى ساحة انتقام لملوك لا أعرفهم؟ ليتني لم أستيقظ قط... ليت هذه الروح تنطفئ كشمعة ذابلة، وتستريح من هذا الوجع الذي يتآكلني كل ثانية!"

مع إشراق الفجر، اغتسلت وارتدت ثوبها، وتوجهت إلى صالة الطعام. رأت العائلة مجتمعة، والتقطت عيناها نظرات آياتو الصارمة.

وبعد انتهاء الفطور، أسرعت بتنظيف الصحن في المطبخ. وفجأة، تجسد آياتو خلفها وهس في أذنها:

"انتظريني في حجرتك بعد أن تنتهي.. واخفي."

أنهت عملها وصعدت بخطى مسرعة. دخلت الغرفة لتجده واقفاً عند النافذة. التفت إليها بنبرة حازمة: "أغلق الباب.. وأخبريني بقرارك!"

أغلقت الباب بثبات، ونبست بصوت مرتجف لكنه حاسم: "مواقفة... ليس لأنني أثق بك، بل لأن الموت على يدك قد يكون أرحم من بقائي في جحيم يتشاركون فيه تمزيق جثتي."

ارتسمت على شفتي آياتو ابتسامة انتصار ثلجية، وانطلق فوراً نحو قاعة العرش. اقتحم القاعة وانحنى للملك الذي كان يجلس رفقة إيرنست ورايتو:

"جلالتك.. أريد شراء الخادمة أماليا لحسابي الخاص!"

صدم قراره المتهور المتواجدين. سأله الملك بحذر: "ولماذا الإقدام على هذا الفعل؟"

أجاب آياتو بثقة: "وجودها في القصر خطر، والتر يعلم قصتها وهو مغرم بأليسيا ابنة أخ

هوارد المتوفى! سأشتريها منك وأتولى تصفيتها بيدي بعيداً عن الأنظار. فربما تتلاعب أليسيا

بوالتر ويخبرها عن أمر الانتقام"

قال الملك: "ماذا؟ والتر ابني تجمعه علاقة مع ابنة أخ العدو؟ هذا مستحيل!"

هز آياتو كتفيه بعدم مبالاة: "صدق أو لا تفعل، أنت حر، لكن ما أخبرتك به هو الحقيقة!"

مسح الملك جبينه المتعرق وأضاف: "أنت تدرك التبعات؟ سيسحب منك لقب الأمير

وتجرد من كل سلطاتك!"

رد آياتو بصلافة: "أعلم ذلك.. وأنا موافق."

اندفع رايتو نحوه: "آياتو! هل جننت؟ لا داعي للتضحية بإمارتك من أجل خادمة!"

قاطعته إيرنست بنبرة باردة وابتسامة متهمكة: "دعه يفعل ما يشاء يا رايتو.. هو أدرى

بمصلحته وخرابه."

تبادل آياتو وإيرنست نظرات نارية يملؤها الكره المتبادل.

قال الملك بصرامة: "حسناً.. لك ما أردت. سنعقد اجتماعاً رسمياً بعد الغداء بحضور الوزراء لتسوية الصفقة وتجريدك من ألقابك وأملاكك."

انحنى آياتو وخرج، فلاحقه رايتو إلى الممر وأمسك بكتفه:

"أخاه! أستخلى عن العائلة والإمارة من أجل خادمة فانية؟!"

رد آياتو بقسوة: "هي ملكة! وهذه فرصتي لأصعد العرش بدلاً من البقاء خادماً في ظل إيرنست المتعجرف!"

"أأنت جاد في الزواج منها لتبوأ العرش؟ كنت أمزح أنا ذاك اليوم، لو علمت أنك ستخذ الموضوع جدياً لما أثرته!"

"أنا لا أمزح! وسأصبح ملكاً رغماً عن الجميع!"

حدجه رايتو بأسى وازدراء: "لقد تغيرت يا آياتو.. لم تعد أخي الذي يعشق ميادين القتال والمجد، أصبحت عبداً للكرسي والسلطة!" ثم تنحى جانباً.

مر آياتو من أمامه دون اهتمام ودخل غرفة أماليا دون استئذان. وجدها تجلس على الفراش وشاردة بالدموع. خطا نحوها، ومسح عبراتها بأطراف أصابعه بنعومة غير معتادة:

"لماذا هذا البكاء؟ أنا أنقذك من الموت."

قالت بنبرة كسيرة: "أشعر أنني بضاعة رخيصة تُباع وتُشتري.."

رفع رأسها لتلتقي أعينهما: "أنتِ ملكة تتصارع عليكِ ثلاث ممالك عتيدة.. لا تنسي قدركِ." ثم ابتسم ببرود واختفى.

انهارت آماليا بالبكاء مجدداً، تتساءل عن ذنبها في هذه اللعبة السياسية القذرة.

وفي تلك الأثناء، اقتحم والتر ورايتو غرفة آياتو. تقدم والتر بغضب:

"أحقاً تتخلى عن إمارتك من أجل خادمة؟ أجننت يا آياتو؟!"

رد آياتو بجفاء: "لا تتدخل فيما لا يعنيك يا طفل."

قال رايتو بحذر شديد: "آياتو.. لو أصبحت ملكاً لمملكة باكوغو وتزوجتها، باكوغو هي عدوتنا

الأولى! أستحاربنا مستقبلاً؟"

أجاب آياتو: "سأفرض الصلح بين المملكتين حينها."

صرخ والتر: "أنت واهم! إيرنست سيصبح ملك قلعتنا، وأنت ملك باكوغو العدو.. أعتقد أن

إيرنست سيقبل بالصلح؟ سيتخذها فرصة لسحقك وبناء مجده على جثتك! أتريد لأبناء

تشارلز أن ينحر بعضهم بعضاً؟"

آياتو بحدة: "ولم لم تفكر في هذا الشتات حين أحببت أليسيا؟"

والتر: "أنا سأزوج أليسيا ونعيش في كنف القصر، ليس لدي ما أخسره أما أنت فترمي

مستقبلك في الهاوية!"

حدجهما آياتو بنظرة خالية من الرحمة: "أنهيتهم هذه المواعظ البائسة؟ تنحيا عن طريقي..

فلدي اجتماع سأحسم فيه مصيري!"

حين هم بالخروج، استوقفه والتر من ذراعه، وقال بصوت يحاول اخماد غضبه: " لن أنسى إيشاءك بي للملك! المرة القادمة حين تقدم على تحقيق مبتغاك، حاول ألا تقحم الآخرين في شرورك!"

ابتسم آياتو باستهزاء وفك ذراعه من قبضة والتر: " لا تقلق، حين أصير ملك باكوغو سأزوجك أليسيا، لأصبح صهرها من الجهتين!".
ثم غادر تاركا وراءه أخويه المندهشين.

الفصل الثامن: انكسار الإمارة

انسلّ الحاضرون نحو قاعة الاجتماعات الكبرى؛ القاعة الحجرية الشاهقة التي صُممت لتشهد مقدرات الملوك وحروب القباب. كانت الدماء تكاد تتجمد في عروق أماليا وهي تسير خلف آياتو ورؤساء النبلاء، بجسد مجهّد وعينين منتفختين أضناهما البكاء.

انفتحت الأبواب الضخمة، ليتصدر المشهد جمعٌ مهيب من الوزراء، والكهنة، والقادة العسكريين، والمؤرخين النبلاء. حدثٌ تاريخي يعيد رسم خريطة الإمبراطورية: أمير سليل دماء عريقة يتنازل عن إمارته وعرشه من أجل خادمة!

جلس الملك تشارلز عند رأس المائدة العريضة، وعيناه النارية تستقران على آياتو المنتصب بثبات في المنتصف. انطلق الحوار جافاً وعصيفاً؛ تساءل الملك بنبرة رعدية عن الحكمة من شراء الفتاة والبصق على مجد الإمارة، وتحرك القادة والوزراء بلهجة عاتبة يحاولون إثناء الأمير الثاني عن قراره المنتحر، لكن آياتو كان كصخرة عاتية لا تحركها رياح التوسل.

امتدت وثيقة الرق والتنازل المصنوعة من الجلد العتيق. أخذ آياتو الريشة، وغرس توقيعَه بحركات حادة واثقة. تناولت أماليا الريشة بكف مرتجفة، وخطت اسمها إلى جانب اسمه وهي تشعر أن هذه الورقة لم تكن سوى صك ملكيتها الجديدة.

وقف آياتو في منتصف القاعة، ورفع رأسه بشموخ قاتم:

"لم أعد أميراً يسكن هذه القلاط الشاهقة.. لكن تذكروا جيداً، خروجي لا يعني أنني لن أحمي حدود هذه الإمبراطورية إن تطلب الأمر."

تلاقت حدقتاه بحدقتي ولي العهد إيرنست، الذي كان يجلس متكئاً على مقعده، تشكلت على شفتيه ابتسامة تهكمية عريضة. انجلت النوايا؛ لقد انزاح المنافس الشرس عن طريقه، وبات العرش الخالي ينتظر قبضة إيرنست وحده.

تقدم رايتو ووالتر بخطى ثقيلة نحو أخيهما، واحتضناه بعاطفة مكتومة:

"لا تنسانا أيها المتهور.. وزرنا بين الحين والآخر." قال والتر.

"لا تقطع ما بيننا، فلن تتغير حقيقة أننا إخوة تحت هذا السقف، وإن احتجت أي شيء أنا هنا." أضاف رايتو.

ابتسم آياتو لوالتر ابتسامة ساخرة خفيفة، ونبس بنبرة خفيفة:

"حين تتزوج حبيبتيك أليسيا.. ابنة أخ هوارد، سنلتقي كثيراً في بلاطها هناك."

ثم التفت نحو أماليا، وأمسك بكفها الثلجية بقبضة دافئة حازمة، واستدار ليغادر القصر جهاراً وبلا رجعة.

عند البوابة الحديدية الشاهقة، كان الحارس الضخم "آرثر" يقف حاملاً رمحه الثقيل. وما إن اقتربا حتى انحنى لآياتو بجسد خاضع، ونبس بصوت ركيم:

"سمعتُ ما جرى داخل القاعة يا سيدي.. لكنك ستظل في نظري أميراً عالي المقام مهما تجردت من الألقاب."

ضحك آياتو ضحكة مكتومة، وربت على كتف آرثر العريض:

"لا داعي لهذا يا آرثر.. أنت الآن أفضل مني مرتبة، تملك وظيفة تقتات منها، أما أنا فمصارع العراء بلا قرش في جيبي."

رد آرثر بوفاء ثاقب: "لا تقل هذا يا سيدي.. سأكون في خدمتك وسندك في أي وقت تحتاجني فيه."

ربت آياتو على ظهره مجدداً، ثم انطلق ممسكاً بيده أماليا ونفذا نحو أحضان الغابة المظلمة. توارى القصر خلف ظلال الأشجار العتيقة. كانا يسيران جنباً إلى جنب على الممر التراي المبلل بقطرات الندى. استرقت أماليا النظرات نحو جانبه الأيمن؛ أسرها حزمه، وعروق يديه البارزة التي تشي بقوة مفرطة. وبعد مسيرة طويلة أرهقت جسدها الغض، بدأت أنفاس أماليا تتصاعد بجهد، وتلاشت قدرتها على مجارة خطواته الفولاذية.

توقف آياتو، والتفت نحوها بصوته الخشن الصارم: "هل تعبتي؟"

أومأت برأسها خجلاً دون أن تنبس بكلمة. وفي لحظة خاطفة، جلس القرفصاء أمامها، وأسند ظهره نحوها:

"هيا.. اركبي."

ارتبكت أماليا وتراجعت خطوة للخلف بوجل: "كلا يا سيدي.. أنا بخير، أستطيع المشي."

استدار نحوها بنصف وجه ورمقها بنظرة نارية حادة حسمت النقاش: "قلتُ لكِ اركبي!"

انصاعت لأمره تحت هيث صوته المرعب، ووضعت ذراعيها حول عنقه واستقرت على ظهره. وفجأة، شق ثوبه الأسود جناحاه العملاقان الداكنان كعتمة الليل، وهب هواء عاتٍ طير أوراق الأشجار، ليخلق بها في جو السماء برعشة متفجرة! صرخت أماليا بخفة، وغطت وجهها المحمر بقماش قميصه الداكن، متشبثة به بكل ما أوتيت من قوة.

قال آياتو ونبرته تتخللها تهكمية لطيفة: "لا تقولي إنكِ تخافين المرتفعات؟" تمت بصوت مبشوم: "أجل.. أجل!" "تحلمي قليلاً.. لن نطيل حتى نصل."

رفعت أماليا رأسها رويداً رويداً؛ فتحت عينيها لتجد نفسها تسبح في بحر من السحاب الأبيض. شقت أشعة الشمس الذهبية العتمة، ولفحت وجهها الشاحب نسماً دافئة ورطبة. كان اندفاعه في الفضاء وهدهدة أجنحته الشاهقة بمثابة بلسم لجسدها المنهك، فلم تشعر بنفسها إلا وهي تغفو على كتفه، غارقة في نوم عميق. لم تستفق أماليا إلا على صوت نداء خفيض يتردد باسمها. فتحت عينيها ببطء، لتجد نفسها مستلقية فوق فراش ناعم داخل حجرة متواضعة، يغلب على أثاثها الخشب البني الداكن. اعتدلت في جلستها وأخذت تتأمل المكان بذهول هادئ.

سحب آياتو كرسيّاً خشبياً وركزه أمام السرير مباشرة، ثم جلس قبالتها، وحدق في عينيها متسائلاً:

"لماذا أنتِ هادئة إلى هذا الحد؟ لا يتنفس لسانك بكلمة إلا إذا سألتكِ!"

أطرقت رأسها، وحطة الحزن ترتسم على ثغرها.

استطرد آياتو بنبرة أليين:

"أعلم أنك تخافيني.. وربما يتآكلك الفضول لمعرفة أين نحن الآن."

رفعت عينيها وهزت رأسها بإيجاب صامت.

ابتسم آياتو، فتغيرت ملامحه الحادة القاسية إلى لوحة دافئة خطفت أنفاسها:

"ترفضين الكلام.. لا أدري إن كان خجلاً أم رعباً، لكن لا بأس، سأجيبك. نحن الآن في غرفة

صغيرة بمدينة نائية.. اقترضتُ بعض المال لنقيم هنا حتى نجد حلاً لأزمتك."

بدأت الراحة تتسرب إلى قلب أماليا، رغم أن أفكارها كانت تستدعي دائماً صور إيرنست

الغائبة.

نهض آياتو متجهاً نحو الباب، وقال قبل أن يخرج:

"لم يتبق سوى بضعة قروش.. ماذا تشتهين على العشاء؟"

احمرت وجنتاها وتلعثمت خجلاً: "أي.. أي شيء تأتي به سيكون جيداً."

أوماً برأسه وخرج. فور إغلاق الباب، ضربت أماليا جبهتها بكفها وهي تمسح وجهها المحترق

خجلاً:

(يا إلهي!.. إنه يعاملني وكأنني زوجته! كم هذا محرج ومربك!)

قامت تستكشف أرجاء الغرفة، وسرعان ما غرق عقلها في دوامة التساؤلات الحارقة: (كيف سأصل إلى أمي الحقيقية؟ كيف سأواجهها وأسألها عن الجرم الذي ارتكبته بحقي؟ وأنت يا أبي.. رغم أنك لست أبي البيولوجي، لكن حبك وتربيتك لي طوال عشرين عاماً تجعل قلبي يعتصر شوقاً إليك! أريد أن أسمع منك الحقيقة بنفسني..)

سُمع صوت طقطقة المفتاح في القفل. استدارت لتجد آياتو يدخل حاملاً كيس طعام تفوح منه رائحة زكية. وضع الكيس على طاولة خشبية صغيرة في الزاوية وقال:

"هذا ما استطعتُ توفيره الليلة.. هيا لنأكل، فلا بد أن الجوع ينخر أضلاعك."

جلست قبالتها، وأكلا بوجبة بسيطة حتى شبعوا. وما إن انتهيا حتى همت أماليا بجمع الأطباق، لكنه أوقفها بيده:

"استريحي.. لقد مررتِ بيوم شاق."

ردت أماليا بنبرة رقيقة: "دعني أساعدك.. أشعر بالحرَج وأنت تقوم بكل شيء بمفردك كأنني ضيفة ثقيلة."

ابتسم لها آياتو دفئاً: "تفضلي إذن."

مسح فمه، وتقدم ليستلقي على أريكة متآكلة جانب الجدار. لم تكن الغرفة تحوي تلفازاً ولا راديو، ساد صمت ثقيل لم يقطعه سوى حدقتاهما اللتان تتأملان سقف الغرفة الخشبي.

كسر آياتو الجمود بنبرة رخيمة: "حسنًا.. ما هي خطتك الآن؟"

ارتبكت أماليا وتلعثمت: "أنا؟! خطتي؟ لا.. لا أدري، ليس لدي أدنى فكرة..."

قال آياتو بثقة: "لا بأس.. سأخبرك بما ينبغي فعله. أنا أعرف العنوان التقريبي لقلعة والدك 'سيلفينا'. سننطلق غداً لاستجوابها واعتصار الحقيقة منها لمعرفة مكان قلعة والدك الملك 'هوارد'، رغم أنه عدونا منذ قرون لا أعلم مكان قلعته، لا أدرك السبب الذي يدفع الملك لإخفاء أمر كهذا عني."

ردت أماليا بشك حزين: "ولكن.. لا أظن أن امرأة باعت ابنتها للعذاب ستستقبلنا بترحاب أو تقدم لنا المساعدة."

رد آياتو: "أدرك ذلك جيداً.. لكنها أملنا الوحيد للوصول إلى والدك. وحين تجدين 'هوارد'، سيعترف بكِ ويجعل منكِ ملكة فوراً، فهو يتعطش لدماء حقيقية تحمل جيناته، وأنتِ وريثته الوحيدة."

تنهدت أماليا بمرارة: "أتمنى ذلك.. لقد فقدت القدرة على الثقة بأي أحد، حتى نفسي أصبحتُ أتوقع منها الخيانة."

ثبت آياتو حدقتيه الزمرديتين في عينيها وقال بصرامة حنونة:

"ثقي بي.. كما انتزعْتُك من براثن الموت في قصر كايدي، سأُنقذك من هذا الكابوس وأجلسك على العرش في قصر باكوغو، فلا تقلقي."

ابتسمت بنقاء: "شكراً لك."

ساد الصمت مجدداً، ليعود الجدار الجليدي بينهما. تنحنح آياتو وقال:

"لماذا تصمتين فجأة هكذا؟ ألا ترغبين في الحديث معي؟"

أطرقت رأسها: "كلا.. ليس الأمر هكذا."

"إذن ما الأمر؟ دعينا نصبح أصدقاء.. لماذا تخافين من الشخص الذي افتدى حريتك بإمارته؟ وبصراحة، أنا لم أعد أميراً وأنت لست خادمة؛ نحن الآن اثنان من عامة الشعب، متساويان تماماً."

رفعت وجهها المحمر: "هذا بالتحديد هو ما يثقل صدري بالخجل!"

"ماذا؟ ما الذي يخجلك؟"

انسكبت النبرة من حنجرتها بصدق موجه:

"كونك تتخلي عن إمارتك العتيدة، وتضحى بكل مجدك وممتلكاتك من أجلي! هذا دين أثقل من أن يحمله كتفاي.. أشعر أنني السوسة التي دمرت حياتك؛ كنت أميراً في قصر فخم يخدمك النبلاء، وها أنت الآن تستلقي على أريكة ممزقة في فندق رخيص، تأكل معي معكرونة سريعة التحضير.. كل هذا بسبب وجودي المشؤوم!"

ابتسم آياتو بعمق، واستند بكتفه على الأريكة:

"حسناً.. لا تحملي نفسك كل هذا الوزر. اعتبري ذلك ديناً موجباً، ورديه لي حين تجلسين على العرش وتتوجين ملكة.. ما رأيك؟"

ردت بلهفة: "بالتأكيد سأفعل! هذا أقل ما أقدمه لرد جميلك الخرافي."

"هذا مريح جداً.. إذن، كيف نقضي وقتنا الآن؟"

تأملت الحجرة ثم ههممت: "ممم.. لا أدري."

"ما رأيك ب لعبة بسيطة؟"

"لعبة ؟ كيف؟"

"يسأل كل منا الآخر سؤالاً يجيب عنه بصدق.. هكذا نكسر الجليد ونعرف عن بعضنا أكثر،

ما رأيك؟"

أشرقت ملامحها: "فكرة ساحرة! سأبدأ أنا أولاً."

ابتسم: "تفضلي.. كلي آذان صاغية."

فكرت أماليا لثوانٍ، ثم سألت بفضول مشتعل:

"هناك أمر يراودني دائماً.. ما هي القدرات الخارقة التي تمتلكونها كمصاصي دماء وكيف

تكتسبونها؟ لقد رأيتُ قدراتك وقدرات الأمير إيرنست وهي تتجاوز حدود العقل!"

عدل آياتو من جلسة ونبس بشرح شائق:

"لكل مصاص دماء ذكر قدرتان خاصتان يكتسبهما عند البلوغ. أنا مثلاً أمتلك قوة الطيران

بأجنحة الظلام والاختفاء التام عن الأبصار. أما إيرنست.. فهو يمتلك قدرة قراءة الأفكار

والتنقل اللحظي أسرع من الضوء. ورايتو لديه قوة جسدية مرعبة تستطيع طحن الرخام

بيديه العاريتين، إلى جانب التحكم بالأشياء عن بعد بالنظر. أما والتر الصغير، فبقوته السيطرة

على العقول والتلاعب بالأحلام. والملك تشارلز لديه استشعار الكذب والتنقل بين الأبعاد."

اتسعت عيناها بذهول: "وماذا عن والدتك؟"

"إنّاث مصاصي الدماء أضعف بنية، لذا يمتلكن قوة واحدة فقط. أمي كانت تمتلك قدرة التنبؤ بالمستقبل."

"وأين هي الآن؟"

انحسرت الابتسامة من وجهه وقال بنبرة شجن خفيفة:

"تركّتنا ونحن أطفال.. كان عمري حينها عشر سنوات. تنبأت أن والدي سيهجرها في

المستقبل، فقررت أن تبادره بالهجر أولاً! هربت ولا نعرف أين هي للآن!"

شهقت أماليا ووضعت يدها على فمها:

"يا إلهي!.. أشعر بالحرج الشديد منك!"

"لا ذنب لك في ذلك... فلم الخجل؟" تنهد بقوة ثم أكمل: "واصلي سؤالك!"

"حسناً.. سؤال آخر يشغل بالي؛ أنتم مصاصو دماء، لكنني لم أر أحداً منكم يشرب قطرة دم

واحدة في القصر!"

ضحك آياتو بنبرة خفيفة: "آه.. هذا موضوع حساس. مصاصو الدماء ينقسمون حسب

العقيدة؛ هناك فصيلة متوحشة تتغذى على دماء البشر، وفصيلة تتغذى على دماء

الحيوانات، وفصيلة مسالمة تميل لامتصاص اللون الأحمر من المادة دون حاجة للدماء."

ارتجفت أماليا وسألته بحذر: "وأنت من أي فصيلة؟"

قال بجفاء ناري وهدوء مرعب: "أنا أتغذى على الدماء البشرية الدافئة..."

شحب وجه أماليا واصفرت وجنتاها رعباً، فانفجر آياتو ضاحكاً بحرارة:

"يا لك من سريعة التأثر! كنتُ أمزح معكِ! نحن نتبع الفصيلة المسالمة التي تمتص اللون الأحمر وتأكل طعام البشر العادي.. لا داعي للربح!"

تنهدت أماليا ووضعت يدها على قلبها المتسارع: "كاد قلبي أن يتوقف عن النبض!"

ابتسم آياتو ورنا إليها بنظرة دافئة: "لا تخافي.. أنا فقط ملاككِ الحارس."

ابتسمت أماليا ومالت برأسها: "للملاك أجنحة بيضاء ناصعة.. أما أنت فأجنحتك سوداء ليلية!"

رد ببريق زبرجدي في عينيه: "إذن.. أنا ملاككِ الأسود."

ترددت الكلمة في أذنيها بعدوبة: "(ملاكي الأسود).. أعجبنى هذا اللقب كثيراً."

"هذا ممتاز.. الآن جاء دوري، لم أسألك شيئاً بعد."

"تفضل.. اسأل ما تشاء."

سكن آياتو لثانية ثم سأل: "هل كان لكِ أصدقاء في عالم البشر؟"

قالت بوفاء وابتسامة حزينة: "كانت لي صديقة واحدة مقربة جداً تُدعى 'إيميلي'.. كنا أكثر

من إخوة. لكنها فقدت والديها في حريق مروع، وانتقلت للعيش مع جدتها في الريف النائي

واندثرت أخبارها. اشتقتُ إليها جداً."

رد آياتو: "حين تتوجين ملكة.. سنرسل الحراس للبحث عنها وإحضارها إليك."

أشرق وجهها: "فكرة خيالية! أكمل أسئلتك."

"هل كنتِ تلميذة مجتهدة؟"

"بل كنتُ الأولى دائماً! لكن الفقر والعمل الشاق أثقلا كاهلي في السنوات الأخيرة وتراجعت درجاتي."

"ماذا كنتِ تتمنين أن تصبحي؟"

"كنتُ أحلم بأن أصبح طبيبة.. كي أداوي والدي المقعد، لكن الأقدار جرفتني بعيداً عن دراستي."

"وما حاجتكِ للدراسة الآن وأنتِ سيدة عرش قادمة؟"

ردت بكرامة كبرياء: "أردتُ أن أبني مجدي بمجهودي الشخصي، لا بالوراثة."

قال بتقدير: "سنكمل دراستكِ وتصبحين طبيبة.. فقط دعينا ننهي هذا الكابوس أولاً."

ثم أطرق آياتو، وثبت عينيه في عينيها بنظرة حادة غائرة، وسأل بصوت خفيض حمل ثقلًا غير مفهوم:

"سؤالي الأخير.. هل أحببتِ أحداً من قبل؟"

تجمدت الأنفاس في صدر أماليا. تصاعدت الحمرة في وجنتيها، واحتشدت في ذهنها ملامح إيرنست الحادة، ونظراته العسلين التي أسرت روحها. تلعثت ونبست بنبرة خافضة:

"ن.. نعم."

ضاقت حدقتا آياتو وسأل بصوت مشدود: "ومن هو؟ هل يمكنني معرفته؟"

أطرقت رأسها بخجل: "كلا.. لا أستطيع إخبار أحداً."

اقترب بنصف جسده وسألها بحدة مكتومة: "ولماذا؟ هل أعرفه؟"

زاد توترها واضطربت أنفاسها: "ك.. كلا! أنت لا تعرفه مطلقاً!"

في تلك اللحظة، أيقن آياتو الحقيقة المرة؛ تذكر كلماتها المكتومة في القصر، ونحيبها باسم

إيرنست في غرفتها الشاحبة. اشتعلت في عروقه الميته غيرة نارية حارقة طحنت كبرياءه.

قاطعته آماليا متسائلة ببراءة كي تهرب من استجوابه: "ماذا عنك يا آياتو؟ هل أحببت يوماً؟"

نهض آياتو فجأة من كرسيه، واستدار بظهره نحو الأريكة دون أن ينظر إليها، ونبس بجفاء

حاد:

"تأخر الوقت كثيراً.. غداً ينتظرنا يوم شاق للوصول إلى قلعة والدتك. هيا ننام.. سأنام أنا على

الأريكة، واستلقي أنتِ على السرير."

اتكأ على الأريكة، وانغمست حدقتاه في السقف المظلم بصمت واجم. أما آماليا، فقد

التحفت بغطائها الداكن، وأغمضت عينيها وهي تستمع إلى صرير الرياح خارج الفندق

المتواضع.

الفصل التاسع: في بلاط 'لاود'

أشرق الصباح ينسلّ من بين الشقوق الحجرية كخيوط من ذهب باهت، حاملاً بين طياته وعوداً بأحداث جثام تزلزل ما تبقى من حياة أماليا. استيقظت على صوت آياتو الرخيم وهو يهز كتفها برفق عاطف. فتحت عينيها الثقيلتين لتجد "ملاكها الأسود" قد أعد لها مائدة طعام بسيطة، ووضع إلى جوارها ثوباً مخملياً مطويّاً بعناية.

قال وهو يعتدل في وقفته بنبرة حازمة لا تخلو من الدفء:

"تناولي فطورك، ثم استحي وارتدي هذا الفستان.. علينا الانطلاق فوراً إلى مملكة لاود."

ثم غادر الحجر ليترك لها مساحتها الخاصة. نفذت أماليا ما طلب منها بذهن مشتت وقدمين ترتجفان. وحين خرجت من الحجر، كان آياتو ينتظرها متكئاً على الجدار الخشبي.

جالت حدقتاه الزمرديتان في تفاصيلها من الأخص حتى الرأس؛ كانت ترتدي فستاناً أسود طويلاً وواسعاً، يلتف حول خصرها إزار أبيض ناصع، وسدلت شعرها الحريري الطويل خلف ظهرها، فبدت ملامحها الشاحبة وعيناها اللوزيتان اللتان تحيط بهما هالة من الطفولة، وكأنها طفلة غضة جرفت الأقدار إلى عالم القساة.

ابتسم آياتو ابتسامة ساخرة خفيفة، ونبس وهو يحك ذقنه:

"أوه.. تبدين كطفلة صغيرة حقاً! لم يكن يجدر بي شراء هذا الفستان، لم أظنه سيبدو عليك بهذا الحجم!"

ذبلت ملامحها واحمرت وجنتاها حرجاً: "حقاً؟ هل مذهري سيئ إذن؟ ماذا سنفعل؟"

رد بلهجة مطمئنة: "لا شيء.. أنتِ صغيرة السن على أية حال، لستِ كبيرة."

لاحظت أنه غير ملابسه أيضاً، سرحت في تفاصيله؛ قوامة الممشوق، كتفاه العريضان،

وهيبته الطاغية التي تخفي خلفها أسراراً لا تنتهي. حدثت نفسها بفضول مشتعل: (كم يبلغ

من العمر يا ترى؟ أريد أن أعرف الآن.. هل أسأله؟ لا أظن أن الوقت مناسب...)

قاطع آياتو حبل أفكارها وهو يتجه نحو الباب: "هيا بنا.. لقد تأخرنا."

خرجوا من الفندق المتواضع وشقا طريقهما عبر الأزقة النائية. وما إن ابتعدا عن أعين المارة

حتى خفض آياتو جسده وجلس القرفصاء أمامها، مشيراً إلى ظهره الصلب بقلة صبر حبية.

استقرت فوق ظهره بتوتر، وما هي إلا ثوانٍ حتى انشق الهواء بصرخة خافقة، وبرز جناحاه

العملاقان الداكنان كعتمة الليل، ليحلق بها في جو السماء برعشة متفجرة.

هذه المرة، لم تغمض أماليا عينيها؛ تركت لنسمات الهواء الرطبة الحرية كي تداعب خصلات

شعرها وتطيرها في الفضاء.

ابتسم آياتو وهو يشعر باسترخاء جسدها: "إذن.. يبدو أن عقدة رهاب المرتفعات قد

تلاشت؟"

ردت بصوت ناعم تتخلله ضحكة خفيفة: "أنا بخير تماماً.. المنظر من هنا ساحر ومذهل

جداً."

علق بتهكمه اللطيف: "المنظر؟ تقصدين مذهري إذن؟"

ضحكت بخجل، ثم استجمعت شجاعتها مستغلة هذه اللحظة من الصفاء:

"آياتو.. أريد أن أسألك سؤالاً يسيطر على تفكيري منذ البارحة، هل تسمح لي؟"

"تفضلني.. اسألي ما تشائين."

بلعت ريقها ونبست: "أنت تعرف عمري بالكامل.. لكنني لا أعرف شيئاً عن عمرك، كم تبلغ

من السنين؟"

صمت آياتو لثوانٍ وهو يخفق بجناحيه بثبات، حتى ظنت أنه سيتجاهل السؤال، ثم قال

بنبرة هادئة:

"عمري في تقويمنا تقريباً.. اثنان وثلثون عاماً."

توقفت أماليا عن التنفس للحظة، وبدأت حساباتها الداخلية تتلاطم: (إنه يكبرني بتسعة

عشر عاماً كاملة! هذا فارق هائل.. إنه يكبرني بكثير، ومخيف في بعض الأحيان بصفته

مصاص دماء، ماذا عساي أن أفعل إن طلب الزواج مني لرد الدين؟)

قبل أن تسترسل في مخاوفها، شعرت بالهواء يثقل، وبدأت أقدام آياتو تلامس أرضاً رطبة

مغطاة بالأوراق اليابسة. نزل على الأرض في منتصف غابة كثيفة العشب، فنزلت من على

ظهره وعدلت أطراف فستانها المجهزة.

تأملت المكان وسألت: "أين نحن الآن؟"

أجابها بصوت خفيض وهو يتراجع خطوة:

"هذه الغابة تشكل الحدود الجنوبية لمملكة سيلفينا. سأختفي الآن عن الأنظار لأن الملكة تعرف وجهي ورائحتي، وإن رأيتني معك فلن تمنحك أي قطعة معلومة. لكنني سأكون إلى جوارك كظلك.. أسمعك وأراك."

ارتبكت وأمسكت بطرف أكمامها: "ولكن.. كيف سأعرف الطريق إن اختفيت أنت؟" وضع يده على كتفها بقوة دافئة: "واصل السير دائماً للأمام، ستظهر لك القلاط الشاهقة خلف هذه الأشجار الكثيفة. لا تجعلني أحداً يشعر أن هناك من يرافقك، وسأكون هناك لأحميك إن حذق بك أي خطر.. اتفقنا؟"

أومأت برأسها بثبات مستمد من وجوده، وانطلقت بخطى متأنية. بعد مسيرة دقائق بين جذوع الأشجار الشاهقة، انجرف الضباب ليتكشف عن قلعة حجرية مهيبه، تحيط بها أسوار سوداء مدببة كأنياب الوحوش. أسرعت أماليا خطواتها حتى وقفت أمام البوابة الحديدية الشاهقة، ونادت بصوت مرتجف على الحراس. خرج لها حارس بشري ضخمة، يرتدي درعاً فضياً يحمل شعار الأفعى الملتفة، رمقها بنظرة ازدراء:

"من أنت؟ وماذا تبتغين عند أبواب القلعة الملكية؟"

ردت أماليا بنبرة حاولت جعلها حازمة: "أريد مقابلة الملكة سيلفينا.. فوراً!"

قطب الحارس حاجبيه بغضب: "هل جئت؟ إنها الملكة! كيف تسمحين لنفسك بطلب مقابلتها هكذا دون إذن أو موعد سابق؟ من أقول لها إنك تكونين؟"

صرخت أماليا والتوتر يعتصر أحشاءها: "قل لها إن هناك فتاة تريد مقابلتها في أمر يمس حياتها! هل هذا صعب عليك؟"

تأمل الحارس إصرارها وعينيها المشتعلتين، ثم زم شفثيه ودخل من البوابة الصغيرة. بقيت أماليا واقفة تجيل بصرها في الفضاء الممتد حولها بحثاً عن أي أثر لآياتو، لكن الهباء كان فارغاً تماماً، غير أنها كانت تشعر بنسمة دافئة تحيط بكتفها كدليل غير مرئي على وجوده. بعد فترة ليست بالقصيرة، انفتحت البوابة وقال الحارس بجمود: "ادخلي."

خطت أماليا إلى الداخل، وآياتو يتبعها كخيال غير مرئي. عند مدخل القصر العريض، استقبلتها حارسة ذات ملامح صارمة، فتشتها بدقة متناهية من رأسها حتى أخمص قدميها، للتأكد من خلو ثيابها من الخناجر، ثم قادتها عبر ممرات الرخام الأبيض نحو قاعة استقبال واسعة يعبق منها عبق الفل والمسك.

كان يقف في منتصف القاعة شاب ثلاثيني، ذو ملامح ملكية حادة، وشعر أسود متدرج، وعينين تشبهان عيني أماليا إلى حد مذهل. وما إن وقعت حدقتاه عليها حتى وقف من مجلسه وتقدم بخطى واثقة ورزينة نحوها:

"تفضلي.. ما الذي أتى بك إلى بلاطنا؟"

نظرت أماليا إليه، وانقبض قلبها بشدة: "أريد مقابلة الملكة سيلفيينا."

وقف الشاب قبالتها وقال بنبرة فخورة: "أنا ابنها، وولي عهد هذه المملكة.. من أنت؟"

تجمدت الدماء في عروق أماليا، وشخصت عيناها في وجهه المليء بالتفاصيل الساحرة. دارت

أفكارها في دوامة عنيفة: (هل هذا أخي؟ أخي البيولوجي الذي يشاركني نفس الدماء

والجينات؟ ألي أخ حقيقي؟)

لاحظ الشاب ذهولها وتأخرها في الرد، فزم شفثيه وقال بنبرة أشد حزماً:

"قلتُ لكِ من أنتِ؟ ألا تسمعين؟"

استدارت أماليا عن عينيه بتلعثم وضياح: "آه.. أنا.. لا شيء! أنا لا أحد.. فقط أريد الملكة في

أمر بالغ الأهمية، وأنا مصرة على رؤيتها شخصياً."

تأمل إدوارد شحوب وجهها ودموعها المكتومة، فلانت نبرته قليلاً:

"الملكة ليست في القصر الآن، إنها في اجتماع خارج العاصمة.. اذهبي وارتاحي، سأطلب من

الخدم تقديم وجبة طعام لكِ في حديقة القصر حتى تعود."

سألت بنبرة متلهفة: "شكراً لك.. ولكن متى ستعود الملكة بالضبط؟"

"بعد قليل، ربما بعد ساعة أو ساعتين.. انتظريها في الحديقة."

خرجت أماليا برفقة الأمير الشاب إلى الحديقة الملكية الغناء، حيث قادها نحو طاولة رخامية

فخمة تظللها أشجار الياسمين. جلس قبالتها بعد أن أمر الجواري بوضع أصناف المأكولات

الملكية.

سند ذقنه على كفه ورمقها بنظرة تفحص عاطفية:

"ما اسمك يا فتاة؟"

ترددت في إجابتها وهي تشعر بوطأة الموقف، ثم همست: "أدعي أماليا.. ماذا عنك؟"

ابتسم الشاب ابتسامة دافئة شقت جمود ملامحه:

"أنا إدوارد.. تعرفين، أشعر أن وجهك مألوف جداً لي، وكأنني رأيتُ هذه العينين في مكان ما من قبل!"

اضطربت أماليا ونظرت إلى الأطباق أمامها: "أنا أيضاً.. ملامحك ليست غريبة علي إطلاقاً."

وفي هذه اللحظة، كان آياتو يقف شامخاً ومختفياً عن الأنظار على بعد خطوات قليلة، يتكئ

على جذع شجرة، ويراقبهما بنظرة ساخرة وممتلئة بالحسرة، ونبس في سريره:

(ساذجان حقاً!.. بالطبع ستعرفان بعضكما، فدماء واحدة تجري في عروقتكما وتصرخ

بالانتماء.)

بدأت أماليا وإدوارد يتناولان الطعام بصمت تتخلله نظرات متقطعة حائرة، وآياتو يرصد كل

حركات إدوارد بعيون صقر مستعدة للفتك إن بدرت منه أي حركة مريبة.

فجأة، شق صمت الحديقة حارس مهول، انحنى أمام الأمير وقال بصوت متهدج:

"أيها الأمير.. لقد وصلت الملكة وهي الآن في قاعة العرش!"

انتفضت أماليا من مقعدها، واندفعت نحو الحارس بلهفة الحريق: "هيا!.. خذني إليها فوراً!"

ابتسم إدوارد لرؤية اندفاعها، ونهض بوقار: "اتبعيني يا أماليا."

كان يسير في المقدمة بخطى ملكية واثقة، وأماليا تتبعه بقلب يخفق كطبل الحرب، وخلفهما ينساب أثر آياتو غير المرئي. وصلا إلى قاعة ضخمة، ذات أبواب ذهبية مرصعة بالياقوت.

وقف إدوارد عند الباب، وقال بنبرة هادئة:

"انتظريني هنا لحظة."

دخل القاعة، وتركت أماليا تنتظر أمام الباب، تعتصر يديها الوجلتين وتستمع إلى دقات قلبها

التي تكاد تشق صدرها. بعد ثوانٍ معدودة، خرج إدوارد وأشار لها بيده: "ادخلي.. إنها

تنتظرك."

خطت أماليا أولى خطواتها داخل قاعة العرش الشاهقة. وفي نهاية السجاد الأحمر الممتد،

كانت تجلس امرأة على عرش ذهبي عريض؛ امرأة ستيينية المظهر لكنها تتوهج بجمال ساحر

لا يشي بسنها، تعطي رأسها تاج من الماس، وتلتف برداء ملكي أرجواني.

تلاقت الأبصار.. تقابلت عينا أماليا بعيني سيلفينا الباردين القاسيتين.

شعرت بوخز ناري ينخر منتصف قلبها؛ كان الشبه بينهما صامتاً ومفجعاً! التفاصيل ذاتها،

الانحناءات ذاتها، ولون العينين الفريد. صرخت روح أماليا من الداخل بمرارة مسمومة: (هذه

أمي الحقيقية!.. نعم، أنا أشبهها حد الذهول! هذه الحقيبة التي باعني للدمار، كيف لها أن

تجلس بكل هذا البذخ بينما كنت أعاني السياط والذل؟)

رمقتها الملكة سيلفينا بنظرة استعلاء باردة، ونبست بصوت رخيم لا تحمل نبراته أي ذرة من

العاطفة:

"من أنت؟ وماذا تبغين في بلاطي أيتها الغريبة؟"

انكسرت روح أماليا في تلك اللحظة؛ انسكبت دمعتان ساخنتان جرفتا كبرياءها، وتلعثمت

شفتان المرتجفتان وهي تحاول النطق:

"أ.. أدعى... أماليا..."

ضاقت عينا سيلفينا دون أن تحرك ساكناً، وقالت بنبرة جافة كالصحراء:

"اسمك أماليا إذن!.. وماذا تريدان؟"

أطرقت أماليا رأسها، وانفجرت بالنحيب والبكاء المسحوق الذي هز أركان القاعة الشاهقة.

كان اسم "أماليا" هو الاسم الذي أطلقه عليها والدها المربي، لكن سيلفينا لم يهتز لها جفن،

ولم ينبض قلبها بأي أثر لذكرى طفلتها المفقودة أو المبيعة! أيعقل أن اسمها لم يحرك ساكناً

في روح هذه المرأة؟ ألا تعرف حتى اسم طفلتها التي انتزعتها من أحشائها؟

رفعت أماليا رأسها رويداً رويداً، والدموع الساخنة تحرق وجنتيها كالشرار، فنظرت في عمق

عيني أمها القاسيتين، ونبست بصوت مكسور، يقطر قهراً وشجناً أدمى قلب آياتو المختبئ في

الظلال:

"أ.. أمي..."

الفصل العاشر: شباك الزيف

شحب وجه الملكة سيلفيينا، وجف الريق في حلقها للحظات خاطفة، بينما دارت عيناها الحائرتان بين وجه أماليا المبلل بالدموع ونظرات إدوارد المتشككة التي تحولت إلى علامات استغراب صارمة؛ اتسعت حداقتا سيلفيينا، واندفعت تشق المسافة بينهما بنشيج مفتعل:

"أماليا؟! أيعقل أن تكوني أنتِ طفلي الضائعة؟! لا أصدق عيني.. قسماً بالعرش، لقد أمضيتُ السنوات أكتوي بنار البحث عنكِ في كل أرجاء الإمبراطورية.. أخيراً عدتِ لأُمكِ يا قطعة من روحي!"

ضمت أماليا إلى صدرها بدفء مفرط، وانخرطت في بكاء ونشيج هز أركان قاعة العرش. في تلك اللحظة، شعر قلب أماليا الغض بخفقة غريبة؛ انزاحت الغشاوة السوداء التي غرسوها في عقلها، واستعادت روحها أنفاسها: (إنها لم تتخلَّ عني إذن كما زعموا! كانت مظلومة طوال الوقت وتنتظر عودتي!).

بادلتها العناق بشغف، واعتصرت ثوب أمها المعطر وهي تبتسم من بين الدموع المنهمرة على وجنتيها.

تراجعت سيلفيينا خطوة إلى الخلف، وأخذت كفها المزينتان بالجواهر تمسحان على شعر أماليا الناعم، وتتحسسان خدها الساخن بشوق ولهفة. ثم التفتت نحو إدوارد ونبست بصوت يرتجف عاطفة:

"انظر يا بني.. هذه أختك أماليا! انظر كيف تنطق ملامحها بالانتماء لي.. لقد انتزعت من حضني منذ سنوات، وها هو القدر يعيدها لي لتسترد حقها."

عقد إدوارد حاجبيه، ورمق أماليا بنظرة تفحص باردة تجردت من أي ود، ثم قال بصوت أجش يتخلله الاشمئزاز:

"منذ متى أملك أختاً أخرى؟ ومن يكون سليل هذا العار الذي ينبض في عروقها؟ هل يملك أبي أدنى علم بوجودها؟"

رمقته سيلفينا بنظرة حازمة أسكتت ثورته: "سأروي لك تفاصيل القصة لاحقاً يا إدوارد.. هيا، صافح أختك الآن."

تقدم إدوارد بخطى ثقيلة، ممتلئاً بالنفور، ومد طرف أنامله ليلا مس يدها بسرعة خاطفة، ثم استدار ومضى يجر أذيال غضبه خارج القاعة دون أن ينبس بكلمة أخرى.

التفتت سيلفينا نحو أماليا وابتسمت ابتسامة عريضة تسلل الدفء من بين ثناياها:

"لا تعبئي بجفاء أخيك.. أرى أن السفر أضناك يا حبيبتي. سأفرد لك جناحاً خاصاً ترتاحين فيه حتى نسوي جميع أمورك ونعيد هيبتك الملكية.. يا إلهي، كم اشتقتُ لرؤيتك!"

غمرت الفرحة قلب أماليا البسيط، وتوردت وجنتاها الشاحبتان بشعور أمان نسيت طعمه منذ أمد. تبعت إحدى الجواري نحو غرفة فاخرة تعبق برائحة الفل، أثاثها محفور بماء

الذهب. وما إن أغلقت الباب خلفها حتى ارتمت على السرير الوفير، وغطست وجهها في

الوسائد والابتسامة المشرقة تجتاح ملامحها.

وفجأة، شق الأثير ضباب أسود، وتجسد آياتو أمام السرير مباشرة، متكئاً بذراعيه على عمود السرير بنبرة جافة كالحديد:

"أحقاً صدقتِ أن هذه الشمطاء تحبكِ، وأن دموعها حقيقية؟"

تلاشت الابتسامة عن ثغر أماليا، واعتدلت في جلستها مستنكرة: "ألا يحق لي ذلك؟ ألا تراني بشرية تملك قلباً؟"

رد بجمود ثاقب: "قبل أن تتورطي في هذا الوهم، عليكِ ألا تتعلقي بامرأة تتخذ من الخداع حرفة. أنا أعرف سيلفينا وتاريخها الأسود تماماً.. لا تمنحها ذرة ثقة."

هزت رأسها بقلة حيلة دون أن تقتنع بكلامه، فنبهها صوته المجهد وهو يفرك جبهته:

"أنا مرهق للغاية.. السير والاختفاء امتصا طاقاتي."

نظرت إليه أماليا برأفة ورقة: "تعال ونم على السرير إذن.. سأكتفي أنا بالأريكة."

ابتسم آياتو ابتسامة حنونة أذابت قسوة وجهه: "كلا.. لا بأس، ينبغي أن أظل ساهراً لأكون حارسك في هذا العرين."

أطرقت رأسها خجلاً من اهتمامه، ثم رفعت عينيها ببريق عذب: "إذن.. لن أنام أنا أيضاً،

سأبقى مستيقظة معك."

ضحك آياتو ضحكة خفيفة ملأت أركان الغرفة: "الخيار لك."

استقر هو على الأريكة المذهبة، بينما جلست هي على طرف الفراش، يتبادلان النظر في

صمت ناعم. كسر الحرج الذي يغلف الأجواء هذه المرة بفضل جرأتها الناشئة، حين نادته:

"آياتو سيدي.. هل لي أن أسألك؟"

تغيرت ملامحه فوراً، وانعقد حاجبه الأيسر بنبرة تهديد ساخرة:

"لا تناديني بـ 'سيدي' مرة أخرى.. وإلا تركتُك ورحلتُ عن هذه المملكة!"

طأطأت رأسها بحزن همس: "آسفة.. لكنك سيدي بحكم الواقع، لقد اشتريتني بمالك وصائع

وثيقتك من القصر."

رد آياتو وهو يثبت عينيه القاسيتين عليها، وبنبرة خافضة امتلأت بثقل مكتوم:

"أنتِ كل ما أملك يا أماليا.. ولولا خوفي من أن تتخلي عني في أي لحظة، لمزقتُ وثيقة

ملكيتك ولحررتُك منذ زماني البعيد."

ارتجف صوتها: "ومن قال إنني سأتخلي عنك؟ هذا محال!"

تنهد آياتو ورمق السقف بنظرة مظلمة:

"حين يجلس تاج الملكة على رأسك، من يدري أين ستأخذك أطماعك؟ ربما تركضين نحو

الذراعين اللتين تشتهييهما وتتزوجين بالذي أحببته.. وحينها سأغدو أنا الخاسر الوحيد في

هذه اللعبة الشيطانية."

ردت بلهفة مخلصّة: "لستُ ناكرة للجميل! لقد وعدتُك أن أمنحك عقد زواج وأن أجعل

منك ملكاً يطاع.. رداً لمعروفك الخرافي معي."

انحرف ثغره بابتسامة مريّة: "أفهم من هذا أنك ستتزوجيني بدافع رد الدين والحسابات.. لا

لأنك ترينني فارسك وملاذك؟"

عقدت أماليا لسانها وأنزلت عينيها نحو حجرها في صمت قاطع.

استطرد آياتو بنبرة ثلجية: "أعلم أن قلبك الصغير معلق برجل آخر.. لكن لا تقلقي، سوف يختفي قريباً من عالمك."

انتفضت أماليا ونبست دون وعي: "ما الذي سيختفي؟ حبي له.. أم هو بحد ذاته؟"

ابتسم آياتو ابتسامة جانبية شريرة تتلاءم مع هويته كأمر ظلام: "كلاهما."

تجمعت ملامح الصدمة على وجه أماليا، ودارت الأفكار في عقلها كعاصفة هوجاء: (ماذا ينوي أن يفعل؟ هل سيغتال أخاه؟ هل سيؤذي إيرنست؟ كلا يا آياتو.. لا تفعل ذلك! أعلم أن إيرنست قاسٍ ومتحجر الفؤاد، لكنني لا أحتمل رؤيته يسقط على يدك!)

سعل آياتو خفيفاً ليكسر طوق أفكارها، وقال بنبرة هادئة: "بمن تفكرين الآن؟"

لزمت الصمت، فضغط عليها بنظراته النارية: "هيا.. أخبريني من هو هذا الذي أسر قلبك؟"

تنهدت بعمق، واستجمعت شجاعتها المنكسرة، وهمست باسمه كذنب: "إيرنست.. إنه

الأمير إيرنست."

لم يتغير انفعال آياتو، ولم يتحرك في ملامحه ساكن، مما زاد من ذهولها، ونبس ببرود:

"أجل.. كنت أدرك ذلك منذ اللحظة الأولى."

ترددت، ثم سأله بخوف تتسارع معه دقات قلبها: "هل.. هل ستقتله؟"

انفجر آياتو بضحكة عالية ساخرة هزت أركان الحجر، ثم سكن فجأة وتحدث بصوت

كالهمس المرعب:

"لستُ بهذا الشر يا أماليا!.. لكنه هو من سيدمر نفسه بنفسه."

"هل ستجعله ينتحر؟"

"كلا.. لن ألوث يديّ به. ستثبت لك الأيام كيف يلتهم طمع الكائن روحه ويحوّله إلى ركام."

بقيت أماليا شاخصة فيه، لا تفهم مغزى كلماته الغامضة، حتى شق الصمت فجأة صوت

وقع أقدام خفيفة تتقدم نحو الباب. وفي لمح البصر، تلاشى آياتو متحولاً إلى طيف غير

مرئي، بينما ارتمت أماليا على الفراش وأغلقت عينيها مدعية النوم.

انفتح الباب بهدوء، ودخلت سيلفينا بخطى متأنية. جلست على حافة السرير إلى جوار أماليا،

وأخذت تمسح على شعرها بحنان ظاهر، في حين كان آياتو يتأهب في الظلال كفهد مستعد

للاقتضاض إن أبدت سيلفينا أي حركة مريبة.

قربت سيلفينا وجهها، وهمست بنبرة خافتة امتلأت بغل مكتوم:

"أخيراً.. عادت لي طفلي الحبيبة. كم انتظرتُ هذه اللحظة كي أسترديكِ إلى حضني! ذلك

الوغد هوارد.. حرمك مني وحرمني منك طوال هذه السنين. اللعنة عليه وعلى بني جنسه

القذرين من مصاصي الدماء!"

ثم مدّت يدها، وغطت جسد أماليا باللحاف الحريري بعناية، وطبعت قبلة دافئة على

جبهتها قبل أن تنسحب وتغلق الباب خلفها.

وما إن خفت أصوات خطواتها حتى ظهر آياتو مجدداً في منتصف الغرفة، وفتحت أماليا عينيها المذهولتين. استقرت نظراتهما على بعضهما في حالة من الدهول المطلق والصدمة العارمة.

تمت أماليا بصوت يرتجف: "هل.. هل صحيح ما سمعته أذناي؟"
رد آياتو وهو يمرر يده على شعره بقلة حيل: "أنا بحاجة لإعادة ترتيب هذا الحطام.. كيف انقلبت الموازين هكذا؟"

سألت بذعر: "هل يعقل أن أمي هي المظلومة.. وأن هوارد هو الوحش الذي حاك هذا الجحيم ليحرمننا من بعضنا؟"

ضرب آياتو بيده على الطاولة الخشبية بقوة أحدثت صوتاً مدوياً واهتزازاً في المكان، وصرخ بغضب ساطع:

"اللعة عليكم جميعاً! كلما توهمت أنني أوشكتُ على حل هذه اللعبة اللعينة، برز لغز جديد يطمس الحقيقة!"

جفلت أماليا من فورته المرعبة، وصارعت دموعها كي لا تهطل، ثم سحبت اللحاف وغطت وجهها تماماً لتخفي نحيبها المتصاعد.

شعر آياتو بالندم ينهش صدره حين أدرك أنه أفرعها؛ اقترب بخطى خفيفة من السرير، وأمسك بطرف اللحاف وأزاحه برفق عن وجهها الشاحب، فرأى قطرات الدمع تتلأأ تحت الضوء الخافت كاللؤلؤ.

نبس بصوت خفيض ودافئ: "لم أكن أقصدكِ أنتِ يا أماليا.."

مد أصابعه ومسح دموعها عن وجنتيها بلمسات حنونة، وظل يربت على خدها الناعم بكل ما أوتي من رقة. إلا أن أماليا كانت ترتجف تحت كفه كعصفور بلله المطر.

أبعد يده عنها وعيناه تشتعلان بحزن مكتوم:

"لماذا ترتجفين هكذا؟ ألهذا الحد تتملككِ القشعريرة خوفاً مني؟ ألم أقل لكِ ألا تخافي؟ أنا

ملاككِ الحارس.. أنا من افتدى حياتكِ. عليكِ أن تخافي من الإمبراطورية بأكملها، العالم

بأسره، ولكن ليس مني أنا... أبدا!"

استدار بجسده الشامخ وألقى بنفسه على الأريكة المذهبة، يرقبها بوجوم قاسي. أما أماليا،

فسحبت اللحاف فوق رأسها مجدداً، واستغرقت في نوم يكسوه السهاد حتى غفت من

الإرهاق.

وفي غياهب الظلام، كان عقله يتأكل بالصراع؛ أغمض آياتو عينيهِ، ودارت أفكاره المسمومة

في حلقة مغلقة:

(ما هذه اللعنة السافلة؟ لم أتوقع أن تنغرس أقدارنا في هذا الوحل المعقد! ولماذا أنا هنا

أساساً؟ كل هذا بسبب طمعي الملعون في الوصول إلى العرش والسيطرة على الإمبراطورية.. لو

بقيت في هذه المملكة لن أصبح الملك مهما حدث فهناك ولي عهد بالفعل، أخشى أن تكون

سيلفينا هي المحقة وأذهب أنا في غياهب النسيان.

تَباً لكَ يَا أَمَالِيَا، وَتَباً لِعَائِلَتِكَ الْقَذَرَةُ الَّتِي جَرَفَتَنِي إِلَى الْهََاوِيَةِ! لَقَدْ جَرَدَتَنِي مِنْ قَسَوَتِي،
وَجَعَلَتِ مِنْ حَارِسِ الظَّلَامِ كَأَنَّ رَقِيقاً يَحْتَرِقُ حَنَاناً لِأَجْلِكَ.. جَعَلَتَنِي أَقْعَ فِي حَبَالِ حَبِكَ أَيْتَهَا
الْبَشَرِيَّةُ الْمَلْعُونَةُ! وَمَاذَا عَنْكَ؟ قَلْبُكَ اللَّعِينُ يَنْبُضُ لِأَخِي إِيرِنِسْت!.. فَلْتَقْعِدَا كَلَيْكَمَا فِي
الْجَحِيمِ! سَتَرِينَ حِينَ أَضْعُ خَاتَمَ الزَّفَافِ فِي أَصْبَعِكَ كَيْفَ سَأَطْحَنُ هَذَا الْكَبْرِيَاءَ الَّذِي أَضْعَفَنِي
أَمَامَكَ، أَيْتَهَا الْبَشَرِيَّةُ الَّتِي سَحَرَتْ رُوحِي!

الفصل الحادي عشر: حقيقة أم خداع؟

انسلت أشعة الشمس الذهبية عبر شقوق الستائر المخملية، لتغمر الغرفة بضوء دافئ خافت. فتحت أماليا عينيها الثقيلتين ببطء، لتجد آياتو يجلس على الأريكة المذهبة في وضعية متهيبة؛ عيانان تثبتان عليها بحدة صامتة، بينما يمسك مقبض سيفه الخفي بجفاء. تمتمت بصوت مبحوح وهي تمسح عينيها: "صباح الخير..."

لم ينبس بكلمة. اكتفى بتسديد نظرة حادة ناتجة عن صراع ليلته المظلمة؛ نظرة تتأرجح بين الغضب والكبرياء واللوم المكتوم. استغربت أماليا صمته الجاف، لكنها عدلت جلستها وقالت محاولة كسر التوتر:

"سأذهب لاستحم وأبدل ملابسي، ثم سأقصد الحديقة لأستجوب سيلفينا عن مكان هوارد والحقيقة.. ماذا عنك؟"

ظل يناظرها بجمود صامت، فنهضت مبتعدة نحو الحمام. وما إن خرجت تجفف شعرها بالمنشفة وتسدله كالشلال خلف ظهرها، حتى تلاشى جسد آياتو في الهواء، ليتحول إلى طيف دافئ يتتبع خطواتها بعناية حثيثة.

انسابت أماليا عبر الممرات الرخامية الشاهقة. وفي منتصف الممر، اعترضت طريقها خادمة انحنت باحترام وقال:

"آنستي الأميرة.. الملكة سيلفينا والأمير إدوارد بانتظارك عند طاولة الإفطار في الحديقة الملكية."

خطت أماليا نحو الحديقة الغناء حيث تتعالى زقزقة العصافير بين أغصان الياسمين. كانت سيلفينا تجلس بهيبة ملكية، وإدوارد إلى جوارها يرتشف قهوته ببرود.

اقتربت أماليا بخطى متأنية وقالت: "صباح الخير."

اتسعت ابتسامة سيلفينا، ونبست بعاطفة جارفة:

"صباح النور يا أميرتي الحلوة! استيقظت أخيراً؟ تعالي واجلسي لتتناولي فطورك معنا."

أما إدوارد، فقد وضع فنجانه ببطء، وشخصت حدقاته في وجه أماليا بنظرات حادة تثقب روحها قسوة وكراهية.

قبل أن تمد أماليا يدها إلى الطعام، نظرت في عيني أمها وقالت بإصرار:

"سيلفينا... أقصد أمي.. أريد أن أسألك شيئاً لا يحتمل التأجيل."

ردت سيلفينا بعدوبة: "تفضلي يا طفلي.. اسألي ما تشائين."

"من يكون والدي البيولوجي الحقيقي؟ ولماذا عشتُ بعيدة عنك وعن هذا العرش طوال

عشرين عاماً؟"

تراجعت سيلفينا قليلاً وارتسمت على وجهها هالة حزن عميقة:

"إنها قصة دافقة بالمرارة يا أماليا.. تناولي طعامك أولاً وسأرويها لك بالتفصيل."

ردت أماليا بصلاية لم تعهدها سيلفينا: "كلا.. أريد أن أعرف الحقيقة الآن!"

تنهدت الملكة، وأطرقت رأسها بانكسار:

"حسناً.. طالما أنكِ تصرين. والدكِ هو الملك 'هوارد'.. وهو ليس بشرياً مثلنا، بل مصاص دماء عريق. جمعتنا قصة حب ملتهبة في الماضي، لكن لاختلاف جنسنا وتصلب طائفته، رمانى وتخلّى عني. وحين وضعتكِ، تسلل إلى قصري وخطفكِ من بين أحضاني طفلة رضيعة.. كان يهدف لتعذيبكِ وإبعادي عنكِ كي ينتقم مني عبر حرمان الأمومة! لقد كانت طريقة شيطانية منه للفتك بقلبي."

أطرقت أماليا رأسها، وانكسرت عزيמתها لتنحدر دمعتان ساخنتان تمردتا على وجنتيها. سألت بصوت خفيض:

"وأين يقبع هوارد الآن؟"

"في مملكته المستقلة.."

"وأين تقع هذه المملكة؟"

ردت سيلفينا بعينين تجيلان الحذر: "في إقليم 'باكوغو'.. يبعد عن مملكتنا زهاء ألف وأربعمئة كيلومتر، وتحديداً خلف سلسلة جبال 'الكيونهو' البركانية."

هزت أماليا رأسها بآلم، فاستطردت سيلفينا بلهفة مكشوفة:

"إياكِ أن تفكري بالذهاب إليه يا ابنتي! إنه وحش بلا رحمة ولن يتردد في سفك دمكِ.. فلننسَ

هذا الماضي المظلم ونفتح صفحة ناصعة البصائر معاً، اتفقنا؟"

طوال هذا الحوار، كان إدوارد يرصد كل حركة لأماليا بحقد دفين، ونظرات تشي برغبة في محوها من الوجود.. وكان آياتو القابع في الظلال يرصد حركات يدي إدوارد وتوتر عضلات وجهه بدقة ثابتة.

ملأت أماليا طبقاً بالمعجنات واللحوم، وهمت بالنهوض، فاستوقفتها سيلفينا بدهشة:

"إلى أين تأخذين هذا الطبق يا أماليا؟"

تلعثمت أماليا وأحمرت وجنتاها: "آه.. أنا.. أشعر بالجوع سريعاً هذه الأيام! سأبقي الطبق في

حجرتي حتى يحل موعد الغداء."

ابتسمت سيلفينا بظاهر دافئ: "أوه، حسناً يا حبيبتي.. يعز علي أنني لا أعلم تفاصيل طباعك

بعد، لكننا سنكتشف بعضنا أكثر طالما أنك ستقيمين في أحضاننا."

عادت أماليا إلى الغرفة وضعت الطبق على الطاولة الخشبية ونادت بصوت خفيض:

"آياتو.. أحضرتُ لك الفطور، أين أنت؟"

تجسد آياتو أمامها كعاصفة ظلام، وقال بنبرة ساخرة:

"كنتُ أقف خلف مقعد إدوارد طوال الوقت.. أتأمل حُقه اللعين نحوك."

جلس يتناول الطعام ببرود، بينما وقفت هي تراقبه متسائلة:

"ما خطتنا الآن يا آياتو؟"

رد وهو يقطع قطعة اللحم:

"عرفنا موقع قلعة هوارد.. لكن إن صدقت رواية سيلفينا، فهوراد هو من يستعد لقتلك لا لاستقبالك."

"وما الحل إذن؟ كيف نعرف من الصادق ومن الكاذب؟"

مسح آياتو ثغره ونظر إليها بثبات ناري:

"سننتظر ونرى إلى أي مدى ستستمر سيلفينا في تمثيلية الأم الحنون!"

سألت أماليا بحيرة: "لكن لماذا أنت واثق كل هذه الثقة بأن سيلفينا هي الخائنة وأن هوارد مظلوم؟"

رد آياتو بصرامة: "لأن مصاصي الدماء -ورغم قسوتهم- يمتلكون قدسية مطلقة لرابطة الدم! هوارد لن يعذب طفله ووريثته الوحيدة أبداً.. المكر والتلاعب بالدموع هي أدوات بشرية قدرة تجيدها أمك."

ردت أماليا بشجن: "لكنني رأيتُ في عينيها نبرة حنان لم ألمسها طوال حياتي!"

اقترب آياتو خطوة وشخصت عيناه في عينيها:

"إنها أمك البيولوجية، ومن الطبيعي أن تنجذب عاطفتك لها.. ولن تقتنعي بالحقيقة المرة حتى تحاول هي استئصال حياتك بيدها أمام عينيك!"

ارتجفت أماليا: "وهل تعتقد أنها قد تحاول أذيتي حقاً؟"

ابتسم ببرود قاتم: "إن كانت صادقة في حبك فلن تمسك بسوء.. أما إن كانت المجرمة كما أظن، فستبادر بالفتك بك قريباً جداً."

"والى متى سننتظر هذا الاختبار المظلم؟"

"ليس طويلاً... أعدك بذلك."

أكمل آياتو طعامه، فنادت أماليا إحدى الجواري لرفع الطبق. فور خروجها تدمر هذا الأخير:

"توقفي عن وضع المأكولات التي تحتوي على الثوم في الطبق الذي تحضرينه لي!.. ألا تعلمين

أن أجساد مصاصي الدماء تصاب بالتسمم والحساسية القاتلة منه؟"

اتسعت عيناها بأسف: "حقاً؟! لم أكن أعلم ذلك مطلقاً!.. سأكون حذرة جداً هذه المرة."

جلست على سريرها تراقبه وهو قابع في العتمة، حتى مرت الساعات وتصادت الظلال.

طرق الباب فجأة، فتلاشى آياتو فوراً. فتحت أماليا الباب لتجد سيلفينا ترتدي ثوباً أرجوانياً

فاخراً:

"لماذا تعزلين نفسك في الحجرة يا حبيبتي؟ تعالي معي لنتجول في أروقة القصر وتتعرفي على

باقي أفراد العائلة.. فأنت سيدة من سيداته."

ردت أماليا بتهذب خجل: "كلا.. شكراً لك، سنتجمع على مائدة الطعام وحينها سأتعرف

عليهم... أنا مرتاحة هنا"

"إذن الطعام جاهز وهم بانتظارك.. هيا بنا."

حققت أماليا رغبتها وسارت معها نحو القاعة الكبرى، حيث رُيّنت الطاولة بأفخر أصناف

المأكولات الملكية. لكن الشخص الوحيد الذي كان يجلس متيبساً هو الأمير إدوارد.

جلست أماليا ونظرت حولها متسائلة:

"أين باقي أفراد العائلة؟ قلتِ إنني سأتعرف عليهم!"

تجلس سيلفينا وتعديل عقدها الماس:

"أختكِ 'لونار' تدرس في أكاديمية 'رايفين'، وتبلغ من العمر خمسة وعشرين عاماً.. وهذا

إدوارد أخوكِ الأكبر وولي العهد في عامه الحادي والثلاثين. أما زوجي الملك 'فريدريك' -والد

إدوارد ولونار- فهو في رحلة صيد ملكية مع شقيقي الملك 'جايسون'، ومن المتوقع عودتهما

غداً."

ابتسمت أماليا بنقاء: "هذا رائع.. متلهفة لمقابلتهم جميعاً."

ردت سيلفينا بابتسامة غامضة: "ستفعلين يا حبيبتي.. وسيسعدون جداً بوجودكِ."

عادت أماليا إلى غرفتها تحمل طبقاً متخفياً آخر، وقدمته لآياتو الذي التهمه بشراهة، ثم

استند إلى الجدار وقال بنبرة ثابتة:

"من كلام أمكِ.. حقيقتها السوداء ستنجلي الليلة دون شك!"

استغربت أماليا: "كيف ذلك؟"

شرح آياتو ببرود تحليلي:

"قالت إن زوجها فريدريك وشقيقها جايسون سيعودان غداً.. إذن، لو كانت تحبكِ حقاً وهي

المظلومة، لعرفتكِ عليهما بكل فخر. أما إن كانت هي المذنبة والبائعة لكرامتها، فستسعى

للتخلص منكِ وقتلكِ الليلة قبل وصولهما! فليس من صالحها أبداً أن يعرف زوجها الملك

بسر خيانتها القديمة."

فكرت أماليا وقالت بذهول: "هذا صحيح!.. لأن إدوارد حين سمع باسمي سأله أمه فوراً: 'هل يعلم أبي بالأمر؟'.. هذا يعني أن فريديريك لا يملك أدنى علم! وهي لن تستطيع برير وجود ابنة لها من مصاص دماء أمام زوجها الملك."

زم آياتو شفتيه وقال بقسوة:

"كم هي امرأة عاهرة وفاسقة هذه البشرية!.. خانت زوجها فريديريك مع هوارد بعد أن أنجبت منه طفلين، ثم خططت للفرار معه والطلاق من فريديريك، رغم علمها أن هوارد لن يتوجهها ملكة إلى جواره.. وأنا لا أقصد إهانتك، لكن هذه هي الحقيقة العارية التي تستنتج من شروها."

قطبت أماليا حاجبيها وسألت:

"مهلاً.. لو كان هوارد يحبها وهي تحبه، لماذا لم يتزوجا رسمياً؟"

"لأنها بشرية.. وهو مصاص دماء عريق."

"وهل هذا محرم في عرفكم؟"

"أجل.. بحكم القوانين السامية."

سرحت أماليا بعينيها ونظرت إلى آياتو بجرأة دافئة:

"إذن.. أنا بشرية، وأنت مصاص دماء.. وستتزوجني!"

تجمد آياتو للحظة، ثم سدد إليها نظرة زمردية ثابتة ونبس بصوت خفيض:

"أنا سأتزوجك بدافع المصلحة المشتركة وبند الصفقات يا أماليا.. لن ألمس جسدك، ولن أنجب منك أطفالاً يلوثون نقاء دمي."

انكسر شيء خفي في صدر أماليا، وهزت رأسها بخجل: "آه.. فهمت. وهذا ليس ممنوعاً، أليس كذلك؟"

"كلا.. عقد الزواج السياسي مسموح."

سألت بفضول: "ولماذا يحظر قانونكم زواج مصاصي الدماء من البشر وتأسيس عائلات؟ وماذا تقصد بتلويث دمك؟"

أجاب آياتو بشرح ملكي ساطع:

"لأن الجينات البشرية تملك هيمنة وراثية قاهرة! حين يتزوج مصاص دماء من بشرية، أو العكس، فإن الناتج الوراثي في كل الحالات يأتي طفلاً بشرياً كاملاً، بلا قدرات ولا أنياب! وبهذا الامتزاج، سينقرض عرق مصاصي الدماء وتُمحى سلالتنا من الأرض.. وأكبر دليل حي هو أنت! أمك بشرية وأبوك ملك مصاصي الدماء، والنتيجة أنك بشرية ضعيفة لا تملكين سوى الدموع."

في تلك اللحظة بالذات، انتفضت أماليا واشتاطت غضباً، وهي تسدد إليه نظرة ملتهبة تحدث بها هيئته، واعتصرت قبضتيها بحدة لتصيح بصوت يرتجف قسوة وحسرة:

"كف عن هذا التكبر الزائف وإهانة عرقي البشري يا آياتو! نتحدث عن النقاء والعظمة وكأنكم ملائكة، بينما الحقيقة الساطعة أن هوارد -مصاص الدماء الأصيل الذي تتفاخر بنقاء دمه-

لم يكن سوى خائن نذل وقاسٍ بلا قلب! سيلفينا هي المظلومة التي انتزعتني من أحضانها
ليستخدم طفلة بلا حيلة كأداة انتقام رخيصة. القسوة والغدر جينات أصيلة فيكم، وأنيا بكم
الملعونة لم تجلب للعالم سوى الدمار والخراب!"

زم آياتو شفتيه باحتقار، وخطا نحوها ببطء كوحش يجابه طريدته، ليعلو صوته الرخيم بنبرة
ثلجية حادة كالشفرة:

"أنتِ عمياء تُساقين بأوهام عاطفتكِ القاصرة! سيلفينا هي الخائنة العاهرة التي باعت
الجميع لتنجو بجلدها، وخانت زوجها وطفليها، بينما هوارد لم يفعل سوى أن رفض الزواج
منها! عرقكم البشري مليء بالخداع والضعف، أفعال أملكِ الشنيعة هي الأصل، فلا تلفقي أوزار
خيانتها الصارخة وتلقيها على كاهل عرقي!"

دنت منه خطوة أخرى بلا خوف، وشقت كلماتها جدار الصمت بقسوة مسمومة، وهي تتكئ
على الجرح الأكثر إيلاماً في حياته وتغرس فيه خنجر كلامها:

"بل سيلفينا هي الضحية وهوارد هو الخائن الحقير! ولا عجب في ذلك، فجميعكم طينة
واحدة ملعونة من الخونة قساة القلوب.. أليس هذا بالضبط ما فعلته والدتك مصابة
الدماء معك؟ تخلت عنك وهجرتك بكل حقارة وقسوة لتترك وحيداً في هذا العالم
المظلم!"

تجمد آياتو في مكانه وكأن صاعقة شطرت روحه، انطفأ البريق الزمردى في عينيه ليحل محله
سكون محيطي مرعب، اتسعت حدقتاه بصدمة وجرح عميق شق صدره جهاراً. أمال رأسه

بقسوة جافة، ونبس بصوت خفيض قاتل يقطر برودة وغدراً، وهو يحدق في عمق عينيها
بنظرات مميتة صنعت شرخاً عميقاً بينهما:

"لقد تجاوزت حدودك.. وتجرات على قاع جرحي! أردت إثبات أنكم لستم ضعفاء، فكشفت
فقط عن دناءة عاطفتك البشرية المبتذلة. اعلمي إذن أن هذا اللسان الذي طعنني الليلة،
ستتمنين قطعه ألف مرة قبل أن ينتهي بك المطاف بين براثن أمك المزعومة!"
ارتجفت أماليا وانعقدت عيناها في وجهه الشاحب كالموت؛ سقطت قوتها دفعة واحدة حين
رأت الخراب الذي أحدثته كلماتها. خطت نحوه بيدين ترتجفان، وهمست بصوت خنقته
العبرات:

"آياتو.. سامحني، أرجوك! كانت لحظة طيش وغضب أعمى، لم أرد جرحك أبداً، لم أقصد ما
قلته!"

سحب ذراعه ببطء حاد يرفض لمستها، وانحنى فوقها بهيبة قاتلة، لتنطفئ من عينيه كل ذرة
حنان ويحل محلها قسوة الثلج، ثم نبس بصوت خفيض يقطر بالمرارة:

"طلب العفو؟! تناسيت من تكونين يا أماليا! نسيت أنك كنت مجرد جثة تُباع وتُشترى في
القاع، وأنا من شق الظلام ليقطعك من عدم! أنا من أنقذك ومنحك القوة التي تتشدين
بها الآن.. لولاي، لما ملكت الجرأة كي ترفعي عينيك وتصرخي في وجهي وتغرسين خنجرك في
جرحي!"

أطرقت رأسها، وابتلعت غصتها الساخنة، ثم رفعت عينيها المبللتين بالنحيب لتصوب نحوه نظرة مكسورة يمتزج فيها الألم بالقسوة، ونبست بصوت يرتجف مرارة:

"ولماذا ترفض طلب عفوي، بينما لم تتوقف لحظة عن سحق كرامتي؟! تماديت في شتم أمي، وددست عرقي، وجعلتني أدفع ثمن خطايا لم أقترفها! والآن.. بحديثك الدنيء عن كوني مجرد جثة تُباع وتُشترى، عريت حقيقتك البشعة أمامي! شكراً لأنك ذكّرتني أنني مجرد عبدة في قائمة ممتلكاتك، وأن كل هذا 'الحنان' المزيف لم يكن سوى نفاق سيد يمارس سلطته على بضاعته!" توقفت قليلاً تمسح دموعها ثم واصلت: "آسفة سيدي على تجاوزي حدودي كعبدة لك، سأحاول ألا أنسى منزلتي!"

وفجأة، شق جدار هذا النزاع الحاد صوت دقات متسارعة على الباب الحجري. في تلك اللحظة، انسحب اللون من وجهيهما فوراً وتبدلا بملامح الخوف والارتباك؛ إذ كانت الدقات كفيلة بإنهاء هذا السجال الملهب. اختفى آياتو في كبد الظلام كأنه لم يكن، بينما استجمعت أماليا ما تبقى من شتات نفسها وهي تمسح أثر كبريائها الجريح.

فتحت الباب ببطء لتجد الخادمة تقف بانحناء وقورة، وقالت بنبرة خفيضة:

"أميرة أماليا.. وقت العشاء الملكي قد حل، والملكة سيلفينا والأمير بانتظارك في القاعة الكبرى."

توجهت أماليا إلى القاعة، وجلست إلى الطاولة الكبرى بحضور سيلفينا وإدوارد. ساد الصمت الثقيل أثناء الأكل. وما إن انتهوا، حتى دفعت أماليا كرسيها للخلف، وتوجهت بنظراتها مباشرة نحو إدوارد، وقالت بصلافة تسعى لكسر كبريائه:

"لماذا ترمقني بهذه النظرات الحادة والقاسية طوال الوقت يا إدوارد؟ أنا أختك البيولوجية..
وعليك أن تتقبل وجودي!"

ارتسمت على شفتي إدوارد ابتسامة صفراء باردة كالثلج، ونبس بصوت متهدج مكروه:
"أنا؟.. كلا يا أختي العزيزة، أنا لا أناظركِ بحدة أبداً.. أنتِ فقط تتخيلين أشياء لا وجود لها."
ملأت أماليا طبقاً خالياً تماماً من الثوم، وعادت بخطى حذرة إلى حجرتها. قدمت الطبق لآياتو المتربص في الظلام، وبعد أن قررت ترك الخلاف الذي حدث بينهما جانبا، قالت وهي تعتصر يديها الوجلتين:

"نظرات إدوارد الليلة ليست طبيعية أبداً.. إشاراته ترعبني!"

ثبت آياتو حدقتيه الناريتين على الباب المغلق، وشق حسامه الخفي بريقاً داكناً في العتمة،
ونبس بصوت كالهسيس القاتل:

"أجل.. لاحظتُ ذلك بوضوح. تجهزي.. فالليلة ستُسفك الدماء، واحذري من أخيكِ البشري
قبل أي أحد آخر! وأتنبأ أن يخيبوا توقعاتي، وأن لا يذهب دفاعك عنهم سدى!"

الفصل الثاني عشر: سر بلا شاهد

مضت ساعات الليل ثقيلة وجاثمة كالكبوس. كانت أماليا تستلقي على الفراش الحريري، تتنفس بانتظام تظاهراً بالنوم، بينما اتخذ آياتو موقعاً له في العتمة، مستنداً بجسده الشامخ إلى الزاوية الظليلة للغرفة، عيناه الزمرديتان لا ترمشان، ترصدان أدق النبضات والهمسات التي تخترق جدران القصر الملكي.

وفجأة، شق السكون صوت صرير ناعم خبيث؛ كان باب الغرفة ينفتح ببطء شديد لا يكاد يُسمع. وفي لحظة تتوقف فيها الأنفاس، انساب آياتو متلاشياً في الهباء ليغدو طيفاً لا يُرى.

تسلل إدوارد إلى الداخل بخطى حذرة كحيوان مفترس، يقبض بين أصابعه القوية على سكين مسمومة يلمع حدها في ضوء القمر الباهت. اقترب من سرير أماليا شيئاً فشيئاً، ورفع ذراعه في الهواء مستعداً لتوجيه طعنة قاتلة تستأصل حياتها. وفي الكسر الممتد من الثانية وقبل أن يهوي نصل السكين، امتدت كفٌّ غير مرئية من العدم كالقيد الفولاذي، فاعتصرت معصم إدوارد بقوة رهيبة تجمدت معها الدماء في عروقه.

طارت أشباح الرعب في عيني الأمير حين رفعه آياتو بجسده وجرف به الهواء، ليقذف به بعنف نحو الجدار الحجري. ارتطم إدوارد بالرخام وسقط أرضاً، متأوهاً بصدمة وفزع عارم وهو يتخبط في الظلام، ويصرخ مذعوراً:

"من هناك؟! ما هذا السحر الملعون؟ ما الذي يجري هنا؟!"

استيقظت أماليا مرعوبة على صوت الارتطام والصراخ، لتفتح عينيها المصدومتين على منظر إدوارد الملقى على الأرض، والسكين المسمومة تتأرجح بين أنامله. انحبس الهواء في حلقها، وارتفعت صرخة حادة مزقت صمت الليل:

"ماذا تفعل في حجرتي؟! أنقذووني! النجدة!!"

انتفض إدوارد من على الأرض بملامح مشوهة بالغضب، واندفع نحوها من جديد كالوحش الجريح محاولاً طعنها في صدرها. لكن آياتو لم يمنحه مهلة؛ ظهر كالهول في طريقه، ولوى ذراعه خلف ظهره بقوة كاسرة جعلت عظامه تتفرقع، ثم دفعه بقوة طائرة نحو الطاولة الخشبية الفاخرة، ليتكسر الأثاث تحته إلى أشلاء وتتناثر الشظايا في أرجاء الغرفة. ارتفعت صرخات أماليا المذعورة لتزلزل أركان القصر بأكمله. وفي ثوانٍ معدودة، تعالت أصوات الهرولة في الممرات، وانفتح الباب بعنف لتدخل الملكة سيلفينا راكضة، ورداؤها الأرجواني ينساب خلفها، وهي تصيح بنبرة يختلط فيها الذعر بالصراخ:

"ما الذي يحدث هنا؟! ماذا تفعل يا إدوارد؟!"

نهض إدوارد من بين حطام الطاولة، يلهث والغضب يقطر من عينيه، ونبس بصوت أجش ممتلئ بالغل:

"سأقتلها! سأستأصل هذه الوغدة اللعينة التي ستدمر عرشنا!"

قذفت أماليا بجسدها المرتجف خلف سيلفينا، واعتصرت ثوب أمها بحماية وذعر:

"أمي.. أنقذيني! إنه يريد قتلي! لن أدمر العرش! أعدكم سأبقى هادئة!"

ضمتها سيلفينا إلى صدرها بدفء مفرط، وربتت على ظهرها، ثم التفتت إلى إدوارد وصارخت في وجهه بصوت تجشأت منه الأوامر الملكية:

"إدوارد! اذهب إلى حجرتك فوراً وسألحق بك حالاً.. هيا، اغرب عن وجهي الآن!!"

رمقها إدوارد بنظرة حاقدة، ثم استدار وخرج مسرعاً، صافعاً الباب خلفه بقوة كادت تقلع مفصلاته.

بقيت سيلفينا تحتضن أماليا، وتمسح على شعرها بحنان ظاهر، وتهمس برقة:

"لا تقلقي يا حبيبتي.. لا تخافي، أمكِ معكِ ولن تدع أحداً يؤذيكِ."

وفي تلك اللحظة بالذات، كان آياتو يتأمل المشهد من خفايا اختفائه بحدقتين ثابنتين

كحسام ناري. فرأى كف سيلفينا الخفية تتسلل من بين طيات ردائها، وتستل خنجراً دقيقاً

مسموماً، وترفعه ببرود قاتل لتغرسه في ظهر أماليا العارية!

لم ينتظر آياتو؛ اندفع كالبرق وانقض على سيلفينا، قابضاً على معصمها بضغطة قاسية

جعلت عظام يدها تتلوى. صرخت الملكة أضداداً وسقط الخنجر يرن على الأرض الحجرية.

استدارت أماليا بذهول، فشخصت بصرها في الخنجر الملقى، ثم رفعت عينيها الممتلئتين

بالدموع المنهمرة لتحقق في وجه أمها، ونبست بصوت مكسور يقطر مرارة:

"أحقاً؟.. كنتِ ستقتلينني بيديكِ؟!"

تلاشت الابتسامة عن وجه سيلفينا، وحلت محلها قسوة كافرة وجمود ثلجي، وقالت بنبرة

حاقدة:

"بالطبع سأقتلك! أنتِ لستِ سوى النقيصة التي أثقلت كاهلي.. أنتِ أداتي للانتقام من ذلك
الوغد هوارد!"

اندفعت سيلفينا بمكر نحو الخنجر محاولة التقاطه مجدداً لتجهيز القاضية، إلا أن آياتو
تجسد في لحظة خاطفة، وسدد إليها ضربة خاطفة أطارت بها لتسقط أرضاً بزفير متهدج.
اعتدلت الملكة المنهارة، وشخصت عيناها النارية نحو آياتو وقالت باستعلاء مسموم:
"أيها الظل القذر؟ أتظن أنك الوحيد الذي يحمي عرشه بحارس خاص؟!"

ثم صفقت بيديها مرتين بصوت مدوّ هز أركان القاعة.

وفي لمح البصر، انشق الضباب عن حركة سحرية، وتجسد شاب ذو قوام ممشوق وهيبة
ملكية حادة.. إنه الأمير إيرنست!

صرخت سيلفينا فيه بنبرة آمرة طاغية:

"إيرنست! ألم آمرك بأن تعذب هذه البشرية وتقتلها بعيداً عن الأنظار؟! لماذا أراها واقفة

أمامي تتنفس حتى الآن؟! ألم أكلفك بهذه المهمة؟ وما زلت واقفاً تتأمل؟! اقتلها الآن!!"

سقطت الصدمة كالصاعقة على قلب أماليا؛ امتقع وجهها الشاحب واتسعت عينيها في وجه

إيرنست.. حبيبها المفترض الذي أسر قلبها! تجمد إيرنست في مكانه للحظة وهو يرى أماليا

أمامه، لكن وجهه سرعان ما تحول إلى الجمود والنفور القاسي.

خطا نحوها بخطى ثقيلة، وقبل أن تستوعب الموقف، رفع يده وسدد إليها صفعة قوية صفعت وجهها الغض، جعلتها تتراجع إلى الخلف. ثم انقض على عنقها الصغير بأصابعه

القاسية، يعتصر أنفاسها، ينبس بمرارة وقسوة يقطر منها السم:

"لا تلوميني ولا تنظري إليّ بهذه العينين المكسورتين يا أماليا!.. أعتقدين أنني أحب تمثيل

هذا الدور؟ ليس ألامي أي خيار آخر! أنا مجبر على سحلكِ وسفكِ دمكِ بيديّ هاتين كي

أنجو بنفسي وعرشي.. موتي وأرحينا أيتها البشرية الملعونة!"

وفي تلك اللحظة المشحونة بالقتل، تعالت ضحكة ساخرة التصقت بأركان الحجرة.. يصفق

آياتو بكفيه ببطء واستفزاز قاتل، وهو يتقدم نحو إيرنست بثقة:

"أحسنّت القول والعمل يا بطل!.. يا لروعة ولي عهد مملكة 'كايدي' العظيمة! أن تصبح

خادماً مطيعاً وعبدًا رخيصاً لبشرية فاسقة؟ هل يملك والدك الإمبراطور أدنى علم بأن ولي

العهد يقتنص الأوامر من ساحرة بشرية؟ حتى إن كان لا يعلم، أعدك أنه سيعلم قريباً جداً.."

تسمر إيرنست في مكانه، وأرخى قبضته عن عنق أماليا لتسقط أرضاً، وهي تمسح الدم

المختلط بالدموع المتدفقة من شفتيها وأنفها. التفت إيرنست بصلافة نحو آياتو وقال بتحدٍّ

ساخر:

"وهل سيصدق إمبراطورنا كلمة من مسخ مطرود مثلك، أم يصدق ولي عهده وسليل عرشه؟

ههههه.. أنت مضحك حقاً يا متشرد!"

قاطعت سيلفينا مهزلتهم وهي تصرخ بحستريا:

"إيرنست! قلتُ لك اقتلها واقطع رأسها، ألا تفهم الأوامر؟!"

تقدم إيرنست مجدداً نحو أماليا الجاثية على ركبتها، لكن آياتو اعترض طريقه بلمح البصر، وحجبها بجسده كالسور العظيم، ونبس بصوت رخم مرعب انبعثت منه هالة ظلامية قاتلة:

"إن أردت القتال، فنحن كلينا نعلم كيف ستنتهي هذه الملحمة ومن سيغادر هذه الغرفة محمولاً في أشلاء.. انقشع من أمامي فوراً، وإلا اضطررتني لتمزيقك قطعة قطعة!"

تراجع إيرنست خطوة، ونبس بابتسامة متكلفة ساخرة:

"ألست مجرد خادم لبشرية ضعيفة أنت أيضاً؟ هههه.. كم أراك مثيراً للشفقة يا آياتو!"

اشتعلت حدقتا آياتو بالشرار، وانقض كالصاعقة واعتصر عنق إيرنست بقبضة فولاذية رفعت الأخير عن الأرض، وقال بنبرة حادة كالخنجر:

"على الأقل لم أعد أميراً، ولستُ خائناً لدماء عرقي مثلك! والان.. انقشع من أمامي فوراً قبل أن أستأصل روحك!"

ألقى به آياتو بعنف، فارتطم إيرنست بالباب، وشخص بعينه الحاقتين نحو آياتو وأماليا، ثم تلاشى في الهواء واختفى كلياً.

بقيت الملكة سيلفينا وحدها في مواجهة الخطر، فبدأت تصرخ برعب وهي تتراجع ونشيجها يعلو:

"أيها الحراااااس! أنقذوني! قتلة داخل القصر!!"

تقدم آياتو نحوها بملامح مفترسة محاولاً بطشها، لكن أماليا انتفضت من الأرض وسحبت يده لتوقفه، ثم تقدمت بخطى ثابتة وقفت بها أمام أمها مباشرة.

عزقت عينيها في وجه سيلفينا الشاحب، ونبست بصوت يقطر قسوة واحتقاراً أدمى الحضور: "كم أنتِ امرأة ذليلة ومنبوذة!.. اللعنة على كل أم تبشر بالقتل كما تفعلين، واللعنة عليك وعلى أمثالك من الخونة! بودي لو أستأصل حياتك بيديّ هاتين في هذه اللحظة.. لكنني سأحترم -فقط- تلك التسعة أشهر التي حملتني فيها في أحشائك القذرة! اللعنة.. كم أكرهكِ! اللعنة عليك ألف مرة! ولا تظني أنكِ نجوتِ بفعلتكِ.. أقسم لكِ أنني سأعود، وسيكون انتقامي منك أشد من الجحيم!"

ثم التفتت ونظرت إلى آياتو بعينين ممتلئتين برغبة الرحيل: "فلنذهب من هذا المكان الملعون.."

أفلت آياتو يدها ببطء، ولم يتحرك للخروج، بل خطا بثبات مرعب نحو سيلفينا القابعة على الأرض، ونبس بصرامة:

"أين هي وثيقة العبودية؟ الوثيقة التي تثبت أن إيرنست مجرد خادم مطيع لك؟"

لزمت سيلفينا الصمت ووجهها مشدود بالخوف، فقبض آياتو على عنقها بقوة ورفعها قليلاً عن الأرض، وصاح في وجهها بنبرة زمجرت بها الغرفة:

"لستُ ابنك البار كي أحترم التسعة أشهر! افتحي فمك وتكلمي فوراً.. وإلا سحقتُ بلعومك بيدي!"

اختنقت سيلفينا، وأشارت بيدها المرتجفة نحو المكتب الخشبي الجانبي وتحديداً إلى الأدراج السفلية.

ألقي بها آياتو أرضاً لتستجمع أنفاسها المتهدجة، وانطلق نحو الدرج، ففتحه وأخذ يبحث بين الأوراق السرية، حتى وقعت يده على وثيقة سوداء مختومة بدم سحري. سحبها ووضعها في جيبه الداخلي.

التفت آياتو نحو سيلفينا ونبس ببرود قاتل:

"سأعود قريباً.. أعدك أنني سأعود من أجلك كي تسددي الحساب كاملاً."

ثم انحنى برفق، وأمسك بأماليا ورفعها بحنان حاسم ليضعها على ظهره الصلب. وفي لحظة خاطفة، شق الهواء صفيح داكن، وبرز جناحاه الأسودان العملاقان كالظلام المتفجر، ليرمي بنفسه عبر النافذة الشاهقة، ويحلق بها بعيداً في كبد السماء الليلية.

كانت الرياح الباردة تلطم وجه أماليا المبلل بدمائها ودموعها، بينما ذهول شاد يملك روحها الصغيرة.

دمرت الليلة كل أوهامها؛ إيرنست.. الرجل الذي توهمت أنه فارس أحلامها، أراد قتلها بدم بارد، وصفعها حتى أسال دمه، ولولا آياتو لكانت جثة بلا روح! وأمها.. التي حلمت بعناقها، كانت أول من استل الخنجر لغرس حقدتها في ظهرها! وأخوها.. لم يتردد ثانية واحدة في المحاولة لسفك دمها!

احتضنت آماليا ظهر آياتو بكل ما أوتيت من قوة، ودفنت وجهها في رقبة "ملاكها الأسود"..
الوحيد الذي صدمها بحقيقته القاسية، لكنه كان السد الوحيد الذي حماها من الفناء.

الفصل الثالث عشر: تنائم الأرواح

كان شق الرياح يعزف لحناً جنائزياً فوق جبال الكيونهو الشاهقة. تحتها، تترامى الممالك كبقع من الحبر الأسود، بينما كان آياتو يقطع السحاب بجناحيه العملاقين اللذين ينبثق منهما وهجٌ ظلامي ساحر. كانت أماليا تتشبث بعنقه بكل ما أوتيت من قوة، وجسدها يرتجف نوبة من الشهقات المكتومة والدموع الساخنة التي أحرقت عنقه الشاحب.

رفع آياتو رأسه قليلاً، ولمعت عيناه ببريقٍ دافئ وهو يرمقها من طرف عينيه، فنبس بنبرة تحدي:

"ما رأيك الآن؟ ألا زلت تحبين إيرنست وتتوهمين أنه فارسك المخلص؟"

انهمرت دموعها بغزارة حارقة، واعتصرت كتفه بيديها وهي تنتحب بحرقة أدمت الفضاء:

"لقد اختفى!.. اختفى هو وحببه المزيف تماماً كما أخبرتني! لقد كان يرتدي قناعاً زائفاً.. أشعر بقلبي يتقطع أمشاجاً، كأن أحداً يغرس فيه خنجراً مسموماً!"

رد آياتو بنبرة ثقيلة، خالية من التشفي، لكنها تحمل ثقل الواقع:

"على الأقل انقشعت الغشاوة عن عينيك وعرفنا الحقيقة كاملة.. والآن، سأخذك إلى مملكة والدك هوارد."

ترددت أماليا، ورفعت عينيها المحمرتين نحو وجهه المنحوت بدقة:

"أتمنى.. أتمنى ألا يغدر بي هو الآخر.. لم أعد أحتمل طعنة جديدة."

توقف آياتو لحظة في هواء الليل، وربطت عيناه بحدقتيها بنظرة نارية صادقة لم تجد فيها ذرة من كذب، ونبس بصوت رخيم أذاب الجليد من حولهما:

"كفي عن البكاء كالطفلة يا أماليا.. واعلمي أنه حتى لو يتخلى عنك الكون بأكمله وتبرأ منك العالم، فلن أفعل أنا أبداً!"

سكن قلبها فجأة عند هسيس كلماته. مسحت دموعها بأكمامها المبللة، وفي لحظة اندفاع دافئة خالية من التردد، رفعت رأسها وأمسكت برقبتة الباردة، ثم طبعت قبلة رقيقة مفعمة بالامتنان على وجنته:

"شكراً لك يا آياتو.. شكراً لأنك هنا."

اتسعت حدقتاه بذهول، وتجمدت حركته في جو السماء لثوانٍ؛ صدمته رقة فعلتها الجريئة. لكن سرعان ما انطفأ الجمود، وارتسمت على ثغره الحاد ابتسامة ارتباك خفيفة، وتسلى احمرار ناعم بخجل إلى وجنتيه الشاحبتين قبل أن يداريه بالتفاتة حثيثة نحو الأفق.

حل صمت رهيب، لا يقطعه سوى حفيف جناحيه القويين في عباب الليل.

بعد زهاء ساعة من التحليق المتواصل عبر الحدود الجبلية، هبط بها آياتو بسلاسة فوق أرض رطبة تغطيها الأعشاب الداكنة في قلب غابة سوداء كثيفة الأشجار. تتصاعد من تربتها برودة تداعب العظام.

وقف آياتو بجسده الفاره، وأشار بسبابته نحو عتمة الأشجار المتكاثفة وقال:

"أترين تلك الأنوار الساطعة في المدى؟"

رفعت أماليا ببصرها عبر الضباب، ولمحت بريق مشاعل ذهبية وقنديل كريستالية تشق
الظلام من بعيد فوق أسوار قلعة منيفة:

"أجل.. أراها."

استطرد آياتو وهو يعدل عباءته:

"إنها التاج العالي لقصور والدك هوارد.. الساعة الآن تشير إلى الثالثة فجراً، سنبقى ههنا في
أحضان الغابة حتى يبث الصباح ضوءه؛ حينها يكون الحراس والملك مستيقظين، ونستطيع
الدخول والمواجهة بشرعية."

هزت أماليا رأسها موافقة، وضمت ذراعيها حول صدرها محاولة التغلب على ارتجاف
أوصالها من شدة البرد. لاحظ آياتو ارتجاف شفيتها واصطكاك أسنانها، فدنا منها ببطء وقال:

"هل تشعرين بالبرد؟"

ردت بصوت خفيض يرتجف:

"أجل.. بسبب كابوس قصر سلفينا، هربت دون أن أرتدي معطفي الثقيل، والطقس في أرض
مصاصي الدماء قارس البرودة."

لم ينبس بكلمة، بل أظهر جناحيه الأسودين العظيمين، وتقدم خطوة ليوهمها بدفء
حمايته، فضمها برفق إلى حضنه الدافئ، وأغلق الجناحين حولها كخيمة داكنة مجهزة من
الريش الناعم الملمس، تحجب عنها رياح الغابة العاتية.

ابتسم آياتو بظلال عينيه وقال:

"ماذا الآن؟"

تنفست أماليا الصعداء، واستراحت برأسها على صدره الصليب المتروس بالنبض الصامت،

وقالت برقة:

"أفضل بكثير.. خيمة الجناحين هذه مريحة جداً ودافئة كالشمس.. آه، أشعر بوطأة النعاس

تغزو جفني."

رد بنبرة حانية: "نامي إذن وأريح جسدك المجهد."

هزت رأسها نفيّاً داخل أحضانها:

"كلا، لن أستطيع النوم.. فغداً.."

قاطعها بصرامة ملكية هادئة:

"غداً ستواجهين الملك هوارد، ويجب أن تكوني حافزة الذهن وصاحبة تماماً ومستعدة لكل

احتمال.. لذا نامي وجمعي قوتك."

ابتسمت بخفة، وقالت بدلال ووداد:

"لن أنام الآن.. دعنا نتحدث قليلاً."

انبعثت ضحكة خفيفة مكتومة من صدر آياتو، ونبس بسخرية عذبة:

"هههه.. الواضح أنني لم أعد ذلك الكائن المرعب والمخيف في نظرك! ولا ذاك السيد

المنافق القاسي!"

تراجعت أماليا بضع إنشات داخل خيمة جناحيه، ونظرت في عينيه بأسف ونقاء:

"آياتو.. أنا آسفة جداً لأنني أسأتُ الظن بك، ولأنني تفوهتُ بتلك الكلمات القاسية والعبارات المسمومة التي جرحتُ بها قاع قلبك.. اتضح لي أنك عكس ما ادعيتُ تماماً."

أطرق آياتو رأسه، وشخصت عيناه في وجهها الدافيء، ونبس بنبرة هادئة يخالطها شجن الاعتذار:

"وأنا أيضاً يا أماليا.. أعتذر منك عن كل لفظ حاد سحقتُ به كرامتك، وعن وصفك بالجنّة والمتاع.. لقد كنتُ أعمى بقسوتي وقوانين عالمي الصارمة، وأسقطتُ غضبي من الخيانة على براءتك. تجرأتُ على إهانتك بينما كنتِ أنتِ الوحيدة التي تمنحيني ثقة ناصية وسط كل هذا الزيف."

نظرت إليه أماليا بعاطفة جارفة وقالت:

"لقد أدركتُ الليلة حقيقة مؤلمة لكنها محترمة.. البشر ومصاصو الدماء كلاهما يعيش في كنف واحدة من الخسة والخير. هناك بشر أشرار ومخادعون مثل أمي سيلفينا، ومصاصو دماء خائنون مثل إيرنست.. وفي المقابل، هناك بشر أنقياء يحملون الحب مثلما أحاول أن أكون، وهناك مصاصو دماء فرسان يملكون النبل والشهامة والدفء.. مثلك تماماً يا آياتو." تأثر آياتو بكلماتها العميقة، وارتسمت على وجهه هالة من الرضا والسكينة، ثم سألها وهو يميل برأسه قليلاً بطريقة جذابة:

"إذاً.. كيف ترينني الآن؟"

ابتسمت أماليا، وأخذت تعد بأصابعها الصغيرة على صدره بنبرة دافئة:

"امم.. أراك لطيفاً، حنوناً، شجاعاً، بطلاً حقيقياً، قوياً.. ووسامتك غاوية جداً!"

اتسعت ابتسامة آياتو الصافية، وتجلت ضحكته الرخيمة التي أضاءت عتمة الغابة:

"وااا! كل هذه الأوصاف الفاخرة بي أنا؟ ههههه.. لكنني معك أنت فقط أكون حنوناً ولطيفاً،

ولا أدري حقاً ما السبب السحري الذي يجعلني هكذا أمامك!"

أنزلت أماليا رأسها فجأة داخل خيمة جناحيه، واشتعل خداهما بحمرة الخجل اللاهبة تحت

وطأة اعترافه الصريح.

لاحظ آياتو خجلها الجميل، فابتسم بدفء ورفع حاجبيه بشاررة دافئة من الغزل الصامت،

بينما أحكم إغلاق جناحيه حولها، ليحتضن خجلها ودفق حنانها في عمق الليل الداكن،

متهيئين لمواجهة ما يخبئه الصباح في قلعة هوارد.

الفصل الرابع عشر: شظايا القلوب

بدأت زقزقة الفجر الأولى وكأنها تمزق أستار الليل المخملية فوق شرفات الغابة السوداء.

انسلت أشعة الشمس الذهبية خجولة عبر تكاثف الأغصان الداكنة، لتبدد الظلام وتغمر المكان بضوء ساحر ينفذ الغبار عن ألوان الطبيعة.

أخرجت أماليا رأسها برفق من بين دفء الجناحين الأسودين العملاقين، ووجهت عيناها نحو الشفق المتفتح في السماء. كان آياتو يراقب التبدل اللطيف في ملامحها، وبصيص النور يتفرق في حدقتيها، فالتفتت إليه بعد صمت مديد خيم عليه السكون، وكسرت الهيبة بنبرة خفيضة مفعمة بالدفع:

"آياتو.. أرايت كيف أن الشمس حين تشرق تنير الأرض وتمنح كل شيء بعداً ملوناً وجميلاً؟"

أمال آياتو رأسه قليلاً، وهز هامته بصمت يُنصت لوقع كلماتها، فاستطردت وهي تنظر في عمق عينيه الزمرديتين:

"أنت كالشمس تماماً في حياتي يا آياتو.. أنرت طريقي المعتم عندما أظلمت الدنيا في وجهي، جعلت لوجودي قيمة حقيقية، ورسمت لي هدفاً أعيش لأجله بعدما ظننت أنني ضائعة."

انفرجت شفتا آياتو عن ابتسامة عذبة، تلالأت في عينيه لمحة حنان نادرة وهو يجيبها:

"وأنت أيضاً يا أماليا.. جعلتني أقرب ما أكون إلى تحقيق أجمل أحلامي التي ظننتها مستحيلة."

ردت بامتنان صادق:

"لقد قاربنا على الوصول إلى ما نبتغيه.. وكل هذا الفضل يعود إليك."

انبعثت ضحكة خفيفة هادئة من بين شفتيه، ونبس بصراحة أريكت المكان:

"هههه.. في الواقع، لم أفعل شيئاً يُذكر.. لأكون صادقاً معك، في البدء تسلقت الأسباب

وجريت وراء مصلحتي الشخصية، لكنني دون أن أشعر.. وجدت نفسي متعلقاً بكِ طفلة

ونوراً لا أستطيع التفريط فيه."

لمست أماليا نبض الصدق في حديثه، واتسعت حدقتها بدهشة لطيفة من تصريحه

المفاجئ بمدى تعلقه بها. لاحظ آياتو علامات العجب والدهشة التي اعتلت محياها، فتسلل

حرج خفيف إلى ملامحه، وسارع إلى تغيير المجرى وهو يللم شتات وقاره:

"حسناً.. هيا بنا، أظن أن الوقت قد حان لمواجهة القدر."

طوى جناحيه الداكنين بحركة خاطفة انسابت لها الأنفاس، فاندفعت أماليا وأمسكت بيده،

واستمدت من دفء أصابعه شجاعة تكفي لمواجهة المجهول. انطلقا معاً بخطى ثابتة نحو

أسوار القصر الشامخة.

عند بوابة القصر الكريستالية الضخمة، انتصب حارس هائل الجثة، مدججاً بدروع فولاذية

لامعة. رفع رمحه ليقطع عليهما الطريق، ونبس بصوت جاف كالرعد:

"من أنتما؟ وما الذي يبغيه غرباء في هذا الوقت من الفجر؟"

رد آياتو ببرود حاد ونبرة تحذر من نفاد الصبر:

"نريد مقابلة الملك هوارد فوراً."

قاسهما الحارس بنظرة ازدراء وقال:

"ومن أكون لأزعج جلالته من أجلكما؟"

تدخل آياتو بصوت حاد:

"أخبره أن الأمر يتعلق بابنته الضائعة!"

قهقه الحارس بسخرية:

"ليس للملك أبناء ولا أميرات! عودا من حيث أتيتما قبل أن أطعم أجسادكما للكلاب!"

احتدمت عينا آياتو ببريق دماء ناري، وشحذ مخالفه متقدماً خطوة تهديدية:

"اذهب أيها الوغد وأخبره بما قلتُ لك، وإلا جعلت رأسك يتساقط قبل أن ترمش!"

شدت أماليا على يده بقوة لتهدة ثورته، ثم تقدمت هي بثبات أمام الحارس، ورفعت رأسها

بشموخ نقي وقالت:

"بلى.. للملك هوارد ابنة، وهذه الابنة تقف أمامك الآن! اذهب وأخبره أن ابنته تريد مقابلته،

ولتحتفظ بوقاحتك لنفسك."

تراجع الحارس خطوة تحت وطأة النبذة الملكية الصارمة التي انبعثت من صوتها، وتفرس في

ملامحها الدقيقة لبرهة قبل أن يدخل مسرعاً عبر الأبواب العالية. وبعد دقائق لم تطل، عاد

الحارس وقد انقلبت عجرفته إلى انحناء ارتباك وخوف، ونبس بصوت خفيض:

"تفضلاً.. جلالة الملك بانتظاركما في القاعة الكبرى."

تشابكت أيديهما مجدداً، وعابرا الرواق العظيم المزين بالسجاد المخملي الأحمر والثريات الكريستالية المتدلّية. ولما ولجا القاعة الضخمة، كان الملك هوارد يقف أمام عرشه الفخم، مرتدياً عباءة ملكية مطرزة بالخيوط الذهبية، وملامحه الحادة تنضح بالهيبة والأرق. فور أن وقعت عين الملك هوارد على أماليا، اتسعت حدقاته بذهول، ونبس بنبرة مشدوّهة: "أنتِ.. أنتِ التي تزعمين أنكِ ابنتي؟ ما قصتكِ أيتها الفتاة؟"

تقدمت أماليا خطوة ونبست بصوت يتهدج:

"أنا ابنة الملك هوارد والملكة سلفينا، و..."

لم تدعها الكلمات تكتمل، إذ اندفع هوارد ونزل عن درجات عرشه كالمصروع، واحتضنها بين ذراعيه بقوة عاصفة كادت تعصر أنفاسها، واختلطت بنبرته حرقه السنين وهو يتمتم:

"الساحرة!.. تلك السافلة اللعينة حرمتني منك طوال هذه العقود! كنتُ أعلم في أعماق روحي أن لي قطعة من دمها ودمي، لكنها أخفتكِ عني لتقتص مني وتجلد قلبي انتقاماً!"

تراجعت أماليا من حضنه الدافئ ببطء، ومسحت قطرات الدموع التي انحدرت على وجنتيها، وقالت بشك يسكنه الخوف:

"سلفينا أيضاً فور أن رأيتني احتضنتني وادعت الحب، ولكن نهايتها كانت محاولة سفك دمي وإزهاق روحي.. هل لي أن أصدقك حقاً؟ هل أنت مختلف عنها؟"

دمعت عينا هوارد الفولاذيتين، وجثا على ركبته ليكون في مستوى عينيها، وقال بصدق زلزل أركان القاعة:

"أنتِ تعرفين الحقيقة في وجدانك يا بنيتي.. الجميع في هذه المملكة يعلم أنني تمنيتُ طوال حياتي أن ينبض عرشي بوجود ولد أو بنت يحمل اسمي ويرث مجدي. لم أفرط بك يوماً، وبحث عنك في كل أرجاء الأرض.. أسألي حيطان هذا القصر ورجاله، سيخبرونك أن هوارد لم ينكسر إلا في غيابك!"

انفرط عقد صمود أماليا، واشتعلت بالبكاء مجدداً، ثم ارتمت بكل ثقلها في أحضانها وهي تصرخ بعاطفة جارفة:

"أبي!.."

شد هوارد على عناقها، واحتواها كمن وجد روحه الضائعة، وهطلت دموعه الساخنة على شعرها وهو يهمس:

"يا إلهي.. كم تمنيتُ سماع هذه الكلمة تسري في مسمعي منذ أزل!"

في زاوية القاعة، كان آياتو يقف شامخاً، شبك ذراعيه على صدره، وارتسمت على ثغره الحاد ابتسامة ناعمة وهو يرى السعادة تعود لتضيء وجه أماليا الداكن بالآلام.

استعاد هوارد وقاره، وتفرس في ملامحها ملياً، ثم قال بفخر:

"أنتِ تشبهيني في عينيك وجبينك بشكل لا يصدق! اليوم.. اليوم ستقام مأدبة عظمى

واحتفال مهيب بعودة الأميرة المفقودة إلى مملكة باكوغو! أيها الحراس! اجمعوا العائلة

الملكية قاطبة، لتكتمل الفرحة برؤية ابنتي!"

ثم التفت إليها وسأل بلهفة حنونة:

"ما اسمك يا حبيبتي؟"

ردت بصوت خفيض: "أماليا."

هوارد: "ومن الذي اختار لك هذا الاسم العذب؟"

أماليا: "أبي.. الرجل البسيط الذي رباني وأحسن رعايتي."

هوارد: "وهل كان كريماً معك أم أذاقك القسوة؟"

ردت بوفاء: "لقد كان حنوناً، رؤوفاً، وأغدق عليّ من عطفه الكثير.. أنا أحبه جداً."

قال هوارد بنبل: "يجب عليّ أن أشكره بملء ملكي على اهتمامه بأميرتي طوال هذه السنوات!

ألا تعلمين أين دياره الآن لنحضره؟"

انكسرت ملامحها وقالت بأسى: "كلا.. أخشى أن سلفينا قد تخلصت منه بغدرها فور أن

انتهت مهمته في تربيته."

وضع هوارد يده على كتفها ليطمئنها: "لا تقلقي.. سأقلب الأرض بحثاً عنه، وسأوفيه حقه

وأجعله يعيش معنا في رغد القصر إن كان حياً.. بل إنني سأكافئ كل من يمت لك بصلة يد

وحسنة للوصول إليّ! اكتبي لي قائمة بأسمائهم وسأشكرهم فرداً فرداً."

التفتت أماليا بنظرها نحو آياتو الذي كان يراقب المشهد بصمت وقار، وقالت بدفء:

"لم يساعدي أحد في هذا العالم، ولم يحم حياتي ويتحمل أذى الطريق.. سوى آياتو."

استدار هوارد بنظره نحو آياتو، وتفرس في جسده الفاره ووقفته الشامخة، وقال بامتنان

ملكي:

"لقد أعدت وردتي وثمرتي حياتي إلى أحضاني.. اطلب مني ما تشاء في هذه المملكة، وسيكون مجاباً لك في التو واللحظة!"

رد آياتو ببرود متزن وابتسامة غامضة:

"دع هذا الطلب ليوم آخر."

ابتسم هوارد وقال: "لك ذلك.. اطلب متى شئت ولن أردك."

ثم أخذ هوارد يد أماليا بحماس أبوي طافح، وخرج بها إلى أروقة القصر قائلاً:

"تعالى معي لأعرفك على مملكتك وقصرِك يا عزيزتي!"

أشارت أماليا برأسها لآياتو كي يلحق بهما، فقدم آياتو بظلال هادئة يتبعهما. وفي هذه الأثناء،

كان هوارد ينبض بالحياة، يحكي لها بابتسامة لا تغيب عن حكايات العائلة، وتاريخ القصر

العريق، ومغامرات شبابه، وكيف جرت الصراعات مع سلفينا، وإنجازاته الملكية.

ثم توقف هوارد فجأة، وضحك بخفة قائلاً:

"لا بد أنني أثقلتُ رأسك الرقيق بكثرة حديثي!.. لكنني متحمس للغاية يا أماليا، أكاد لا أصدق

أنك تقفين أمامي لحماً ودماً. كنتُ أحلم بك كل ليلة، وأتخيل شكلك في المخيلة.. لكن

الاتضحاح كان أبهى، فأنت أجمل بكثير من كل الصور التي رسمتها!"

ابتسمت أماليا برقة وقالت:

"أنا السعيدة حقاً لأنك لم تتخلَّ عني وتغدر بي كما فعلت أُمي."

قطب هوارد حاجبيه برفعة حازمة وقال:

"ششش.. لا تنطقي بكلمة 'أمي' مجدداً! تلك المرأة ليست أمكِ، بل هي عدوتنا الأزلية من الآن فصاعداً.. اتفقنا؟"

هزت رأسها بابتسامة هادئة. وفي هذه اللحظة، تقدم حارس وانحنى بإجلال أمام الملك: "جلالتك.. العائلة الملكية بأكملها قد بلغت القصر، وهم بانتظاركم الآن في الباحة الكبرى." قال هوارد بهمة: "فلنذهب إذًا! سأعرفكِ على أهلكِ ودمائكِ، إنهم عائلتكِ يا ابنتي.. أسري!" اقتربوا من الباحة المفتوحة، حيث نُصبت طاولة خشبية ضخمة ومزخرفة بالذهب، وتحلق حولها حشد من أفراد العائلة الملكية بملابسهم الفاخرة ونياشينهم البراقة. وقف هوارد عند رأس الطاولة ومعه أماليا، ونظر إلى الوجوه المستغربة وقال بصوت جهوري هز أركان المكان:

"أعلم أنكم جميعاً متفاجئون من هذا الجمع الطارئ!.. لكن السبب جنوني وغاية في الروعة!" تبادل الحاضرون النظرات الفضولية، وتسلفت أعينهم نحو أماليا التي كان هوارد يحيط كتفها بيده، فأضاف بابتسامة عريضة:

"احذروا من تكون هذه الحسناء التي تقف بجاني؟.. إنها الأميرة الضائعة! عادت أخيراً.. إنها ابنتي التي بحثتُ عنها دهرًا، وأتت إلى أحضاني بقدميها!"

ساد الذهول لثانية، ثم انفجرت الباحة بالتصفيق الحار والتهاني، ووقف الجميع يعانقون بعضهم، وترددت الأصدا:

"وأخيراً وجدها!"

"عادت أميرتنا!"

"هذا يوم مجيد لمملكة باكوغو!"

جلس الجميع، وبدأ هوارد بتعريفهم فرداً فرداً بأماليا:

"هذه أُمي، أي جدتك اللطيفة.. البارونة مارغريت."

قامت الجدة مارغريت من مقعدها بملامح حنونة وفتحت ذراعيها:

"تعال يا حفيدتي الحبيبة إلى أحضاني!"

هرعت أماليا إليها وعانقتها بحرارة ودفء شيع السكينة في قلبها.

واصل هوارد التقديم: "وهذه زوجتي.. الملكة أناستازيا."

ابتسمت أماليا بتهذيب وتقدمت لتصافحها، لكن أناستازيا بادرت بعناق دافئ وقالت بجمال

ونبرة رقيقة:

"أخيراً تحقق الحلم الذي طالما أنار آمنيات هوارد بوجودك في حياته."

في تلك اللحظة بالذات، تجمد الدم في عروق آياتو!..

شخصت عيناه نحو وجه أناستازيا، وانقبض صدره بعنف كأن خنجراً صلبياً غُرس في

المنتصف. حاول إخفاء وجهه وإمالة رأسه بعيداً عنها قدر المستطاع، بينما انسلت دموعتان

حارقتان من عينيه، فمسحهما بسرعة كبرياء مكسور.

تداعت في ذهنه الذكريات المظلمة كالعاصفة، وراقبها بحدة ونظرة تخالطها لوعة الخيانة:

(أمي!.. نعم، إنها هي ذاتها.. أمي التي تركتني في القاع! لماذا تخلّيت عني في ذلك الزمن الغابر؟
ولماذا تزوجت من عدونا وهربت إلى رغد عرشه؟)

استمر هوارد في استعراض أفراد العائلة دون أن يتنبه للشرارة المشتعلة بين زوجته والفتى
الواقف:

"وهذا عمك ويليام، وهذا ابنه براين، وهذه ابنته أليسيا، وهذه زوجته كاترينا.. وهذه عمتك
إليزابيث، وهذا ابنها ألبرت، وهذا ابنها الثاني ديفد، وابنة ديفد فيرونا وزوج عمتك لويس..
وهذا عمك الأصغر توماس، وابنه جايدن، وابنه الثاني كيفن."

انحنت أماليا لهم جميعاً بلباقة، فبادلوها الانحناء والترحيب الفاخر. عندئذ، أشار هوارد
للجميع بالجلوس لبدء المأدبة الفخمة، وأمر الحراس بإحضار كرسيتين فاخرين لآياتو وأماليا
بجانبه تماماً.

جلس آياتو بجانب أماليا والوجوم يلف ملامحه المنحوتة، بينما قال هوارد بامتنان وهو يشير
إليه:

"أما هذا الفتى الشجاع، فقد كان السند لابنتي أماليا للوصول إليّ.. ما اسمك يا بني؟"

تطلع آياتو إلى الأمام مباشرة، وقال بصوت حاد كالصلب ينضح برنة غامضة:

"آياتو."

فور صدور هذا الاسم، سكنت الحركة في جسد أناستازيا، وشعرت بوخزة حادة تعتصر قلبها كأن أحداً طعن روحها. رفعت بصرها ببطء نحو آياتو، وتفرست في تقاطيع وجهه الحادة والوسيمة..

تبيست ملامحها بالذهول واللوعة؛ لقد رأت فيه ذلك الطفل الصغير الذي تركته خلفها وهو في العاشرة من عمره، يصرخ ويتوسل.. لكنه الآن كبر، وصار شاباً مهيباً، وسيماً، ومتكاملاً ببرود مخيف.

انطلق الجميع في تناول الطعام والحديث الضاحك بسعادة طافحة تعم الباحة، بينما خيم صمت قاتل وجدار غير مرئي بين آياتو وأناستازيا.. كلاهما بقي يراقب الآخر بنظرات مشحونة بالأسئلة، الخيانة، والألم الدفين الذي يهدد بانفجار قريب.

الفصل الخامس عشر: ترانيم الماضي

انسكبت أشعة الشمس الدافئة عبر فراغات البستان الخلفي، تنسج على الأرضيات الحجرية والأعشاب الندية ظلالاً متكسرة تراحم بقايا باردة من ندى الفجر. كان الصمت الذي يلف أطراف القلعة يناقض تماماً صخب القهقهات وأصوات الأواني التي ضج بها مجلس الفطور، حيث انشغلت العائلة في استكشاف تفاصيل أماليا واسترجاع حكايات غابرة.

بعيداً عن ضجيج العائلة الملكية، وقف آياتو حانياً ظهره نحو جدار حجري قديم تكسوه أغصان اللبلاب. كانت أنامله تتفقد نتوءات قشرة جافة لثمرة تين لم تكتمل، في حركة غير منتظمة تكشف عن اضطراب مكتوم تدفنه ملامحه الصارمة. لم يكد يسترق النظر نحو ظلال الأشجار حتى تراءى له حفيف فستان يتداخل مع همس الريح؛ كانت أناستازيا تقف هناك، تسكن عينيها الزجاجيتين لوعةً انكسرت تحت ضوء الشفق الناعم، ترقبه كمن يستحضر طيفاً هرب من طيات الزمن.

خطت خطواتها الثقيلة نحو الفراغ الفاصل بينهما، وصوت أنفاسها المتهدجة يسبق خطواتها:

"أنت... آياتو؟ ابن تشارلز؟"

رفع آياتو عينيهِ الحادثين، وانزلق صوته بارداً، يختبر صلابة الموقف:

"وابنك أيضاً... إن كان في وسع ذاكرتك استعادة هذا الاسم."

ارتجفت شفتا أناستازيا، وامتدت يدها كفرع خشب واهن تحاول لمس خط فكه الصلب، لكنها ترددت في الهواء، بينما تجمعت قطرات ملحية حارقة في مقلتيها:

"لقد صرت شاباً بلامح حادة... كأنك قطعة قسوة قُطعت من تشارلز في شبابه."

لم تذبل عين آياتو، بل ثبت حدقتيه الداكنتين في عينيها، وانحنت شفته بنصف ابتسامة ساخرة:

"لماذا قذفت بنا إلى قاع تلك الهاوية وتخلّيت عنا؟"

قبضت على كفيه بقوة مفاجئة، كأنها تحاول استمداد الحياة من أنامله الباردة:

"لو لم أفعل... لكانت دماؤكم ودماي قد أريقَت فوق بلاط القصر! ألم تدرك ذلك بعد؟"

سحب يديه ببطء شديد، ورفع حاجباً بنظرة توجي بالشك والشجن:

"ومن كان ليجرؤ على إراقة دمك؟ هل هو تشارلز... أم خوفك المظلم؟"

"أجل! هو ذاته تشارلز... حين عشق امرأة أخرى وشعر أن عينيّ استشفتا سريرة قلبه، أقسم

أن يمحو وجودي. لم تكن مجرد ظنون يا آياتو... لقد امتدت رؤياي البصرية عبر السنين،

ورأيته يقف وحيداً بين أنقاض قسوته دون أن أكون إلى جواره. كان موتي حتماً إن بقيت،

فهربت أطرق أبواب هوارد قبل أن تبتلعني ظلمات القصر."

نفث آياتو زفيراً ثقيلاً محملاً بأسى السنين، واندفع خطوة إلى الخلف، مسنداً ساعده على

الجدار:

"كفي عن إلباس الهروب رداء التضحية... إن ما تقولينه يثير الاشمئزاز في صدري. أيّ أم تترك أطفالها لمواجهة القدر بمفردهم لمجرد أن عين بصيرتها أشفقت على جسدها من الموت؟ لو كانت رؤياك نافذة لهذه الدرجة، كيف عجزت عن استشراف هذه اللحظة التي نقف فيها سوية؟"

ابتسمت أناستازيا بمرارة، واقتربت حتى غدت على بعد شبر واحد منه، ترقب انعكاس عينيها في عينيها:

"ومن قال لك إنني لم أرك؟ كنت تتردد على رؤياي طوال هذه السنوات... تظهر كظل حارس يقف بجانب كل ما أوشكت على الانهيار."

لوح بيده كمن يزيح غباراً كثيفاً يثقل كاهله:

"كفى... لا تفرشي الأكاذيب فوق أرضي الهشة."

استقرت عيناها على ملامحه التي بدأت تلين قسوتها، وسألته بصوت يطفو عليه الشوق:

"أخبرني عن بقية إخوتك... كيف ينبض قلب القصر هناك؟"

قست ملامحه مجدداً، وانقبضت قبضة يده حتى تصلبت مفاصله:

"لو كان نبض قلوبهم يعينك، لما أدريت ظهرك لهم."

"لقد فعلت ذلك حتى تظلوا أحياء تحت سقف الإمارة! لو قتلني تشارلز أمام أعينكم، هل

كنتم ستكبرون بحب؟ اخترت أن تحموا ألقابكم حتى لا تضيعوا في الشوارع معي."

سكنت حدة آياتو، ونظر نحوها بعينين خبا فيهما الجفاء ليحل محله دفء قديم، وقال
بصوت خفيض تشوبه نبرة صادقة:

"سأكتفي بالتظاهر بالتصديق... فقط لأنك أُمي، ولأن قلبي ظل طوال هذه السنين يخترع لك
الأعذار كي يغفر لك غيابك الطويل."

لامست وجنته بنعومة حنونة، واسترسلت بصوت دافئ:

"كنت دائماً طفلي المميز صاحب النظرات الثاقبة... حدثني عن إيرنست والآخرين."

التفت آياتو ونظر نحو أفق الحديقة المفتوح:

"إيرنست يعتلي منصة العهد الآن... لكن هذا التاج لن يستقر على رأسه ما دمت أتنفس."

اتسعت عيناها بدهشة:

"أتعني أنك تسعى وراء العرش ومباهجه؟"

"لا شأن لي بالعرش، بل لأنني اكتشفت بعيني أنه ليس سوى بيدق رخيص في يد سلفينا
البشرية."

شهقت أناستازيا واضعة يدها على صدرها:

"يا للعار... كيف لفتى من ذريتنا أن ينحدر إلى هذا الحد؟"

ازدرد آياتو ريقه ومسح بيده على شعره:

"لو أبصرت قدر الغرور الذي يملكه! يخطط لتصفية رايتو ووالتر ليضمن ألا يقف أحد

بوجهه، لكنني أملك الوثيقة التي ستكسر كبرياءه أمام الملك وتنفيه خارج الامبراطورية."

تنهدت في حزن، ثم تابعت:

"أسفي على ما آلت إليه نفسه... وماذا عن رايتو ووالتر؟"

تغيرت نبرة آياتو ليمزج بين الفخر والسخرية اللطيفة:

"رايتو صار فارساً يتردد أسمه في ساحات المعارك، لا يهاب الصليل ولا يتراجع. أما والتر... فما

زال تلك الروح المشاغبة التي تشعل الحرائق أينما حلت، بل وأكثر من ذلك؛ لقد سقط

صريعاً في حب أليسيا، ابنة ويليام."

انطلقت ضحكة قصيرة مباغته من شفتي أناستازيا، واهتزت كتفاها:

"أوه هههه! أهذا صحيح؟ لم تتغير طباعه الصاخبة إذًا."

ارتسمت ابتسامة هادئة على ملامح آياتو الحادة، وقبل أن يستوعب اللحظة، رفعت

أناستازيا ذراعيها وطوقت عنقه بعناق دافئ دفن فيه رأسه لحظات. همست عند أذنه:

"اشتقت إليكم حتى كاد الشوق يمزق صدري."

شد ذراعيه حول ظهرها، وشعر بحرارة أنفاسها المنتظمة:

"سأحضر لك رايتو ووالتر في أقرب فرصة تتاح لي، أما إيرنست... فأمره يحتاج حبة أكثر

تعقيداً."

ابتعدت عنه قليلاً ومسحت دموعها بسرعة:

"هيا بنا، لنعد وننضم للبقية."

أمسك بمرفقها مستمهاً:

"انتظري يا أمي... هل ستكشفين لهوارد أنني ابنك؟"

استدارت نحوه بثقة، ورمقته بنظرة تعلوها الرفة:

"بالطبع سأعلنها أمام الجميع، لم العيش في الظلال بعد الآن؟ ما دام ابني البطل يمسك بيدي، فلن أخشى أحداً."

في الصالة الفسيحة للقلعة، حيث تتداخل أصوات القدور المعلقة ودفء النيران الصادرة من الموقد الكبير، دخلت أناستازيا وآياتو يسيران بخطى متناسقة، تلف ذراعها حول ذراعه. تسللت نظرات الذهول بين الحاضرين.

وقف هوارد فجأة، مسنداً يديه على الطاولة الكبيرة، وقطّب حاجبيه بنظرة متفحصة:

"أناستازيا... هل هناك سابق معرفة بينك وبين هذا الشاب؟"

ابتسمت أناستازيا بثبات، ونظرت لآياتو المائل برأسه بنظرة اعتداد:

"ألا تلاحظ الشبه البارز في ملامحنا؟ إنه ولدي."

ساد الصمت الغرفة كأنما توقف الزمن، وانقبضت ملامح هوارد وصدمته ألجمت لسانه،

قبل أن يندفع قائلاً:

"لا تخبريني أنه ينتمي لدم تشارلز!!"

أجابت بصلاية:

"هو ابن تشارلز صحيح... وابني أنا أيضاً."

قبض هوارد على يديه، وترددت في عينيه غيوم غضب عابر، لكنه نظر إلى أماليا الجالسة بجوار الموقد، ثم عاد بنظره إلى آياتو. تنفس بعمق وقال بنبرة صادقة قاطعة:

"رغم أنك تحمل دماء أكبر أعدائي، إلا أن يدي مكبلتان أمامك... لقد خاطرت بنفسك لتشيد جسر العودة لابنتي، وقبل كل شيء أنت نجل أناستازيا. ستبقى هذه القلعة مفتوحة لك في أي وقت تشاء."

التقطت أماليا النبرة، ووجهت لآياتو نظرة محملة بالامتنان، فبادلها برفعة حاجب هادئة وهو يجلس إلى الطاولة وسط أجواء الترحيب.

التفتت أليسيا صوب أماليا، واضعة خديها بين كفيها بنظرة ملؤها الفضول:

"أماليا، اقصصي علينا كيف قطعتم تلك الطرق القاسية حتى وصلتكم إلى هنا!"

تنهدت أماليا بابتسامة ناعمة، ومالت بجسدها للحياء:

"كانت رحلة مكثفة بالمخاطر، لكن وجود آياتو جعل كل عقبة تصغر أمامنا... تتخيلون أنه تخلص عن رداء الإمارة ومكانته لمجرد أن يخرجني من أسوار القصر ويحفظ سلامتي حتى أصل لباكوغو."

امتدت يد أناستازيا لتضغط على يد آياتو بنعومة، بينما رمقه هوارد بنظرة احترام عميقة وقال:

"مهما قدمت لك من صنيع، فلن أوفيك قدر ما فعلت أيها الشهم."

وفجأة، اقتربت الفتاة الصغيرة فيرونا، مدلية قدميها الصغيرتين من الكرسي العالي، وقالت بصوت متهدج براءة:

"أميرة أماليا، لقد رأيتكِ تبسمين للفارس آياتو تحت الطاولة وهو يقطع قطعة لحمه! والفارس آياتو نسي حتى أن يأكل وظل ينظر إليك.. لماذا تتحدثان بالعيون وتتركاننا نتحدث باللسان؟"

توردت وجنتا أماليا بحمرة خفيفة، بينما غطى الحرج ملامح آياتو الذي أدار وجهه قليلاً محاولاً السيطرة على ابتسامته المتسللة. التقت عيناها لثوانٍ معدودة، والجميع يرقب هذا التبادل الصامت بابتسامات دافئة.

حل الليل على القلعة، وأرخت العتمة سدولها على الممرات الحجرية. جهزت العائلة غرفتين متجاورين في الطابق العلوي.

في غرفته، كان آياتو يتمدد مستسقياً بنظره نحو الفراغ. لمعت في ذهنه فكرة ما، وفي لحظة خاطفة، تداخل جسده مع الهواء واختفى كأنه لم يكن.

داخل غرفتها الساكنة، أسندت أماليا رأسها إلى الوسادة الوفيرة، تتنفس الهدوء الذي افتقدته. أغمضت عينيها بتعب لذيذ، قبل أن ينساب منها همس خفيض كأنه اعتراف يتردد في سكون العتمة:

"كيف لقاسي الملامح مثله... أن يستمر بزلزلة ثباتي هكذا؟"

لم تدرِ أن الهواء خلفها كان يتشكل بأثيره البارد، حتى سرت في الغرفة حرارة أنفاس مكتومة استقرت بالقرب منها. تبلور جسد آياتو ببطء شديد، يقف عند عمود السرير الخشبي، ورداء نوره ينحسر ليظهر ملامحه الحادة التي أذابها بريق النور المتسلل من النافذة. انزلق صوته العميق، يداعب الهدوء بنبرة تشبه العزف الدافئ:

"هل ما زلتِ تحاولين حل شفرة هذه القسوة... أم أنكِ استسلمتِ لفك أسرارها؟"

ارتبكت أنفاس أماليا وانكمشت للخلف بجسدها ضاغطة الوسادة إلى صدرها، بينما سرت الحمرة في وجنتيها بصمت، وابتلعت ريقها بصعوبة:

"أنت... كيف تتسلل هكذا؟ لم تكن... لم تكن تستمع، أليس كذلك؟"

لم يبتعد آياتو، بل خطى خطوة هادئة اقترب بها من حدود فراشها، ثم جلس على الحافة المائلة نحوها. انحنت قامته قليلاً حتى أصبحت نظراته على مستوى عينيها، واختفت حواجزه الصارمة ليحل محلها بريق صادق شديد الجاذبية:

"استمعتُ لما يكفي لأدرك أن دفاعاتكِ الصخرية بدأت تنهار... وأنتِ تعبتي من المقاومة."

شاحت ببصرها بعيداً تحاول ترميم شتات ثباتها، وقالت بصوت متهدج تحاول تغليفه بالسخرية:

"لا تطمئن كثيراً... ربما كنتُ أتحدث عن جاذبية ابن عمي براين، ألم ترَ النظرات التي يلقيها؟"

امتدت أصابع آياتو الدافئة لتمسك بأسفل ذقنها بنعومة لا تضاهي، وأدار وجهها ببطء شديد حتى أجبر عينيها على الغرق في سحر عينيهِ الحادتين. محيت الفواصل بينهما حتى باتت تفصل بين وجهيهما إنشآت قليلة.

همس بنبرة عميقة ينساب منها حنان لم يعتده أحد منه:

"عيناكِ لا تعرفان الكذب يا صغيرة... براين لا يملك القدرة على جعل أنفاسكِ تتسارع هكذا لمجرد قربهِ منك."

سكنت آماليا تحت وطأة لمستهِ، وتلاشت كل محاولات المكابرة من صدرها. اختفت

السخرية ليحل محلها صدق نقي؛ نظرت إلى عينيهِ، وقالت بصوت همسي ناعم:

"لأنك أحمق... ولأنك أخذت كل وقت العالم لتدرك أنك أسرتني منذ اللحظة الأولى التي اخترت فيها حمايتي."

اتسعت حدقتا آياتو لثانية من أثر الاعتراف المباغت، واهتزت نبرته الصارمة لتظهر رفته

الخبيفة، متمتماً أمام شفيتها:

"لم أكن آخذ وقتي... كنتُ فقط أتعلم كيف أحب امرأة دون أن أكسرها، وأنا الذي لم أعرف في حياتي سوى الخراب."

دون المزيد من الكلمات، تمدد بجانبها على السرير ببطء، وسحب الغطاء الدافي ليحيطهما

معاً. أرخى ذراعه القوية لتستقر أسفل رأسها، ثم سحبها إلى صدره في عناق حنون يحميها من أوجاع الماضي.

ألقى ذراعه الآخر حول خصرها، فاخترت هي في حضنه الدافئ، وأسندت خذها على موضع قلبه الذي كان ينبض بقوة وثبات. في تلك اللحظة الساكنة، رفعت أماليا يدها الرقيقة، وبدأت تتنقل بأناملها بنعومة ولطف على ثنايا صدره، ورسمت دوائر وهمية فوق قماشه، بينما صعدت يده الأخرى لتتخلل خصلات شعرها بنعومة، غارقين معاً في دفء هذا الأمان. اعتدلت ملامحه بينما لا يزال يداعب خصلاتها، ليرسل إليها نظرة دافئة:

"ما انطباعك عن عائلتك الآن؟"

شبكت أماليا أصابعها وقالت بنبرة ملؤها الامتنان:

"إنهم يفيضون دفئاً ولطفاً... لم يشعروني بلحظة واحدة أنني غريبة، وكأنني نبتت بين أحضانهم منذ صغري."

ابتسم بنعومة:

"وأنا أيضاً استعدت أمي أخيراً... كم كانت ليالي باردة دون هذا الشعور."

ردت عليه وعيناها تلمعان:

"أتعلم؟ لم أتخيل أن تكون والدتك بهذه الرقة والجمال... لقد أحببتها من قلبي."

غمز لها آياتو ببريق لعوب في عينيه:

"هذا ممتاز... في النهاية هي من ستكون حماك المستقبلية هههه."

ضربت أماليا صدره بحرج طفيف:

"هاي! توقف عن إحراجي!"

سكنت ملامحها فجأة، ونظرت إليه بعمق:

"آياتو... أشعر أن أمواج حياتنا بدأت تستقر على شاطئ أمن."

رد بصوت خفيض يحمل رجاء مكتومًا:

"أتمنى ذلك من كل قلبي، أنا أوصلتك لبر الأمان، ما عليك الآن سوى إنقاذي معك."

في تلك اللحظة، تردد صوت طرقات منتظمة على الباب. في رمشة عين، تلاشى جسد آياتو

ليختبئ في زاوية الغرفة المظلمة. اعتدلت أماليا وفتحت الباب، لتجد أليسيا تقف بابتسامة

متسعة:

"هل أستطيع الدخول لمشاركتكِ الجلسة؟"

"تفضلني بالتأكيد!"

خطت أليسيا نحو الداخل، واتجهت مباشرة إلى السرير، ثم التفتت نحو الزاوية الفارغة

وقالت بنبرة ضاحكة:

"لا داعي للاختفاء يا آياتو... قدرتي الخاصة تتلخص في كشف ما تخفيه الظلال."

تبلور جسد آياتو مجددًا، وحك طوق قميصه بحرج ظاهر:

"هذا الموقف يتسم بقدر غير مريح من الحرج."

ضحكت الفتاتان بصوت خفيض، فقال هذا الأخير مستعدًا للمغادرة:

"سأنسحب إذًا لأترك للفتيات مساحتهن الخاصة."

استوقفته أليسيا مشيرة إلى الأريكة:

"كلا، ابق معنا! أريد أن نتعرف أكثر."

جلس آياتو على الأريكة المجاورة بينما استقرت الفتاتان على السرير. نظرت أليسيا إليهما بنظرة خبيثة:

"إذًا... أنتما تتواعدان سرًا، أليس كذلك؟"

صمت آياتو ونظر لأماليا بابتسامة متطلعة، فأنقذت أماليا الموقف وقالت بثبات:

"أجل، ونخطط للزفاف في وقت غير بعيد."

صفقت أليسيا بحماس:

"يا له من أمر ساحر!"

التفت آياتو نحو أليسيا وسألها بنبرة اهتمام:

"ماذا عنك أنت؟ هل تقعين في حب أحدهم؟"

ردت أليسيا بابتسامة ذات مغزى:

"أعلم أنك تعلف بالفعل أنني أرتبط بأخيك والتر... وعلى ذكر اسمه، لا تنس أن تنقل له

سلامي الحار حين تراه."

ابتسم آياتو:

"سينقل بالتأكيد. متى ستكلان هذا الارتباط؟"

تنهدت أليسيا بضعف:

"يبدو الأمر معقدًا وشبه مستحيل في ظل العداوة بين المملكتين."

علق آياتو ناضحًا بالحكمة:

"الموقف مشابه لنا تمامًا... لكن الملك يملك تقديرًا خاصًا لي الآن، ورغم أن البدايات

ستشهد رفضًا، إلا أن هناك منفذًا."

سألت أماليا متفحصة:

"أليسيا... عائلتك تتكون من عمي وويليام، وزوجته كاترينا، وأخيك براين، صحيح؟"

"أحسن! حفظت الأسماء بسرعة. ولكن كم عمرك يا أماليا؟"

"عُمري عشرون عامًا، ماذا عنك؟"

"أنا في الثانية والعشرين... وأنت يا آياتو؟"

رد آياتو ببرود جذاب:

"اثنان وثلاثون."

ابتسمت أليسيا:

"أنت في عمر أخي براين تمامًا... والآن يا صهري العزيز، حان وقت مغادرتك لنتحدث في

شؤون نسائية خاصة."

ضحك آياتو مستسلمًا ووقف:

"حسنًا حسنًا... لكن لا تجعلي زوجتي تسهر طويلاً، فهي تعب وتحتاج للنوم، اعتني بها."

غمزت له أليسيا:

"اطمئن، لن ألتهمها! هيا انصرف، عرفنا مقدار خوفك عليها."

اختفى آياتو مجدداً في الهواء متجهاً لغرفته.

التقطت أليسيا يد أماليا وسألتها بنبرة جادة:

"أماليا... هل تسكنك مشاعر حقيقية نحو آياتو؟"

أجابت أماليا بنظرة هادئة:

"نعم... أحببته بحق. وماذا عنك وعن والتر؟"

"أعرفينه جيداً أنت؟"

"بالطبع، هو من اختارني لأعمل خادمة في قصرهم."

ابتسمت أليسيا بشغف:

"كيف ترين شخصيته ومظهره؟ هل ترينه يليق بي؟"

"أعتقد أجل، إنكما ثنائي رائع! إنه مشاغب ومندفع مثلك، وشعره يحمل ذات درجات

شعرك... لكنك لم تجيبيني، هل تحبينه؟"

"بالتأكيد! وهو يبادلني كل ذرة من هذا الحب."

خفضت أماليا رأسها وقالت ببعض الشك:

"لست واثقة تماماً إن كان آياتو يبادلني نفس العاطفة..."

لوحت أليسيا بيدها معترضة:

"هذا منطق واه! رجل يترك إمارته ويخاطر بحياته من أجلك ولا يحبك؟ آياتو يرتدي قناع

القوة ويرى الحب نقطة ضعف يخشى إظهارها، لكن تصرفاته تفضحه."

ابتسمت أماليا بارتياح:

"هذا يبعث على الطمأنينة... أخيرا ركزت على من يمنحني وجوده."

وقفت أليسيا ومسحت على كتفها:

"سأنسحب من الغرفة، فحبيبك شدد عليّ ألا أدعك تسهرين. تصبحين على خير."

استلقت أماليا في فراشها، تراقب ضوء القمر المتسلل من النافذة، وسرعان ما أغلقت عينيها

لتغرق في نوم عميق.

الفصل السادس عشر: التاج والمصير

مع تباشير الفجر الأولى، تعالت زقزقة العصافير لتكسر صمت القلعة الحجري، فتسلل النور الناعم عبر ستائر الغرفة الخفيفة. أفاقت أماليا وانتعشت برذاذ الماء الدافئ، ثم تركت شعرها الحريري ينساب فوق ظهرها. حين خطت نحو قاعة الطعام، استقبلتها حرارة الموقد ورائحة الخبز الطازج، حيث كانت العائلة قد انتظمت حول الطاولة الممتدة.

نهض الملك هوارد مستقبلاً إياها، وتهللت أساريره بابتسامة نادرة، واضعاً يده العريضة على كتفها بحنان أبوي:

"أشرقَ فأشرق الصباح، أميرتي. تقدمي واجلسي إلى جوارِي."

جلست أماليا ورمت تحية الصباح بابتسامة رقيقة قابلها الجميع بحفاوة. وقبل أن تمتد الأيدي نحو الطعام، وقف هوارد، فارضاً هيبة أسكتت الصخب فجأة، وقال بصوت جهوري واثق:

"اليوم تُطوى صحائف الحزن في تاريخ باكوغو. عودة ابنتي أماليا ليست مجرد استعادة لغائب، بل هي انبعاث للروح في هذا العرش. ولأجل ذلك، سأعلنها اليوم ملكةً ووليّةً لعهدي من بعدي."

ضجت القاعة بالتصفيق، بينما كان آياتو مستنداً إلى أحد الأعمدة في الزاوية المجاورة، يرمقها بنظرة فخر مشوبة بكبرياء هادئ، وابتسامة خفية لا يقرؤها سواها.

بعد الإفطار، انحنى هوارد قريباً منها وقال بنبرة مفعمة بالفخر:

"تهيئي يا ابنتي، فمراسم تنصيبك ستكتمل بمجرد انقضاء ظهيرة اليوم."

اغرورقت عيناها بالدموع، وطوقت عنق والدها بامتنان قبل أن تنطلق مهرولة نحو غرفتها.

هناك، فتحت الخزانة الملكية الضخمة التي ازدحمت بأثواب مرصعة وتيجان تلمع، تقف

حائرة بين الجواهر الثمينة.

سمعت نقرات خفيفة على الباب، وانسل آياتو للداخل بهدوء واثق. جلس على الكرسي

المقابل لها، وتأمل الفساتين بابتسامة هادئة:

"وأخيراً... نقف على عتبة المجد الذي دفعنا ثمنه دمًا وصموداً."

استدارت نحوه، وعيناها تفيضان بالشكر:

"لولاك يا آياتو... لكنّ أحتضر تحت سياط العبودية في أقبية القصر. أنت لم تكن حارسي

فقط، بل كنت طوق نجاتي."

ابتسم جانبياً ورفع حاجباً بأسلوب لعوب:

"خففي من وتيرة هذا المديح، وإلا تجاوز غروري حدود هذه القلعة العتيقة."

اقتربت أماليا حتى توقفت قبالة تماماً. وقف هو الآخر، لتلقي بنفسها بين ذراعيه في عناق

ضيق يعبر عن كل مخاوف الماضي التي تبددت. طوقها بساعديه القويين لبرهة، يتنفس

رائحة عطرها، قبل أن يبعدها بلطف، ويمسح بظاهر إبهامه دمعة أفلتت على وجنتها:

"في عينيك هشاشة طفلة... كيف لطفلة تبكي هكذا أن تحمل ثقل إمبراطورية باكوغو؟"

رفعت ذقنها بتحدٍ ممزوج بالعاطفة:

"لن يعينني ثقل التيجان... ما دام ملكي الحقيقي يقف إلى جانبي."

انفجرت شفتاه عن ابتسامة عميقة، وعاد ليضمها بحنان بالغ. في تلك اللحظة المشحونة

بالتقارب، اقتحمت أليسيا الغرفة محملة ببعض الحلي، لكنها توقفت فجأة:

"أماليا، جئتُ لأساعدك في... أوه، عذراً لاقتحامي هذه اللحظة الرومانسية. سأنسحب

بهدوء."

أفلتها آياتو ببراعة، وعلق بنبرة ضاحكة:

"لا حاجة للهروب يا أليسيا، أفسدتِ المشهد بالفعل. جهزيها لتكون الملكة الأكثر سطوة

وجمالاً في تاريخكم، رغم أن وجهها لا يحتاج لتكلف حتى يبهر الناظرين."

تورّدت وجنتا أماليا، ودفعت آياتو من كتفه نحو الباب وهي تحاول إخفاء ارتباكها:

"هيا، اخرج من هنا أنت!"

حين أغلق الباب، التفتت أماليا لتجد أليسيا تعقد ذراعيها على صدرها وترمقها بنظرة حادة

وساخرة:

"كل هذا وتدّعين أنك تجهلين مشاعره؟ لو لم تكن سلامة عظامكِ ضرورية لمراسم اليوم،

لكسرتها لك عقاباً على هذا الغباء المستفز."

ضحكت أماليا باعتراف خفيض:

"حسناً، أستسلم. أنا أدرك أنه يبادلني ذات العاطفة... لكن قلبي لن يهدأ حتى ينطقها صراحة."

ردت أليسيا وهي تنتقي فستاناً ناصعاً من بين الأثواب:

"سينطقها حتى ترجينه أن يصمت. والآن، يا جلالة الملكة الموقرة، أيهما تفضلين ليوم تتويجك؟"

قاطعتها أماليا بصدق:

"أرجوك يا أليسيا، دعك من ألقاب البلاط. أنت ابنة عمي والصديقة الوحيدة لي هنا." ابتسمت أليسيا بغرور محبب:

"وهل ظننت أنني سألتزم بها حقاً؟ أنا أكبر منك وأعلى مقاماً كأخت كبرى، لا مكان للرسميات بيننا."

انقضت ثلاث ساعات من التجهيز الدقيق، حتى دقت طبول البلاط وصدحت الأبواق معلنة بدء مراسم التنصيب. احتشدت العائلة، والقادة، وكبار الكهنة والعسكريين في الباحة الملكية الواسعة. وقف آياتو إلى جوار أليسيا بين كبار القوم، يرقب الباب الضخم بهيبة واثقة.

فُتحت الأبواب ببطء، لتظهر أماليا بخطوات ثابتة إلى جوار الملك هوارد. كانت تتألق في فستان أبيض مطرز بخيوط الذهب، يتخلله شق جانبي يظهر البعض من ساقها، بينما رُفِع شعرها بأسلوب أنيق أبرز ملامحها الطفولية اللطيفة. اعتلى هوارد المنصة، وصدق صوته بقوة اهتزت لها جدران الساحة:

"اليوم نكسر قاعدة التاريخ. لأول مرة، يجمع العرش بين دم البشر ومصابي الدماء. أقدم لكم ابنتي التي نُسجت حولها أساطير الغياب... آماليا باكوغو!"

دوى التصفيق كعاصفة، فرفع هوارد يده ليسكت الحشد، وأكمل بصرامة ملوكية:

"أعلنها أمامكم جميعاً، ملكةً ووليّةً للعهد، وقائدةً لمستقبل إمبراطورية باكوغو!"

تقدم حارسان يحملان وسادة مخملية يعلوها تاج مرصع بنفائس الأحجار. تناوله هوارد

بوقار، وتوجه نحو آماليا التي انحنت برأسها. وضعه فوقها ببطء، ثم طبع قبلة مباركة على

جبينها، واستدارا ليواجها الحشود التي انفجرت في هتاف جنوني وتصفيق حار.

تبدلت الأجواء إلى احتفال راقٍ وعزفت الفرقة أَلحاناً كلاسيكية هادئة. نزل هوارد ليرقص مع

أناستازيا، بينما تقدم آياتو بخطوات واثقة نحو العرش، ومد يده لأماليا بطريقة ملكية آسرة.

تشابكت أيديهما، واندمجا في منتصف الساحة، يرقصان بتناغم ساحر أسر أنظار الحاضرين

الذين اصطفوا يراقبونهما بانبهار وإعجاب.

حين تأخر الوقت وانفض الجمع الغفير، اجتمعت العائلة المالكة في جلسة خاصة هادئة.

تحدثت الجدة بنبرة ملؤها الارتياح:

"أماليا أعادت لقلب هوارد الحياة... تلك الابتسامة كانت مفقودة منذ دهر."

وردت أناستازيا بامتنان:

"لقد جلبت معها نوراً أضاء زوايا هذه القلعة المظلمة."

كانت أماليا وآياتو يجلسان في زاوية منفردة، يتبادلان الأحاديث، قبل أن تقترب أناستازيا وتضع يدها على كتف أماليا:

"مرحباً بك في بيتك الحقيقي يا ملكتنا الفاتنة."

رد آياتو بنبرة طفولية مصطنعة أضفت جواً من المرح:

"عذراً يا جلالة الملكة أماليا، لكنها أُمي أنا! ابتعدي عنها حتى لا نخسرنا الغيرة بعضنا."

ضحك الثلاثة بصوت خفيض، لكن في لحظة مباغتة، شحبت ملامح أناستازيا، وشهقت

بألم واضعة يدها على صدرها. اتكأت بثقلها على ذراع آياتو الذي انتفض مفزوعاً، بينما

سارعت أماليا لمساندتها:

"أُمي! ما الذي أصابك؟"

"جلالتك... هل أستدعي طبيب القصر فوراً؟"

تنفست أناستازيا بصعوبة، وعيناها تحدقان في فراغ لا يراه سواها:

"لا حاجة للطبيب... لقد داهمتني رؤيا قاطعة من مملكة كايدي."

تصلبت ملامح آياتو:

"أبي... هل حدث له مكروه؟"

"تشارلز يحتضر يا بني. أنفاسه تتسارع نحو النهاية، في المستقبل القريب لن يكون بيننا."

عض آياتو على فكه، ونهض بملامح كستها الصرامة القاطعة:

"إذا كان والدي يلفظ أنفاسه، فلا وقت أضيعه. سأغادر فوراً وأضع وثيقة خيانة إيرنست وسلفينا بين يديه قبل أن يُنصّب إيرنست ملكاً."

امتدت يد أماليا لتمسك بذراعه، وعيناها ترجوانه:
"هل ستركني في ليلة كهذه؟"

تراجع خطوة، لكن روحه بقيت معلقة بملاحمها. امتدت يده لتقبض على كفها الصغير بضغط حميمي، يشي بخوف خفي من فراقٍ لم يخطط له. رفع يدها ببطء شديد وطبع على ظهر كفها قبلة طويلة، بعمق عهدٍ أزلي لا تكسره المسافات.

انساب صوته خفيضاً، متكسراً بنبرة حنونة أذابت كل دروعه الصارمة:
"سأعود قبل أن تجدي وقتاً للشعور بغياي... أعدك."

شابكت أماليا أصابعها بين أصابعه بقوة، واستندت بجمال عينيها على صدقته، يتردد صوته بثبات:

"احفظ حياتك ملاكي الأسود... وتذكر أن هناك عقداً أبدياً ينتظرنا."

انحنى حتى تلاقت جبهتهما في لحظة سكنت فيها حركات الوجود، واختلطت أنفاسهما الدافئة، يهمس أمام شفيتها بعاطفة جارفة:

"لن يعيقني قصر ولا عرش عن العودة إليك... فأنتِ وطني الحقيقي الآن."

التفت بعدها صوب أناستازيا التي كانت ترقبهما بعينين تغرقان في الدموع. اقتربت منه وأمسكت وجنتيه بكفين ترتجفان بأسى أمومي:

"إياك أن تنهز يا بني... لا تفجع قلبي بعد أن ردك القدر إليّ."

احتك بكفها ومال براسه ليمس رأسها بلمسة دافئة، ثم رمقهما بنظرة أخيرة تفيض بعمق

المحبة والوفاء:

"سأكون بخير... لأجلك، ولأجل الملكة الصغيرة التي أخذت قلبي."

تراجع بعدها بضع خطوات للوراء، وفي ومضة سريعة، انشقت أجنحته السوداء الهائلة،

واندفع كالسهم عبر الشرفة الواسعة، يشق عتمة الليل نحو مملكة كايدي.

عادت أماليا لتشارك العائلة حديثها، واصطنعت الضحكات طوال السهرة، لكن عقلها كان

يطير مع ذاك الفارس المجنح، تدعو له بالسلامة.

في نهاية الليل، دخلت أليسيا معها غرفتها لتساعدها على خلع عبء الفستان الملكي. سألت

أليسيا وهي تحل عقد الثوب:

"هل تظنين أنه سيطلق الغياب؟"

ردت أماليا وهي ترمق القمر من شرفتها:

"بل أنا على يقين أنه سيعود... قصتنا لم تكتمل بعد."

ساعدتها أليسيا على ارتداء ثياب النوم، ثم خرجت وأغلقت الباب. استلقت أماليا فوق

فراشها الوثير، وضمت الغطاء إلى صدرها، لكن الدفء لم يجد طريقه إلى قلبها؛ فقد خلف

غياب آياتو خلوة ثقيلة، وشعوراً بالوحدة القاتلة يلتف حول أركان الغرفة. أغمضت عينيها

محاولة الهروب من هواجسها، تنصت لصلواتها الخفية وهي تدعو له بالسلامة، علّ الليل يحمل لها صدى أجنحته السوداء وهو يعود سالماً.

ومع تغيب وعيها، انسل الحلم إلى مخيلتها كشريط ناصع الجمال...

كانت تقف وسط قاعة بيضاء شاهقة تلالأت فيها أنوار الثريات الكريستالية، ترتدي ثوب زفاف أسطورياً ينساب فوق جسدها بغاية الرقة. كانت مشاعر الفرح تفيض من عينيها، وابتسامة دافئة لا تفارق شفثيها، ينبض قلبها بحماس طفولي؛ فقد حانت اللحظة المنتظرة، لحظة اقترانها بحبيب روحها وآسر فؤادها.

تطلعت نحو أقصى القاعة، فرأت هيئة عريسها يقف بوقار ورداء ملوكي فاخر، لكنه كان مستديراً بظهره، أسرع خطواتها الخفيفة نحوه، تشد على أطراف فستانها بشغف، وكل خطوة تقربها منه تزيد من تسارع أنفاسها المترعة بالحب. لم تكن تشك لبرهة أنه آياتو؛ ملاكها الحارس الذي بذل كل شيء لأجلها.

اقتربت حتى باتت على بعد شبر واحد، وهمست اسمه بصوت يطفو عليه الشوق، وامتدت يدها لتلمس كتفه ببطء...

وفي اللحظة التي بدأ فيها العريس بالاستدارة نحوها، والتقت عيناها بوجهه فجأة—

شبهت أماليا بقوة وانتفضت جافلة من مضجعها!

اعتدلت في جلستها والظلام يلتهم غرفتها، قلبها يخفق كالطبل ضد قفصها الصدري. كانت أنفاسها متقطعة وحادة، وقطرات ندى باردة استقرت على جبينها. مسحت وجهها بفرائص

ترتعد، وتطلعت حولها بذعر وهي تحاول التقاط أنفاسها، بينما استقر سؤال مرعب كالسهم في أعماق روحها: "أين آياتو في حلمي؟"

الفصل السابع عشر: أخلال وقضبان

شق الملاك الأسود عباب السماء كالسهم المارق، تقطعه ريح عاتية وهو يحلق بكل ما أوتيت جناحيه من قوة. كانت الفكرة تجلج عقله كحمم بركانية تتأجج: لا بد من سباق الزمن قبل أن تنطبق أنياب الخديعة على عرش أبيه. ومع انبثاق أولى أشعة الشمس التي طعنت حلقة الكون بضوء رمادي باهت، بدأت التضاريس القاسية لمملكة "كايدي" تلوح في الأفق، حيث ترتفع القلاع الحجرية الكئيبة مغمورة بضباب بارد.

هبط آياتو بأسلوب خاطف أمام البوابة الضخمة، لترطم قدماه بالتراب الجاف وهو يطوي جناحيه الضخمين بصرامة. على الفور، تحركت البوابة وانكشف وجه الحارس آرثر، الذي اتسعت عيناه ذهولاً قبل أن يهرع نحوه يطوقه بعناق مباغت:

"سيدي آياتو! حمداً لله على سلامتك... كيف آلت بك الأقدار؟"

انتزع آياتو نفسه بجمود واثق، ونبرته تقطع الشك بالنفس:

"شكراً آرثر، أنا بخير... لكن الوقت ينهشنا. احتاج لرؤية والدي فوراً."

تراجع آرثر خطوة، مستدراكاً هيبة منصبه بنبرة مترددة:

"سيدي... تعلم القوانين الصارمة. لا دخول على الملك دون استئذان مسبق، خصوصاً في

حالتك هذه."

ارتسمت حزوز الجدية على ملامح آياتو الحادة، وقال بصوت حازم:

"اسأله إذًا! أخبره أن ابنه يحمل بين يديه أمراً يمس بقاء المملكة أو سقوطها."

انحنى الحارس بوجل وغاب خلف الدلف الثقيلة. مرت دقائق كأنها الدهر، أخذ فيها آياتو يذرع الأرض بخطوات قلقة، ينقر بأصابعه على مقبض سيفه، حتى خرج آرثر مجدداً وأشار بيده:

"تفضل سيدي... الملك بانتظارك."

نزع آياتو عباءته مستعجلاً، وقال بحدة:

"افحصني وفتشني سريعاً كي لا نضيع ثانية أخرى!"

تراجع آرثر للوراء مبدياً أجلاله:

"حاشاك يا سيدي... ادخل، فالدماء الملكية لا تُفتش."

اندفع آياتو يجري عبر الممرات الرخامية الكئيبة، حتى بلغ الشرفة الداخلية الموصلة لغرفة النوم الملكية. فتح الباب الثقيل بحدث مباغت، وانحنى بجسده وقاراً أمام هيئة تشارلز المستلقي على فراش ملوكي فاخر، يحيطه شحوب المرض، وعيناه الغائرتان تقدحان بشك دائم.

رفع الملك رأسه الثقيل، وانسياب صوته جاء متقطعاً كفحيح يابس:

"عدت إذًا... أخبرني، كيف آلت رحلتك مع انتقام سيلفينا؟ هل أرفقت دم تلك الخادمة

البشرية؟"

انتصب آياتو بقمة كبريائه، ورد بنبرة ثابتة لا تتزعزع:

"لم تعد خادمة... لقد جلست بالأمس على العرش، ونصّبتها والدها هوارد ملكةً مسلماً إياها مقاليد إمبراطورية باكوغو."

ضرب الملك بكفه المرتجف على حرف السرير، وصرخ بصوت كسر السكون:

"أيها الخائب المتهور! كنتُ أعلم أنك أضعف من أن تريق دمها... كان إيرنست صادقاً حين حذرنى من ولاءك المتردد، وأنه لا يجب أن أضع ثقتي بين يديك!"

اقترب آياتو خطوة، ونظراته تنضح بصرامة قاطعة:

"لا تضع ثقتك بي إن أردت يا أبي... ولكن، احذر أن تضع حياتك ومملكتك بين يدي إيرنست!"

تأجج الغضب في عيني تشارلز الذابلتين وقال باستهزاء حاد:

"ومن تكون أنت لتلمي عليّ من أصادق ومن أنبذ؟"

انسل صلب الصوت من حنجرة آياتو وهو يميل بجسده نحو العرش:

"أنا من يحاول إنقاذك من غفلتك! أصغِ إليّ وإلا هُدمت أسوار كايدي على رؤوسكم!"

قبض تشارلز على الغطاء وسعل بقوة قبل أن يجيب:

"هات ما لديك... دعني أرى ما يحمله لسانك من ادعاءات!"

نطق آياتو بنبرة تقطر يقيناً ثقيلاً:

"ابنك البار إيرنست، ولي عهدك الذي آثرته علينا جميعاً... ليس إلا بيدقاً وخادماً لسيلفينا البشرية، يأتّم بأمرها وينسج الفخاخ للإطاحة بنا. ومصدق قولي وثيقة رسمية تحمل خاتمه وعهده الخائن معها!"

اتسعت عينا الملك لثانية، ثم تلبست ملامح القسوة والشراسة:

"هل تعي خطورة الإفتراء الذي تتفوه به؟ إن لم تستخرج ذاك الدليل فوراً من طيات ثيابك، فإن الموت بقطع الرأس هو جزاك على هذه الفتنة! خاصة وأنت خالفت الأمر بقتل لخادمة" ثبت آياتو نظره بثقة وادخل يده في جيب سترته... لكن الأصابع لم تلامس سوى القماش الفارغ. انقبض قلبه. حوّل يده مسرعاً إلى الجيب الآخر، وفتش بحركة مبهوتة، ليتسمر مكانه وتتسع حدقاته في ذهول صادم. انسلخت الألوان من وجهه؛ لقد ترك الوثيقة اللعينة في درج الطاولة الخشبية في غرفته بقصر باكوغو عند اندفاعه الشديد!

ابتلع ريقه بصعوبة وقال بصوت تكسرت فيه الثقة:

"الورقة... لقد نسيتها في غرفتي... بقصر باكوغو."

انهال صوت تشارلز كالصاعقة، متفجراً بغضب أعمى زلزل الغرفة:

"أيها الأرعن الخائن! تتجرأ على قذف ولي عهدي بالخيانة دون أثر دنيء يتيم، ثم تعترف

بجملة ناعمة أن لك جناحاً خاصاً في قلعة باكوغو؟ أكبر أعدائي ومصنع حتفي؟! لا بد أن أملك

الملعونة هي من مهّدت لك طريق هذا العار!"

فتح آياتو فمه ليدفع عن أمه ونفسه تلك المذلة:

"استمع إليّ، أنا..."

قاطع الملك بصراخ أبخ وهو يلوح بيده للممر:

"أيها الحراس! خذوا هذا المارق إلى أعماق زنزانه في القبو... وأبطلوا قواه الدامية فوراً!"

اقتحم الجند الغرفة كالجراد، وقبضوا على ذراعيه بقسوة. لم يبدِ آياتو أي مقاومة جسدية، بل أبقي نظراته الحادة معلقة بوجه أبيه المسلوب بالعماء، وقال بنبرة هادئة، لكنها أشد ثقلًا من عقوبة الموت:

"أعدك... ستعصر ندماً يا أبي، ستدفن نفسك بالندم طيلة ما تبقى لك من أنفاس لأنك أغلقت أذنيك عن الحق."

صرخ الملك بانهيار وهو يشيح بوجهه:

"جرّوه بعيداً عن ناظري! حالا!"

اقتيد آياتو عبر الدرج الحجري المظلم المتجه نحو القبو السفلي، حيث تفوح رائحة الرطوبة والدم العفن. ألغوه داخل زنزانه ضيقة، وطوقوا معصميه بسلاسل من الفولاذ الأسود الساحر والمصمم لإبطال القوى الخارقة لمصامي الدماء.

وما إن لامست تلك القيود جلده، حتى سرت في جسده حرارة حارقة، وكأن سمّاً أسيلاً ينساب في عروقه ليقطع شريان قوته. انكسرت ركبتاه وسقط على الأرضية الصلبة، وشعر بضعف مهين يشل حركة أطرافه ويتلف قدرته على التنفس. استبد به ألم لا يطاق، فتصاعدت من صدره صرخة مدوية تشق العتمة، صرخة ممزوجة بدموع القهر والظلم الذي تجرعه غدرًا.

ظل يتلوى بصمت في عزلته المظلمة، حتى تعالت خطى خفيفة ومتهادية على العتبات الحجرية.

توقفت الخطوات عند القضبان الحديدية، وانكشفت هيئة إيرنست الذي كان يقف بملامح متأنقة، يرمقه بابتسامة خبيثة تفيض بالشماتة والتشفي، وانطلق منه ضحك خفيض مسموم:

"كم تبدو مثيراً للشفقة والشفاعة يا أخي الحبيب... ألم أحذرك سابقاً من أن نهايتك ستكون ملحمة مأساوية؟ هل ظننت بحماقتك أن بإمكانك الإطاحة بي؟ ألم تستوعب بعد أن أبي يفضلني على جميع الكائنات، وهذا وحده يمنحني سلطة تجعل من وجودك مجرد وهم؟" رفع آياتو رأسه المثقل بصعوبة بالغة، وعيناه المحتقنتان بالدم تحترقان بغلّ دفين، ونطق بصوت متقطع يرتجف من أثر الشلل والسلاسل:

"ليتي... قتلتك... في ذلك اليوم... أيها... الحقير..."

لم يكد ينهي حشرجته، حتى امتدت يد إيرنست عبر القضبان، وسدد قبضة فولاذية عاتية لبطن آياتو الأعزل، تجوف منها جسده وسعل بقوة مقيئاً خطأً من الدم الأرجواني النازف على الأرض. لم يكتفِ إيرنست بذلك، بل انهال عليه بسلسلة من اللطمات المتتالية على وجهه المنهك، يضربه بقسوة وغلّ، وآياتو يتلقى الضربات بصدر متعب حتى ارتخى رأس الملاك الأسود وغاب وعيه بالكامل بين يدي أخيه، متدلياً فوق القيود.

تأمل إيرنست قفازيه الملطخين بالدماء، ثم انسحب للخلف وهو يطلق ضحكة مريضة هزت
جدران القبو المظلم.

الفصل الثامن عشر: رماد العروش

غمرت شمس الصباح الساطعة قاعة الطعام الكبرى بنور ناصع، يعكس بريق الكريستال والأواني الفضية الممتدة على الطاولة، بيد أن الدفء لم يجد طريقه إلى قلب أماليا. كان المقعد الخالي المقابل لها — حيث كان من المفترض أن يجلس آياتو بصمته المهيّب وهيئته الآسرة — ينبض بغربة قاتلة، يحول كل هذه الفخامة إلى متحف بارد. وعلى الرغم من حضور والدها وبقية العائلة، استبد بها خوف خفي، وشعور حاد بالوحدة يلتف حول أنفاسها.

مسح الملك هوارد شفتيه بوشاح مخملي، ثم أزاح كأسه بهدوء ورصانة، وقطع صمت القاعة بنبرة جادة تحمل بين ثناياها سلطة لا تقبل المساومة:

"ابنتي الغالية... بعد أن اعتليت عرش باكوغو وأصبحت ملكة رسمية، يحتم عليك الواجب وجود ملك قوي يشد عضدك، يرفع شؤون الإمبراطورية ويحميك. ولذا، وبعد مشاورات حثيثة مع أعمامك وكبار القوم، اتخذنا القرار النهائي: سنتوج ملكك ونزوجك في القريب العاجل."

انفجرت شفتا أماليا عن ابتسامة دافئة تلقائية، واندفعت بنبرة يملؤها الحب العفيف:

"أنا موافقة بالطبع يا أبي... لكن يتعين علينا الانتظار قليلاً حتى يعود آياتو من كايدي."

انقبضت ملامح الجدة الحادة، واحتدت نظراتها بنبرة جافة لم تعتدها أماليا منها قط:

"لا داعي لربط مصير الإمبراطورية بآياتو. غيابه كحضوره، لن يغير شيء، والعرش لا يحتمل الفراغ؛ زفافك يجب أن يتم دون تأخير."

حاولت أماليا التملص بحجة عقلانية، مبتلعة غصتها:

"وهل يُعقل أن تُقام مراسم عقد زواج والعريس غائب؟ آياتو ذهب لحل معضلة عائلية طارئة، وسيطرق أبواب القصر في أية لحظة!"

اتسعت عينا هوارد باستغراب شديد، وعقد حاجبيه بنبرة صدمة اعترأها الغضب:

"أتعنين ما تتفوهين به حقاً؟ تريدين الاقتران بآبن تشارلز... ألد أعدائي؟ هذا خيار مجنون وغير مقبول إطلاقاً!"

وقف عمها الأصغر توماس، فارضاً هيئته ببرود حاسم:

"مدّ لنا يد المساعدة في استعادتك، ونحن ممتنون لذلك؛ سنكافئه بأرفع الأوسمة والألقاب والألماس لو أراد... لكن مكافأته لن تكون بتقديم الملكة والعرش له على طبق من ذهب."

انتصبت أماليا في جلسة مستقيمة، وقالت بصوت متهدج يفيض بالثبات والصدق:

"الأمر لا يتعلق بمكافأة أو دين يا عمي! أنا لا أرتجي الزواج منه مكافأةً على ما قدمه... بل لأنني أحبه، وأريد حياتي معه لا مع غيره!"

ضرب هوارد بقبضته الفولاذية على حرف الطاولة، فاهتزت الأواني وارتفع صوته الصارم

كالصاعقة:

"ألم تفيقي بعد من أوهامك يا أماليا؟ بالأمس فقط وضعتُ التاج فوق رأسك، أفتبدئين حكمك بتجاهل أوامري والعصيان؟"

"لكن يا أبي..."

قاطعتها الجدة بنبرة أمرة لا تقبل النقاش:

"لا تعارضي والدك يا ملكة المستقبل! دعيه ينهي قراره السامي دون مشاحنة."

تنفس هوارد بعمق ليرمم هيبتته، ثم قال بصوت قاطع هز جنبات القاعة:

"استقر رأيي ورأي أعمامك على اختيار العريس الأمثل لك وللعرش؛ لن نجد أفضل من براين،

ابن عمك ويليام. فهو ينحدر من سلالتنا النقية، رجل شهم وخبير بإدارة شؤون الإمبراطورية

وحمايتها أكثر من غيره."

التفتت أماليا بذهول نحو براين المتربع عند زاوية الطاولة. كان ينظر إلى الفراغ ببرود تام،

وكأن الحديث يدور عن شخص غريب لا يمت له بصلة. فقالت أماليا تحاول استغلال بروده:

"لا يبدو أن براين يرتضي هذا الخيار أساساً؟"

رسم براين ابتسامة باهتة ومصطنعة على شفثيه، وقال بنبرة هادئة تخلو من أية حماسة:

"بالطبع أنا موافق... أنا لا أجرؤ على رفض أحكام جلالته الملك."

ترقرق الدمع في عيني أماليا، فمسحته فوراً بظهر يدها وقالت بصوت خفيض:

"لكنني لستُ..."

وهنا، تدخلت أناستازيا بنبرة هادئة وصارمة في ظاهرها:

"أماليا... لا تخالفي قرار والدك يا ابنتي."

اتسعت عيناها وشخصت بصرها نحو أناستازيا بصدمة عارمة. انقبض قلبها وهمست في سرها بذهول: (أليس آياتو ابنها؟ ألا تريد أن تراه ملكا يتربع العرش معي؟ إن هذا من مصلحته ومصلحتها أيضا!)

أجبرت أماليا نفسها على ابتلاع اللقمة المتبقية في طبقها في صمت مطبق. وما إن رفع الملك يده معلناً ختام طعام الصباح، حتى انسلت كالسهم وركضت نحو غرفتها. أغلقت الباب خلفها، وارتمت فوق الفراش تخر صريعة بكاء هستيري حارق، وتهمس بين شهقاتها الممزقة: "أين أنت يا آياتو؟ ماذا تفعل الآن؟ عليك أن تعود فوراً... أنقذني كما تفعل دائماً يا ملاي الأسود!"

فجأة، انفتح الباب وانزلت منه أناستازيا، ثم أغلقت القفل بهدوء. اقتربت من السرير ونظرت إليها بنبرة حازمة ولكن مفعمة بالحنان السري:

"كفي عن البكاء أيتها الطفلة! لا تظهرى هذا الضعف أمام بلاط لا يرحم! جاري والدك وأظهرى له الطاعة والامتثال في الظاهر... أما بخصوص هذا الزواج، فثقي أن آياتو سيعود وينهي هذه المهازل برمتها. لن تكوني إلا لآياتو، وأنا معك في هذا العهد."

رفعت أماليا رأسها المبتل بالدموع، وجلست تراقبها بذهول وصمت. ابتسمت أناستازيا بدفء وربطت على وجنتها:

"تبدين كطفلة صغيرة حين تبكين... أو بالأحرى أنتِ طفلة بالفعل. هيا، أزيحي هذا العبوس والكآبة عن وجهك الصغير، فهو يجعلك ظريفة بشكل مغرٍ للأكل! تعالي معي إلى الحديقة الخلفية، سأريك أزهارى النادرة التي أعني بها بنفسى، ولتحدثيني عن أسراركَ أكثر يا كِنْتِي الحبيبة."

ترددت ابتسامة ناعمة على شفتي أماليا، مسحت دموعها وأومأت برأسها، ثم خرجت ترافقها ونور الأمل يتجدد في أوردتها.

وفي الجناح الغربي، كان براين يقف أمام والديه بقامة مشدودة وملامح تتفجر بالتمرد والغضب، قائلاً بنبرة حادة:

"لن أقترن بطفلة بشرية! لا أريد هذا الزواج! لماذا وقع الاختيار عليّ أنا بالتحديد من بين الجميع؟ القصر يكتظ بالأمرء، ديفيد، وكيفن، وألبرت، وجايدن... لماذا أنا؟"

رد والده ويليام بنبرة حازمة وهو يصلح أضرار سترته:

"كف عن هذا التغاي يا براين! ستعتلي عرش الإمبراطورية وتصبح الملك الفعلي بمجرد الاقتران بها. وهوارد بنفسه هو من اختارك وفضلك على الجميع."

زم براين شفتيه بقرف وعبس بحدة:

"لكنني ممتلئ بالكراهية تجاه البشر! لا أريد أن أحمل في نسلي دماءهم الضعيفة... فضلاً عن أن لي حبيبة بالفعل وأكتفي بها!"

اقتربت والدته كاترينا وأمسكت بساعده بنبرة رجاء هادئة ومكارة:

"بني، لا تعارض حكم الملك في هذه اللحظة الحساسة. حين تعتلي العرش وتصبح الملك المطاع، يمكنك الزواج من حبيبتك فوراً؛ فالقوانين تمنح الملك حق التعدد دون اعتراض. أما بخصوص النسل... فالأمر بسيط جداً، لا تنجب منها أطفالاً قط، وتخلص من هذا القلق."

الفصل التاسع عشر: رهان الوقت

شهقةٌ مباغطةٌ تمزق عتمة السجن الثقيلة. أفاق آياتو على صدمة ماءٍ جليدي سكب فوق وجهه المدمى، أطارت ما تبقى في عقله من شتات، واستثارت حروق أصفاده المحمومة. انتصب إيرنست فوقه بنظرات تتفجر بالتشفي، يمسك بالسطل المفرغ، وينساب صوته كفحيح الأفاعي:

"كفاك نومًا أيها العبد. جولتنا لم تبلغ أوجها بعد... أعلم أنك لم تجلب الوثيقة معك، فصادقني القول: أين خبأتها؟"

انعقد لسان آياتو تحت سطوة الوجد، لكن خاطره تحرك في خفاء ثقيل: إيرنست يخترق الأفكار... وفي لمح البصر، شيد في أروقة ذهنه زيفاً محكماً، صوّر فيه أن الوثيقة القاتلة تقبع في قلعة سيلفينا القديمة، داخل زاوية مطوية في جناح أماليا السابق. وما إن التقط إيرنست الخيط الفكري، حتى اتسعت ضحكته الشريرة ذات الرنين الحديدي: "هاهاها! أظننت أنك أذكى مني يا آياتو؟ أظننت أنني لن أعرف مكانها بصمتك؟ أيها الحثالة!" وسدد ركلة مباغطة إلى صدر آياتو المنهك، ثم ألقي بالسطل المعدني الثقيل نحو رأسه. غرق آياتو في عتمة الغيبوبة مجدداً، وفي ذات اللحظة، تلاشى جسد إيرنست في طيات الظلال، ليتجلى في زاوية الغرفة القديمة لأماليا بقصر سيلفينا، يقلب أرجاءها بحنق وشراسة بحثاً عن الدليل.

وفي الباحات الملكية الخضراء لإمبراطورية باكوغو، كانت أماليا تتجول بين أحواض أزهار النرجس برفقة أناستازيا. تشابكت ظلالهما مع ظلال الأشجار العالية، قبل أن تقطع أليسيا الهدوء بخطوات مرحة، وتلتحق بهما وعلى وجهها ابتسامة لعبية:

"زوجة عمي! أهكذا تستأثرين بأماليا وتتجولين معها دوني؟ القليل من الغيرة ستتملكني حتماً!"

ضحكت أناستازيا بدفء وحنو:

"كفاكِ عبثاً يا أليسيا... أود التعرف عن قرب على كِنْتِي الحسنة."

لَوَّت أليسيا شفيتها بتهكم حنون:

"كِتَتِكِ؟ إن لم نتدارك الأمر بحيلة سريعة، فستتحول لتصبح كِنَّة أُمي، وتقترن بأخي براين!"

ردت أناستازيا بنبرة واثقة يكتنفها الهدوء:

"ذاك المحال بعينه... لن ترفع طرحة زفافها إلا لآياتو."

تنهدت أليسيا وأردفت بجدية:

"أرجو ذلك من أعماق قلبي... براين لا يناسب أماليا على الإطلاق؛ فهو سوط من العنف،

يسكنه الغرور، وغضبه طوفانٌ يترقبه الجميع بحذر."

رسمت أماليا ابتسامة هادئة، يرتسم في عينيها أملٌ لا يُمحى:

"لا يهم كل ذلك... آياتو قادم. سينتشلني من هذا المأزق كما يفعل دوماً."

تطلعت أناستازيا في وجه أماليا، وقطعت حلقة التوتر بقائلها:

"لنطو هذه الصفحة يا فتيات... أماليا، هل لديك إخوة يشاطرونك الذكريات؟"

خيم السكون لثوانٍ، قبل أن تجيب أماليا بصوت خفيض:

"كلا... نشأت وحيدة في مهب العزلة. لحظة... بلى، لدي إدوارد ولونار، أبناء سيلفينا."

سألتها أليسيا باستغراب:

"أكنت قد نسيت وجودهما؟"

"في الواقع، لا أعرفهما قط. لونار لم تتكحل عيناى برؤيتها أبداً، أما إدوارد... فقد حاول طعني

بنصل خنجره حينما كنت مقيمة في قصرهم."

ضربت أليسيا كفاً بكف بأسى:

"يا للإثم! أليس لديك أصدقاء من البشر يخفون عنك هذا الجفاء؟"

ارتسم الشجن على ملامح أماليا:

"كانت لي صديقة حميمة... لكنها رحلت مع جدتها إلى الريف البعيد، وانقطعت أخبارها منذ

زمن. كم أحنّ لقربها..."

سألتها أناستازيا بفضول أمومي دافئ:

"ومن تولى تربيتك وحمايتك طوال تلك السنين؟"

استعادت أماليا دفء الذكرى، وبرقت عينها بشوق صادق:

"أبي جورج، وأمي فيكتوريا... غمرا حياتي بحنان بالغ وعاطفة فياضة، حتى لم يخالجني الشك

لليلة واحدة أنني لست أملكهما البيولوجي."

"وأين هما الآن؟"

انكسرت نبرتها، وغامت عيناها بالحزن:

"توفيت أُمِّي قبل خمس سنوات، بعدما نهك جسدها ورُمّ خبيث أطاح ببهجتها. أما أبي...

فقد حمل أمانتي وحده حتى بلغتُ هذا السن. قلبي يعتصر خوفاً عليه، فهو مقعد لا حيلة

له... ترى ما الذي أَلَمَّ به في غيابي؟"

استفسرت أناستازيا بحيرة:

"لم أستوعب مقصدك تماماً... أين غاب؟"

"الحقيقة القاسية هي أنهما كانا من أتباع سيلفينا، كُلفا برعايتي حتى أبلغ سن العشرين،

لتأخذني بعدها صيداً لتنتقم بي من والدي الملك. ولكن رغم تلك المهمة المظلمة، أحباني

بصدق، وأحببتهما من كل جوارحي... وأتساءل دوماً: أي مصير شؤم ألحقته سيلفينا بأبي

المسكين بعد انتهاء دوره؟"

مسحت أناستازيا على كتفها بحنان:

"أتمنى أن يحيطه القدر بالسلامة، ما دمتِ تحملين له كل هذا الوفاء."

"أتمنى ذلك من كل قلبي..."

ومع ختام جولتهن بين ممرات الحديقة، عدن جميعاً إلى أروقة القصر، ليقطعهن الملك

هوارد بخطوات ملوكية مبتسمة:

"أوه! انظر من يجتمع ههنا... جميلات القصر الثلاث! كم طاب لي رؤيتكن معاً. هيا اذهبن للتحضير والتجهز، فزفاف أماليا وبراين قد دنت أيامه."

أطرقت أماليا رأسها بألم ومحاولة كتمان غضبها، فبادرت أناستازيا بابتسامة متزنة لتلطيف الجو:

"منذ أن خطت أماليا عتبات القصر، حلت البركة وعاد البشر إلى أركانه بعد طول كآبة." عقب هوارد بابتسامة عريضة ونبرة قاطعة:

"هذا صحيح تماماً... واستبشاراً بهذا الفرح، سيكون عقد القران بعد غدٍ. سنقيم احتفالاً أسطورياً تنحني له الممالك المجاورة!"

سرت رعدة باردة في أطراف أماليا، وتجمدت الدماء في عروقها، بيد أنها اعتصرت صمودها كي لا يلحظ والدها انهيارها المتواري.

وفي الظلمة الحاضنة لزنزانة القبو الموحشة...

فتح آياتو عينيه بثقل شديد. ألقى بظره حول الأسوار الحجرية الصامتة؛ كان المكان خالياً إلا من صدى أنفاسه المتهدجة. حاول التحرك، فصرخت جراحه المشتعلة، وتغلغلت قيود السحر الأسود في معصميه لترهق قواه.

تجمع الغضب في صدره، فارتفع صوته بصرخات دوت في جنبات السجن، يصرخ ويصرخ حتى أحس بأوتاره الصوتية تتشقق جفافاً. لا مجيب، سوى الجوع والعطش وحسرة الظلم.

رمى الثقب الصغير الأعلى في الجدار الحجري؛ كان شعاع الصباح قد انحسر ليحل محله سواد الليل الكاحل. أغمض عينيه وانسلت أفكاره نحوها: " ترى ما الذي تشغلين به وقتك الآن يا أماليا؟ لعلها تستمتع بأوقاتها برفقة أليسيا... يجب أن أكسر هذا القيد، عليّ العودة سريعاً لإنقاذ المملكة من مخالب إيرنست اللعين! ذاك الأحمق يظن أن جولته قد حُسمت... لكن يبدو أنه يجهل معدن الملاك الأسود".

وفي غمرة شروده، انبثق إيرنست من بين الظلال، وعيناه تغليان بشر الحنق: "أيها الجرذ القذر! لا تهدر وقتاً لا تملكه في أوهامك... أين خبأت الوثيقة اللعينة؟ وأقسم إن تلاعبت بي هذه المرة سأحرك مباشرة"

لزم آياتو الصمت المطبق. رفع عينيه الداميتين ونظر إليه نظرة استهزاء باردة تصنع القهر في قلب خصمه.

فاض الحنق في صدر إيرنست، فسدد قبضة عاتية هدمت بقايا صمود أنف آياتو ينزف بدم أرجواني. رفع آياتو رأسه المجهد، وارتسمت على شفثيه الملطختين بالدماء ابتسامة ساخرة تهكمية:

"كم تبدو جلياً في جنبك يا إيرنست! ألا تتجراً على بسط قوتك إلا وأنا مغلول بالحديد الملعون؟ ألا تستطيع مساس رفاقي إلا حين تجرّدي القيود؟ أتعلم لم؟ لأنك ترتعد خوفاً، تتهاوى مفاصلك بمجرد أن يتردد اسمي في المجالس... كم أشفق على خيبتك، أيها الخائن المنبوذ!"

احمرّ وجه إيرنست واعتصرت حنجرته غضباً:

"الخائن المنبوذ الوحيد هنا هو أنت يا آياتو! لو كنتُ مكانك للزمتُ الصمت كي لا أكتسب

مزيداً من الجراح!"

رد آياتو بنبرة صلبة، تتحدى سكرات الألم:

"لو كنتُ مكاني لفعلت... ولكنني -ولحسن حظي- لستُ أنت. أنا مرعبك يا مدلل العرش."

اعتلت إيرنست ضحكة هستيرية مسمومة:

"يبدو أنك تحتاج جولات مضاعفة من العذاب كي يستقيم لسانك!"

انهال عليه بضربات متتالية ومستعرة، يسدد على بطنه ووجهه بوهج من الغلّ، وآياتو يتلقى

اللطومات بصلافة متصدعة، حتى شعر إيرنست بارتخاء جسده وغيابه عن الوعي. ابتعد عنه

خطوات، فسقط جسد آياتو المدمّر بجانب قدميه، ركله بقسوة ليزيحه عن طريقه، ثم خرج

يجر ذيول الخيمة والشر.

الفصل العشرون: قيد الحرية

مع شروق شمس اليوم التالي، تحول قصر باكوغو إلى ما يشبه خلية نخل مضطربة؛ الحركة لا تهدأ فيه على قدم وساق. الخدم يتراکضون في الممرات السامقة، فريق يستبدل الستائر الثقيلة بآخر من أقمشة حريرية ناصعة، وفريق يلمع زجاج النوافذ الضخمة حتى بات كأنه يتلأش في الضوء. في الساحات الخارجية، يُخرج الرجال الأثاث العتيق ليحل محله أثاث مذهب أُعد لليوم الموعود، بينما تنشغل طائفة أخرى بتنظيف الباحة الكبرى وترتيب ديكورات الزفاف الأسطوري، وتنصيب المنصة التي ستشهد عقد القران.

وفي العلياء، كانت أماليا تتطلع عبر نافذة غرفتها المغلقة إلى كل هذا الصخب بأسى يذبح صدرها. لم تطأ قدمها خارج الغرفة طوال الصباح. طوقت جسدها بيديها، تنظر إلى الترتيبات التي تُحاك حولها كمن ينظر إلى حبل إعدام يُجهز له، همست بنبرة مكسورة تائهة:

"آياتو... أين أنت يا ملاكي الأسود؟ أنا بحاجة إليك في هذه اللحظة أكثر من أي وقت مضى..."

ترددت طرقات رزينة على الباب، وقبل أن تتفوه بكلمة، انفتح الدلف الخشبي لتدخل الجدة مارغريت بهيبتها المعتادة وسيرتها الثقيلة. خطت نحو الأريكة القريبة، وجلست عليها بثبات، ثم أومأت بيدها نحو أماليا داعية إياها للجلوس. خطت أماليا ببطء وجلست إلى جوارها، فبادرت الجدة بأمساك كفي حفيدتها بحنان، يقطر ببرود ملكي:

"لماذا كل هذا الهم الذي يحجب نور وجهك يا ابنتي؟ غداً زفافك، والواجب يدعوك للابتهاج والسرور."

سحبت أماليا يديها ببطء، وردت بصوت خفيض ينضح بالحرقة:

"كيف أفرح يا جدتي... وأنا أساق للزواج من براين رغماً عني؟"

ضمت الجدة كفيها إلى بعضهما، واحتدت نبرتها بصرامة متزنة:

"أجل، تريدان آياتو! أعلم جيداً حجم العاطفة التي تكنينها له، وأدرك أنه يبادللك إياها... لكن

أين هو الآن؟ لقد انتهت مهمته المسندة إليه بحمايتك، وعاد إلى دياره ومقره في قصر والده

حيث ينتمي!"

انتصبت أماليا في جلستها، وشخصت عينها بثبات كبريائي:

"آياتو لم يعد أميراً في كايدي يا جدتي، وهو لا ينتمي لأولئك الظلمة! لقد أنقذ روحي فوعده

بأن نكون معاً حين أعتلي العرش... وها أنا أجد نفسي أقاد كالأشياء لزواج مقطوع من ابن عم

لا أعرف عنه شيئاً!"

تنهدت مارغريت، ولوت شفتيها ببرود حاسم:

"اطرحي أوهام آياتو جانباً. زفافك من براين قدر محتوم لا فرار منه. ومع الأيام ستتعرفين

عليه، وسيجد الحب طريقه إلى قلبيكما."

أرجعت أماليا شعرها الحريري إلى الخلف، وقالت بصوت متهدج تترقق فيه الدموع:

"لن أطوي صفحة آياتو من حياتي! وحتى إن حاول عقلي التناسي، فإن كل نبضة في صدري ستظل حية بذكره. هو سيعود... سينبثق من الظلام ليفعل شيئاً ينقذني به، كما يفعل دوماً!"

هزت الجدة رأسها بنفي قاطع:

"كلا يا عزيزتي... هو لن يأتي، وسترتدين ثوب الزفاف لبراين غداً."

وقفت أماليا فجأة، ورمقتها بنظرة تحدٍ ناصعة:

"هذا مستحيل قانوناً وعرفاً! أنا لا أزال ملكية خاصة لآياتو؛ فهو من اشترائني من والده تشارلز، وفي شرعكم أنا أعد عبدة ومملوكة له! الوثيقة الرسمية التي تثبت ذلك تقع تحت يده، ولا يملك أحد في هذا العالم حق تزويجي غيره!"

وقفت الجدة بدورها، واشتعلت عيناها بغضب صارم، ورفعت سبابتها في وجه أماليا:

"توقفي عن هذا الهراء والتفاهات! سمعتُ منك ما يكفي من الترهات المريضة! أنتِ الآن ملكة جلست على العرش، لا أحد في الأرض يملك حريتك، وكل تلك الوثائق الاستعبادية قد أُحرقت والغيت حكمها في اللحظة التي وُضع فيها التاج على رأسك!"

"ولكن يا جدتي..."

قاطعتها بصوت حاد زلزل أركان الغرفة:

"كفى!! لن تتزوجي ابن عدونا الأزلي! هذا أمر لن يمر إلا على جثتي! إياك أن تفكري في هذا

الخيار مجدداً... ضعي عقلك في رأسك يا أماليا، إنه سليل تشارلز، من آل كايدي الذين

ناصبونا العداء لآلاف السنين، وسيبقون كذلك إلى الأبد!"

تراجعت أماليا خطوة، ونظرت إليها بعينين تشتعلان بمرارة الماضي:

"توقفي... أنا حتى هذه اللحظة أحاول احترام صلة الدم التي تجمعني بك! حين كنتُ أكتوي

بالفقر، واليتم، والضيق... أين كنتم جميعاً؟ حين نمْتُ ليالي متتالية بطناً جائعاً، وجسداً

يرتجف برداً وخوفاً، حين عشتُ الذل كخادمة تُهان كل يوم... أين كانت هذه العاطفة

الملكية؟ حين عانيتُ الحزن وبكيتُ حتى جفت دموعي، حين حاولوا طعني وتعذبي ومحوي

من الوجود... هل وجدتك إلى جوارِي؟ هل تكبدتم عناء البحث عني أصلاً؟"

تصلبت ملامح الجدة وقالت ببرود قاطع:

"ذاك غبار من الماضي يا أماليا. أنت الآن ملكة، وعليك الاتباع الصارم لأصول البلاط

وقواعده."

ارتفعت نبرة أماليا بتهكم مؤلم:

"هل ألمي ومعاناتي غبار ماضي بالنسبة لك؟"

"ألمك ومعاناتك انتهت الآن، لا داعي لأن نذكرها أينما تواجدت، بالأخير أنت معنا وبيننا ومنا

الآن!"

"ومن الأيدي التي أوصلتني إليكم؟ من الملاك الذي جعلني أقف أمامك اليوم ملكة؟ ألبس

الفاخر، وأنغطي بالحريز، ولا يعتصر بطني الجوع أو البرد؟ من أنقذني من تلك الحياة

المأساوية؟ أكانت العادات والتقاليد الملكية السخيفة؟ أم كان براين؟ هل تخلى براين عن

لقبه لأجلي؟ هل ضحى بمستقبله وممتلكاته ليحميني؟ لولا آياتو... لكنت اليوم جثة هامدة

نُكِّل بملاحمها تحت سياط التعذيب ووصلتكم في تابوت! وهل كنتم ستشعرون بشيء

حينها؟ كلا... لأنكم لا تعرفونني من الأساس!"

رمقتها الجدة بنظرة متيبهة وقالت بثبات حاد:

"هذا المنطق العاطفي لن يغير شيئاً من قراري يا حفيديتي."

مسحت أماليا دمعة قاسية سقطت على وجنتها، وقالت بصوت خفيض يحمل وعيداً خفياً:

"حسناً إذًا... سنرى كيف ستؤول الأمور، وسنرى من سأكون له في النهاية."

استدارت الجدة مارغريت نحو الباب، وقبل أن تخرج، التفتت وجعلت نبرتها كالسيف السام:

"لا تتحديني... فالتحدي معي لن يصب في صالحك أبداً."

أغلق الباب بقوة، فارتمت أماليا فوق فراشها، وضغطت بكفيها على وجهها وهي تنتفض، ثم

صرخت بصوت عالٍ كأنما تخاطب جدران الغرفة:

"كلا... لن أبكي! سأنتظر آياتو كما خبرتني أناستازيا، وهو سينقذني حتماً... هيا يا ملاكي

الأسود، أين أنت الآن وماذا يحل بك؟ ليت هناك أثيراً أستطيع من خلاله الوصول إليك..."

حل الظلام وسدل الليل أستاره الثقيلة، وأماليا لم تغادر غرفتها قط. حين اجتمعت العائلة

الملكية حول طاولة العشاء الكبرى، كان مقعدها المذهّب خالياً تماماً، مما أثار حفيظة الملك

هوارد. التفت إلى إحدى الخادومات الواقفات بالخلف وسأل بجفاف:

"أين الملكة؟ لم لم تنزل للمائدة؟"

انحنت الخادمة بارتباك وردت بنبرة خائفة:

"جلالة الملك، لم تطأ قدمها خارج الغرفة طوال اليوم. كنا نرفع لها أطباق الطعام بين الحين والآخر، لكنها تعيدها إلينا كما هي دون أن تمسها."

في تلك اللحظة، حوّل براين عينيه الحادثتين نحو والده ويليام، فبادله والده نظرة أشد قسوة وصرامة. أزاح براين منديله، ورمى به فوق الطاولة بقوة أحدثت صوتاً مدوياً، ثم دفع كرسيه للخلف وغادر القاعة بخطوات غاضبة دون أن ينطق بحرف واحد، وسط ذهول الحاضرين. تنهد هوارد بعمق، ثم التفت نحو أناستازيا بجواره وقال بقلّة حيلة:

"ما رأيك فيما يحدث يا أناستازيا؟ ابنتي ترغب في الاقتران بابن عدونا... تخيلت كل السيناريوهات إلا هذا الكابوس!"

رفعت أناستازيا كأسها ببرود أثيري، وأجابت بابتسامة غامضة:

"عزيزي هوارد... أعذرني عن تقديم أي رأي في هذه المسألة بالتحديد؛ لأن ابن العدو الذي نتحدث عنه... يكون ابني أنا أيضاً."

نفث هوارد الهواء من صدره بحنق، وحول نظره نحو أمه الجدة مارغريت، فقالت الأخيرة بصرامة قاطعة:

"لا تشغل بالك يا بني. الزفاف سيمضي في موعده غداً. وحتى إن أظهر العروسان الرفض

الآن، سيتأقلمان مع الواقع ويتوافقان حين يدركان أن هذه القرارات صُنعت لأجل حماية العرش والمملكة."

أغمض هوارد عينيه وقال بنبرة خافته:

"أتمنى فقط أن تمر هذه الليلة وهذا الزفاف على خير..."

الفصل الحادي والعشرون: بلا وجمة

انبلج فجر اليوم الموعود، يوم عقد القران، على حركة محمومة تجتاح القلعة الحجرية. نهض البلاط مبكراً، واستبقت الخادMAT خطوات الزمن للانتهاء من آخر اللمسات. خطت أليسيا نحو جناح أماليا يرافقها حشد من الجواري يحملن الثياب والعطور، بيد أن الباب المفتوح على مصراعيه أفضى إلى فراغ تام. لم يكن للعروس أثر. تسلفت المذعورات الأدراج، وقلبت العيون أركان القصر زاوية زاوية، بلا جدوى.

على العرش المذهب، جلس هوارد مطرقاً رأسه بين كفيه المرتجفتين، بينما انطلق الجند في المدى يمسحون الإمبراطورية بحثاً عن أثر للملكة الهاربة. احتشدت العائلة حوله تسكب كلمات التهذئة، باستثناء براين الذي كان يغالب بصعوبة ابتسامة التشفي؛ متمنياً في سريره لو أن الأرض ابتلعت تلك البشرية إلى الأبد.

وفي أقاصي الغابة المتاخمة، كانت أماليا تحت الخطى دون هدى، يضرب ثوب نومها الرقيق أغصان الشوك المتدلّية. قطرات الندى الباردة تلتخ قدميها الحافيتين، وأنفاسها المتلاحقة تصارع السكون. فجأة، تعالت أصوات حوافر الخيل ووقع أقدام متسارعة، فانكمشت خلف جذع شجرة بلوط ضخمة، ضاغطة جفنيها بقوة، تحاول إخفاء وجيب قلبها المتصاعد.

تلاشى نور الشمس فجأة، وغطى ظلال جسد فارغ أبعاد الشجرة. فتحت أماليا عينيها ببطء، لتلتقي بهامة حارس مدجج بالسلاح يقف أمامها. انحنى بقسوة رسمية وقال بصوت جاف:

"جلالتك... الأوامر الملكية تحتم عليّ إعادتك إلى القصر فوراً."

انتفضت متراجعة وهي تصرخ:

"كلا! لن أعود معكم!"

أطلقت العنان لساقيهما، بيد أن الحلقات الحديدية للحراس كانت قد أطبقت عليها من كل اتجاه. أينما التفتت، وجدت صدوراً مصفحة تسد المنافذ. اقتادها الحارس بقوة وألقى بها داخل العربة الخشبية التي اندفعت راجعة. طوال الطريق، لم تتوقف أماليا عن كيل اللعنات وتوجيه اللكمات لجسد الحارس الصلب، لكن محاولاتها كانت تتكسر على درعه كالهباء. انفتحت الدلفتان العظيمتان لبلاط هوارد، وخطى الحارس يجر أماليا خلفه؛ شعرها الثائر مبعثر، وأطراف ثوبها متسخة بالتراب. انقبض وجه براين وقست ملامحه، يلعن حظه في خفاء: "ما الذي أعاد هذه الملعونة الآن؟!"

ناظرها هوارد بنظرة حادة لا تجيز النقاش، والتفت إلى ابنته:

"أليسيا... خذوها وجهزيها لعقد القران... حالا."

قبضت أليسيا على مرفق أماليا وسحبتهما نحو الغرفة الملكية، ثم ألقتها على السرير بقسوة تحذيرية:

"أيتها المغفلة! لو أنك أسررت إليّ بفرارك لكسبتُ لك الوقت وشتتُ الحراس! تصرفك

الأرعن هذا لن يجلب لك سوى المزيد من المتاعب!"

لزمت أماليا الصمت، وقعدت أمام المرأة الكريستالية تجر نبرة تهكمية:

"أكملن الصنيع إذًا... ضعن مساحيق التجميل ورمنن هذا الشعر. أنا جاهزة."

كانت كلما وضعت الخادومات لمسة من المساحيق، مسحتها بكفها، وكلما صُفف شعرها، بعثرته بأصابعها بتمرد عارم. لم يمضِ وقت طويل حتى اقتحمت رئيسة الخدم الجناح يرافقتها حارسان؛ قيدوا يدي الملكة إلى ظهر الكرسي بسلاسل خفيفة.

تزاحمت الخادومات حولها؛ طائفة تتولى صباغة وجنتيها، وأخرى تتولى تصفيف خصلاتها الأسيرة، بينما انتقى البعض فستان الزفاف الناصع. وفي الزاوية، كانت أليسيا تراقب المشهد بقهر.

في الجناح الغربي، كان براين يقف بين أبناء عمومته وهم يجهزون بدلة العريس. قال ألبرت يربط عباءة براين:

"يا لك من محظوظ! ستعتلي العرش وتقترن بالملكة دون أي جهد يذكر."

التفت براين بنظرة قاتلة وحذر:

"أغلق لعنتك هذه وإلا هَشَّمت فكك!"

تأمله ديفيد بحيرة وتساءل:

"رفض آماليا غير منطقي بظروفها، فما الذي يجعلك تثور هكذا ضد هذا الزفاف؟"

صرخ براين متجههم الوجه:

"اخرس أنت الآخر ودعوني وشأني!"

تدخل كيفن بنبرة أهدأ:

"كفاك جموحاً يا براين! الفتاة فاتنة وترتدي التاج، لا أرعوية تبرر هذا النفور."

اصفر وجه براين واحتدت نبرته بصراخ زلزل الغرفة:

"اخرجوا جميعاً من جناحي! لا أريد رؤية أحد منكم!"

انقضت ساعتان متوترتان، واكتملت التجهيزات في الباحة الكبرى التي زينت بأبهى الصور.

خرج الملك هوارد وجلس على عرشه، وإلى جواره أناستازيا بتألقها البارد. دقائق معدودة،

وانفتحت الأبواب لتبدأ أماليا مشيتها المكروهة بجانب براين نحو المنصة.

علت همسات الحضور وتماوجت في الساحة: "كم يروق أحدهما للآخر!"، "عريس يبث

الهيبة وعروس كالقمر!"، "ثنائي أسطوري لعرش باكوغو!".

تسمرت أماليا على مقعدها فوق المنصة، تراقب الجموع الراقصة بتوتر تتصارع فيه الأنفاس،

وتهمس بين شفتيها المرتجفتين: "أترجأك آياتو... من كل قلبي... أن تأتي وتقتحم هذا الجمع..."

عدّ وانقذني، خذني بعيداً عن هذا الكابوس قبل أن أفقد ذاتي!"

لاحظ براين ارتجاف يدها، فرمقها بنظرة حادة حارقة، وكانت تلك أول مواجهة بصرية

صريحة بينهما.

تقدم رجل الدين الملكي، وقف بينهما، واحتشد البلاط حول المنصة. انسل صوته الوقور:

"أيها الأمير براين باكوغو... هل تقبل بالملكة أماليا باكوغو زوجة شرعية لك؟"

أجاب براين ببرود يطفو على وجهه:

"أقبل."

التفت رجل الدين نحو العروس:

"أيتها الملكة أماليا باكوغو... هل تقبلين بالأمير براين باكوغو زوجاً شرعياً لك؟"

ساد الصمت. التفتت أماليا بنظرات مكسورة نحو أناستازيا، وكأن عينيها تسألان: أين ابنك؟

ألم تعديني بخطة تُنقذ العهد؟

في حين ردت أناستازيا بنظرات حائرة مذهولة تهمس: أين هو حقاً؟ لم تكن هذه النهاية التي

ترقبته...

استحثها رجل الدين مجدداً:

"أيتها الملكة أماليا... أجيبي رجاءً!"

وتحت السطوة القاسية لنظرات والدها والجدة مارغريت، نطق لسانها بتردد متقطع:

"أنا... لا... لا أقبل."

ساد وجوم مباغت، غير أن هوارد انحنى وهمس لرجل الدين بنبرة قاطعة. هز الشيخ رأسه

وأكمل دون اكتراث للمقاطعة:

"بناءً عليه، أعلن الأمير براين والملكة أماليا زوجين في السراء والضراء."

انتفضت أماليا بذهول وذعر:

"ولكنني لم أقبل! ألم تسمعي أيها الكاهن؟! أنا الملكة وعليك الامتثال لرفضي!"

في ثانية واحدة، نهض براين وأقامها بالقوة من مقعدها. طوق خصرها بيده، ووضع يده الأخرى على فمها ليقطع صوتها، ثم حنى رأسه حتى التزق خده بخدها، وهمس في أذنها بنبرة خفيضة حادة:

"تظاهري أمامهم بأنني أقبلك الآن... وإلا جعلت ليلتك جحيماً."

بدا للملأ أنه يطبع قبله على ثغرها، بينما كان في الحقيقة يحبس أنفاسها المتمردة.

عقب انقضاء المراسم، أقتيد العروسان إلى الجناح الخاص بهما.

وما إن أغلق الباب الثقيل، حتى خلع براين عباؤه الجلدية وقميصه العلوي، ليبقى عاري الصدر، ثم ألقي بجسده المنهك فوق السرير الوثير.

وقفت أماليا عند زاوية الغرفة، تنظر إليه بعيون يملؤها الخوف والارتياح، تتراجع بجسدها إلى الخلف.

قلب براين عينيه بسخط، وتنهد بصوت مسموع:

"كفاك تحديقاً بي بتلك العيون المرعوبة... لن ألمسك أبداً، وكأنني أريد ذلك أصلاً"

استندت أماليا برأسها على الجدار البارد، تتأمل شحوب السقف. لم تستوعب قدرتها على

استيعاب ما حدث؛ كيف تمردت الأيام لتقترن بغير آياتو؟ شردت في الظلمة المخيمة،

واستعادت روحها كل تفصيلة دافئة مع ملاكها الأسود: لمستته على شعرها، قبلته الطويلة

على كفها، صوته العميق وهو يهمس: "أنتِ وطني الحقيقي الآن..."، تساءلت والدمع يحرق

محاجرهما: "هل أضاعنا القدر إلى الأبد؟ أم أنك تخليت عن العهد الذي بيننا؟"

الفصل الثاني والعشرون: نذير العاصفة

تكسّر صدى صراخ آياتو المكتوم على الجدران الحجرية الملساء للقبو السحيق، يمتزج بصفير السياط التي كان إيرنست يجلد بها جسده العاري بضغينة لا ترحم. كانت كل ضربة تشق الجلد المنهك، وتترك وراءها أخاديد يقطر منها الدم الأرجواني الممزوج برذاذ الماء الجليدي.

في تلك الأثناء، كان والتر ورايتو يعبران الممر المحاذي لدرج القبو. استوقفتهم الأنات المتواترة ووقع الضربات الخافتة. تبادلنا نظرة حادة، وانطلقا يهرولان هبوطاً نحو العتمة، وما إن وطئت أقدامهما العتبة الأخيرة حتى شلّت حركتهما أمام المشهد: إيرنست يقف كالظل الشرير، شاهراً سوطه، وعيناه تضيئان بنشوة الانتقام من جسد آياتو المغلول. لم يتوقف رايتو ليفكر؛ جاشت دماؤه ونبض غضبه في ثانية واحدة. اندفع بكامل قوته نحو إيرنست، فدفع جسده بقسوة عاتية ليصطدم بالجدار الحجري الجاف، وصرخ فيه بنبرة كالرعد تتفجر قسوة:

"هل أعمى الغل بصيرتك أيتها الحقوق اللعين؟! أبلغ بك الجهل والتجبر أن تستعرض قوتك على أخيك؟!"

وقبل أن يرتد سخط رايتو، انكمشت ملامح إيرنست بالذعر، وانقشع جسده فجأة من بين أيديهم بين طيات الظلال، مخلفاً وراءه أثراً خافتاً من الدخان الأسود ليظهر في أمان غرفته.

اقترب والتر ورايتو بخطوات وجلة نحو آياتو المتدلي من الأغلال. كان جسده خريطة جراح مستعرة؛ ثيابه ممزقة بالكامل ومغمورة بدمائه المختلطة ببرودة الماء. جثا والتر إلى جواره ورفع رأسه المدمى ببطء شديد. فتح آياتو جفنيه المجهدين بصعوبة بالغة، وعيناه الغائمتان تصارعان العتمة، ثم انسلت على شفتيه الشاحبتين ابتسامة ساخرة، متصلبة، يرمق بها والتر، وهمس بصوت جاف يتكسر فيه الهواء:

"أليسيا... ترسل لك تحياتها الشوقية من وراء الأسوار... اذهب فوراً إلى قصر باكوغو، وادخل جناحي القديم... في درج المكتب هناك، توجد ورقة طالما كانت طوق النجاة..."

تسمر والتر وسأله بنبرة مشدوهة:

"أي ورقة تبغي يا آياتو؟ وأي نجاة تحمل في طياتها؟"

أغمض آياتو عينيه كمن يصارع سكرات الموت، وهمس بأخير أنفاسه:

"التقي بأليسيا... هي الوحيدة التي تستطيع أخذك إليها..."

ومع ختام كلماته، ارتخي رأسه للأمام وسقط في غيبوبة ثقيلة. ساد سكون جاهم بين الأخوين، يتأملان بعضهما بذهول يمتزج بالخوف.

كسر رايتو الصمت متسائلاً وعيناه متسعتان:

"متى عاد آياتو من ديار باكوغو أصلاً؟ كيف تسلل إلى هنا دون أن يشعر به أحد؟"

رد والتر وهو يمسح الدماء عن وجه أخيه المكبوب:

"ليس السؤال متى عاد يا رايتو... بل ما الجحيم الذي دفعه للعودة إلى هنا؟ ولماذا يتلذذ

إيرنست بتعذيبه بأساليب الوحوش؟"

ثم وقف والتر متماسكاً وأردف بصرامة قاطعة:

"مهما كان السر، فإن هذه الوثيقة هي الورقة الأخيرة التي يحتمي بها. سأنتقل فوراً إلى باكوغو

لأجلبها. اعتنِ أنت بجراحه ونظفها، ولا تدع أحداً يدنو منه حتى أعود."

اعترض رايتو بنبرة حادة:

"ولمَ لا أكون أنا من يركض خلف تلك الوثيقة بينما تبقى أنت لرعايته؟"

قبض والتر على كتفه بقسوة وقال:

"هذا ليس مضماراً للعناد يا رايتو! أليسيا هناك وهي صلة وصلي وتعرف مخابئ القصر،

سأكون أسرع منك في الدخول والخروج. افعل ما أمرتك به ودعنا نكسب الوقت!"

تنهد رايتو واستسلم، وقال بأسى وهو ينظر لجسد آياتو الساكن:

"عد سريعاً يا والتر... فإن أنفاسه تنن وكأنه سيغادر الحياة قريباً."

دون إبطاء، خرج والتر من القبو، وامتنطى جواده وشق أفق الطريق نحو باكوغو، في حين أسرع

رايتو باستدعاء حراس ثقة ونقلوا آياتو إلى غرفته ليضمخوا جراحه المشتعلة بالمراهم

والضمادات.

ومع احتضار الشفق وغروب آخر أطيايف النهار، كانت حوافر حصان والتر تقطع المدى

البعيد حتى تخوم قلعة باكوغو العتيقة. بعث براعي الشفرة السري — ذاك الحارس الموثوق

الذي اعتاد أن يؤمن لقاءاته الخفية مع أليسيا — ليحمل لها الإشارة. وما هي إلا دقائق ثقيلة حتى انسلت أليسيا كطيف ناعم بين ظلال الحديقة، وانضمت إليه في ركن مخفي بين الأشجار الكثيفة.

ارتمت في أحضانه بعناق حار وقوي، تتزاحم فيه أنفاسها الشائقة وتعبق فيه حرارة الغياب. أبعدته أليسيا فجأة فور أن دهمتها الفاجعة، وعيناها تتوسلان الخوف والقلق:

"والتر! أين أخوك آياتو؟! أين غاب كل هذا الوقت؟ لقد تأخر بالفعل!"

سألها والتر باستغراب شديد ويدها تكتنفان وجنتيها:

"تأخر عن ماذا يا أليسيا؟ ماذا جرى ههنا؟"

احمرت عينا أليسيا بالدموع وقالت بنبرة تختنق بالمرارة:

"لقد زوّجوا أماليا من أخي براين بالقوة! عُقد القران بالبطش، وهما الآن يتشاطران غرفة

واحدة خلف الأبواب المغلقة!"

انتفض والتر وتراجع خطوة إلى الخلف من هول الصدمة:

"ماذا تتفوهين به؟! ألم يكن المخطط أن تتوج ملكة وتقرن بآياتو ليصيرا سادة باكوغو؟!"

"بلى! ولكن والدها والجدة قسيا عليها وأرغماها تحت وطأة التهديد والإجبار! قل لي أين

آياتو الآن؟ لمّ لم يأتٍ لانتشالها؟"

"لقد كان مغلولاً بالسلاسل في قبو قصرنا، يفرغ إيرنست أحقادَه في جسده بالتعذيب... وقد أرسلني لأجلب وثيقة سحرية خطيرة خبأها في جناحه القديم هنا. دليني على الطريق لأقتحم القصر!"

أمسكت أليسيا بذراعيه بقوة ومنعته:

"كلا! دخولك القصر في هذه اللحظة انتحار محتوم! سأتسلل بنفسي إلى جناحه وأبحث عنها، انتظري هنا ولا تتحرك."

ومع كلماته الأخيرة التي حدد فيها مكان الدرج، اختفت أليسيا بين الممرات. مرت ربع ساعة وكأنها دهر من الجمر، حتى عادت تسارع الخطى وبيدها حزمة وثائق مطوية ومختومة. رفعتها إليه وقالت بلهات:

"هذا كل ما اعترضته بصيرتي في المكتب والدرج الخفي! خذها وأسرع إليه... وأخبره بكارثة أماليا، فهو يجهل كل ما طرأ في غيابه!"

ضم والتر وجهها بين كفيه، وطبع قبله على جبهتها وقال بصوت يفيض بالحنان والرجاء:

"كوني بخير يا صغيرتي... ولا تدعي الخوف يفتك بك، واعتني بأماليا لأجل آياتو."

"وأنت احذر من عثرات الطريق يا حبيبي..."

تبادلا عناقاً أخيراً يلفه الغموض والحزن، عناقاً خيل إليهما أنه قد يكون الوداع الأخير، قبل أن يمتطي والتر جواده ويحته على الركض السريع، طاوياً الأراضي طياً نحو قصر كايدي.

اقتحم والتر جناح آياتو راكضاً وهو يلهث شديداً. وجد آياتو جالساً على طرف الفراش، جسده موشح بالضمدات البيضاء التي بدأت تتلون بالدم الخفيف، وإلى جواره رايتو يرقب صحوته. ألقى والتر بالحزمة فوق الفراش قائلاً:

"هذا كل ما استطاعت أليسيا استخراجها من مكتبك!"

انكب آياتو يفتش بين الأوراق بلهفة وتوتر عارم، تنزلق أصابعه بين المخطوطات، حتى وقعت عيناه على الوثيقة الذهبية ذات التوقيع السحري المحظور. في تلك اللحظة، اتسعت حدقاته بوميض ناري قاطع، وارتسمت على شفثيه المشمئزتين ابتسامة انتصار حارقة غطت على آثار اللكمات.

انتفض واقفاً غير أنه بجراحه المفتوحة، وانطلق كالسهم نحو جناح الملك هوارد. دفع الباب المصفح بقوة مدوية جعلت الحراس يتراجعون، وصرخ في وجه والده الملك:

"ألم أحذرك سابقاً بأنك ستتجرع الندم زُعافاً؟! خذ... اقرأ بنفسك وانظر من هو السليل الخائن!"

تسمر الملك في مكانه، ورعبه يستبد به وهو يتأمل آثار التعذيب والسياط القاسية على جسد ابنه:

"من أطلق سياطه على جسدك هكذا؟! من تجراً على النبش في دمك يا بني؟!"

رد آياتو بضحكة تهكمية حارقة:

"أتستعرض خوفك الأبوي الآن؟! أبات يهملك أمري بعد أن تركتموني للسباع؟ لقد فات الأوان... اقرأ الوثيقة وتأمل مهزلة بلاطك!"

تناول الملك الوثيقة بيدين مرتجفتين، وشرع يقرأ الأسطر السحرية والعهود المبرمة مع أعدائهم التقليديين. فور انتهاء السطر الأخير، تضخم وجهه غضباً واعتصرت حنجرته بصرخة زلزلت جنبات الجناح:

"أحضروا ولي العهد إيرنست إلى هنا فوراً!! أحضروه مكبلاً!"

هرع الحراس نحو جناح إيرنست واقتادوه قهراً، بينما كان والتر ورايتو يتبعون الأثر. دخل الجميع القاعة الكبرى، فألقى الملك بالوثيقة في وجه إيرنست، وهتف بصوت كالرعد يقطر خيبة وقسوة:

"ماذا لديك لتقوله يا مدعي الشرف؟! هذه وثيقة عبوديتك الخائنة المبرمة مع أعدائنا البشريين!"

أطرق إيرنست رأسه بخزي وسكون تام، لم يستطع نطق حرف واحد. أشار الملك للجند بصرامة:

"ألقوا به في أعماق الزنازين، وكمبلوه بسلاسل السحر المبطللة للقوة حتى أصدر القرار الناجز في حقه!"

جر الحراس إيرنست مغلولاً، وأودعوه الزنزانة ذاتها التي كان يسوم فيها آياتو سوء العذاب، وعصبوا يديه بنفس السلاسل التي تطفئ وهج قوته.

تنفس آياتو الصعداء، والتفت إليه الملك بنبرة أسف وانكسار لم تعهدها المجالس:

"لقد ظلمتك كثيراً يا بني... وظننتك أنت الخائن المارق..."

قاطعها آياتو بجفاف قسري وهو يرفع يده لحسم الحديث:

"كفى! سئمت من هذا النفاق الملكي المبتذل! لقد طهرتُ اسمي، وأثبتُ خيانة سليلكم

الفاسد، وأنقذت مستقبل المملكة من الانهيار... والآن، لديّ إمبراطورية أخرى تنتظرني

لأكون ملكها الحقيقي!"

استدار مغادراً بخطوات ثابتة، غير أن والتر استوقفه بوضع يده الصلبة على كتفه:

"لن تضع قدمك خارج القصر قبل أن تستمع لما وقع في غيابك!"

قال آياتو بلامبالاة وهو يحاول نفذ يده:

"لا يهمني شيء من ترهاتكم، عليّ الإسراع."

"الأمر يتصل بأماليا يا آياتو!"

تسمر آياتو في مكانه فوراً، وتلاشت الصلابة من وجهه لتحل محلها حدقتان متسعتان بذعر

عارم، وسأل بصوت متهدج:

"ماذا حدث لها؟! تتكلم بسرعة... ما بها أماليا؟!"

أطرق والتر وقال بصوت خفيض ينضح بالأسى:

"اليوم... عُقد قرانها رسمياً على ابن عمها براين، هذا ما أنبأتني به أليسيا."

سقطت الكلمات كالصاعقة السامة على مسامعه. اهتزت أوصال آياتو، واشتعلت عيناه بشرر الغضب الجارف:

"أتعي الهراء الذي يتقيأ به لسانك الآن؟! وهل وافقت هي على هذه المهزلة؟!"

"حسب ما فهمت... لقد زوجها بالبطش وتحت الإرغام."

"أين هي الآن؟!"

"في قصر باكوغو... في جناحها الملكي... مع زوجها براين."

وقعت كلمة "زوجها" على قلبه كأنها خنجر مسموم يُمزق الشرايين. فاض غضب آياتو حتى فقد صوابه، ورفع قبضته المشتعلة بالغل نحو وجه أخيه والتر، كاد يفتك به لولا أنه كبج رغبته المشتعلة في اللحظات الأخيرة.

استدار نحو النافذة وحاول مستميتاً أن يبرز أجنحته السوداء ليطير بها عبر السماء، غير أن مفعول قيود السحر الأسود كان لا يزال يسري في عروقه ويشل طاقته. ترك كل شيء، وانطلق راکضاً نحو الإسطبل بخطوات هستيرية تتحدى ألمه، قفز فوق ظهر أسرع الخيول وأطلق له العنان، ليشق حلقة الليل بركض مجنون نحو ديار باكوغو. وقف والتر ورايتو يراقبان غباره المتصاعد بقلق بالغ.

قال رايتو وهو يشد على سيفه: "هل نتبعه؟"

رد والتر بنبرة جادة: "أجل... لا يمكننا تركه يواجه الإمبراطورية بمفرده، وهو في هذه الحالة المتهالكة!"

امتطى كلاهما حصانه، وانطلقا خلف أخيهما في العتمة، يقتفیان أثر العاصفة.

الفصل الثالث والعشرون: النصل الأخير

في العلياء، داخل الجناح الملكي المغلق، كانت أماليا تجلس عند طرف الأريكة المخملية، وقد غطت وجهها بكفيها المرتجفتين، تنهمر دموعها كالقطرات القاسية، وتهتز أكتافها بشهقات متلاحقة تختزل كل حرقه القهر والخيانة. وفي الزاوية المقابلة، كان براين يقف مسنداً ظهره إلى الجدار الحجري، يتأمل انكسارها بنظرات تنضح بالسخط والاشمئزاز.

لوى شفتيه وقال بنبرة جافة كالسم:

"كفي عن البكاء أيتها الرعناء... نحيبك هذا يثير اشمئزازي ويغثي صدري."

لم تصغ أماليا لثرثرته القاسية، بل ارتفع صوت شهيقها الممزق بالبكاء، وكأنها تفرغ في الظلمة كل وجع الأيام الماضية. اشتعل الغضب في حدقتي براين، فخطى نحوها بخطوات ثقيلة وحادة، وانتصب فوق رأسها كالشبح، ثم هتف بنبرة تهديد صريحة:

"هل أصاب الصمم أذنيك؟ أوعيت ما قلت؟ كفي عن هذا النحيب الملعون! صوتك ينزل كاللعنة في مسامعي. ما الذي يبكيك على أي حال؟ هل مددت يدي إليك؟ هل دنوت من جسدك؟ أغلقي فمك فوراً... وإلا أبرحتك ضرباً لا تطيقينه!"

مسحت أماليا دموعها بسرعة، وانتصبت واقفة كالسيف أمامه، وتحدثت بنبرة تفيض الكبرياء رغم جراحها:

"إياك أن تتناول عليّ أو تقلل من احترامي... أنا الملكة الشرعية هنا وما أنت إلا مجرد أمير!"

انفجر براين بضحكة ساخرة ومسمومة، واقتربت عيناه القاسيتان من وجهها:

"ملكة على نفسك أيتها البشرية، لست ملكة عليّ مطلقاً! اسمعي جيداً: غضبي طوفان لا

يرحم، وصبري تهاوى أمام هذا النحيب. إن كنت تتوقين للبكاء فافعلي ذلك في الخارج!"

في لحظة غضب عارم، قبضت أماليا على ياقة قميصه بقوة، وأخذت تهزه بنشاط التمرد وهي

تصرخ في وجهه:

"سأمر الحراس بقطع رأسك وإعدامك في الساحة العامة لأنك تتجراً على إهانة مولاتك

والتقليل من شأنها يا هذا!"

ودون أي سابق إنذار، وبسرعة مباغته كالصاعقة، رفع براين كفه الفولاذية وسدد صفعة

عاتية على وجنتها. تطاير جسدها الرقيق واصطدم بالأرضية الرخامية الباردة. مال رأسها

جانباً، وانبعثت قطرات الدم الأحمر قانياً ينزف من أنفها الشاحب، ليخضب الأرضية

الناصعة.

ابتسم براين ابتسامة جانبية ملغومة بالخبت والقسوة، وقال بنبرة تتهمكم بالمرارة:

"وماذا لو أعدمتك أنا أولاً وقبل الجميع؟"

مسحت أماليا الدم المنساب على شفتيها بظهر يدها المرتجفة، ورغم الألم المشتعل في

وجهها، قاومت انكسارها وعادت لتلتصب أمامه، تصرخ بصوت زلزل أركان الغرفة:

"كيف تتجراً على رفع يدك عليّ أيتها الحثالة اللعين؟!"

اقترب منها براين خطوة، واشتدت نظراته قسوة وهو يقول ببرود قاطع:

"من الحثالة بيننا؟ أنا أم أنت؟ لقد كنت مجرد قمامة تائهة في القاع، وأصبحت بين ليلة

وضحاها ملكة متوجة! اشكري هؤلاء الحمقى الذين انطوت عليهم حيلتك فصدقوا وهم

ملكيتك... أما أنا فلن أبلع هذه الأكذوبة قط!"

استجمعت أماليا كل ما تبقى من قوتها، ورفعت كفها الصغير بكل ما أوتيت من غيظ،

وسددت صفعة حارقة استقرت على وجه براين، ثم صاحت فيه بثبات ناري:

"بل ستخرس وتذعن! أنا سيدتك وسيدة كل خائن يقف في هذه القلعة الملعونة!"

خارج أسوار القصر الملكي لباكوغو، كانت حوافر الخيول تقطع الأرض بركض جنوني. وصل

آياتو وبرفقتة والتر ورايتو. كان جسد آياتو يغلي بغضب جارف يسبق أنفاسه المتهدجة. لم

يكن هناك وقت للاقتحام العلني، فبعث والتر بإشارة خاطفة لأليسيا.

انسلت أليسيا بين الممرات، وأدخلتهم الثلاثة خلصة من بوابة داخلية منسية، ثم أرشدتهم

بخطوات متسارعة نحو الجناح الملكي الخاص بأماليا وبرائين، واختفت بعدها خلف الأعمدة.

اندفع الثلاثة كالعاصفة يهرولون في الممر الطويل نحو الغرفة. وفي تلك اللحظات، كانت

العائلة المالكة —الملك هوارد، والجدة مارغريت، وأناستازيا— مجتمعين في الصالة الكبرى.

ما إن لمحوا حركة الفرسان الغرباء وركض آياتو المذعور، حتى انتفضوا من أماكنهم ولحقوا

بهم في دعر محاولين إيقافهم.

وصل آياتو إلى الباب الثقيل، ودفعه بكل قوته ليفتحه على مصراعيه...

القصر وسكنت الرعب في قلوب الجميع:

في تلك الثانية القاتلة، وصل البقية واحتشدوا خلف الباب ليشهدوا الفاجعة التي شلت أركانهم جميعاً:

كان براين يمسك بمقبض سيفه الفولاذي الطويل، وقد غرز غمد النصل في قلب أماليا مباشرة، يتخلل جسدها الغض. وحين انتبه براين إلى أن كل الأنظار متجهة نحوه، وبلا أي تردد، سحب السيف بقسوة من صدرها.

انسلت أماليا كأزهار يابسة، وسقطت أرضاً غارقة في بركة من دمائها الزكية التي أخذت تتمدد على الرخام.

أنهار الملك هوارد وسقط على ركبتيه، بينما غابت الجدة مارغريت عن الوعي وسقطت بين أيدي الجواري. أما أليسيا، فشهقت شهقة حادة وأجهشت بالبكاء الهستيري، وارتمت بين أحضان والتر تخفى وجهها في صدره من رعب ما رأت.

دون أن يرى أحداً، اقتحم آياتو الغرفة كالمجنون. دفع براين بخفة وقسوة أطارت الأخير جانباً، وجثا على ركبتيه يرفع جسد أماليا المدمى بين يديه المرتجفتين، يضمه إلى صدره بكل العاطفة والحسرة.

رفع رأسها المائل، وكانت قطرات دمه الممتزجة بدمائها تتساقط على وجنتها الشاحبة،
وهتف بصوت متهدج يفيض بالتوسل والرجاء:

"صغيرتي... أماليا! هيا افتحي عينيك... انظري إليّ! كيف حدث كل هذا البؤس؟! قدّر ما
حاولتُ حمايتك وصونك من أطماعهم... استطاعوا النيل منك في غيابي! هيا انهضي يا
أماليا... انظري، ملاكك الأسود هنا إلى جوارك ولن يدعك!"

وانفجر بالبكاء الحارق الممزق، يتخلله صراخ يعلو ويهبط كالندب، يمرغ وجهه في شعرها
الملطخ بالدماء، يترجاها أن تتنفس.

تعالّت الصيحات خارجاً، وهرعت فرق الإسعاف الملكية والأطباء بكامل عتادهم إلى داخل
الجناح. رفعوا جسد أماليا الغائب عن الوعي بحذر شديد فوق المحفة، ونقلوها بسرعة فائقة
نحو جناح المستشفى الملكي المعقم.

أدخلت أماليا إلى غرفة العمليات الكبرى، وأغلقت الأبواب الفولاذية في وجوه الجميع، حيث
وضع الأطباء أيديهم على الجراح في محاولة مستميتة لإنقاذ نبضها الأخير، مانعين أي شخص
—مهما كانت رتبته— من الولوج أو الاقتراب.

الفصل الرابع والعشرون: نسيج الأمل

خيم سكون الموت على الرواق الرخامي الممتد أمام جناح المستشفى الملكي. كان الهواء ثقیلاً يتنفس الأسى، والضوء الشاحب ينكسر على الوجوه المذهولة. تمالك الملك هوارد نفسه بصعوبة بالغة، ووقف بجسده المرتعش وهو يرمق براين الذي كان يقف ببرود بين يدي الحراس.

خطا الملك نحو براين بخطوات واهية، وقال بصوت خفيض ينضح بقلّة حيلة وبحرقة أب مفاجع:

"لماذا فعلت هذا يا ابن أخي؟ كيف استطاع رأسك أن يوسوس لك بغرس السيف في قلب ابنتي التي ائتمنتك عليها وزوجتها لك؟"

رفع براين رأسه بكبرياء مجروح، واشتعلت عيناه بقسوة متشفية وهو يصرخ في وجه الملك دون ذرة ندم:

"لم أكن موافقاً على هذه المهزلة منذ البداية! وقد استفزتني تلك القمامة الـ..."

قبل أن يكمل براين لفظته المسمومة، انفجر غضب الملك هوارد، ورفع قبضته الفولاذية وسدد ضربة حارقة استقرت على وجه براين، حتى ترنح وسقط أرضاً على الرخام البارد. أشار الملك للفرسان بنبرة قاطعة:

"اقتادوه فوراً إلى أعماق زنزانه في القصر، ولا تدعوه يرى أفق الشمس!"

استدار الملك وهو يئن من ثقل الخيبة، ليرى المشهد الممزق أمامه: آياتو منهار تماماً، رأسه بين كفيه المدماتين، وتحيط به أناستازيا ورايتو في محاولة يائسة للجم لوعته. وفي الزاوية الأخرى، كانت أليسيا غارقة في حزن والتر، تنتحب بحرقه وتدفن وجهها في صدره، بينما قبعَت الجدة مارغريت في ركن مخفي، تنهمر دموعها بحسرة وتهمس بكلمات اللوم لنفسها. دنا الملك من النافذة الزجاجية المطلة على الغرفة المعقمة، واقتربت عيناه من الزجاج؛ كان الأطباء في الداخل يهرولون بارتباك ظاهر، وحركات أيديهم المرتجفة وأجهزتهم المسلطة على جسد أماليا تعكس الخطر المحدق الذي يتهدد حياتها.

استمر ذلك الكابوس على حاله حتى انبلج فجر اليوم التالي، حيث انسلت أشعة الشمس الباهتة لتمسح وجوه الجميع المتعبة. فجأة، انفتح الباب الزجاجي الثقيل، وخرج الطبيب الملكي الرئيسي يجر خطواته المثقلة بالإعياء، ومسح عرقه بظهر كفه. احتشد الجميع حوله في ثانية واحدة، ساد صمت الموت ترقباً لكلماته. تنهد الطبيب بأسى، وقال بصوت حزين:

"لقد بذلنا كل ما في وسع أيدينا وطبنا لإنقاذها... غير أن قلبها البشري الرقيق لم يتحمل قوة الطعنة ونزيف الجرح. إنها الآن في حالة غيبوبة عميقة... لا نسيم لدينا يخبرنا إن كانت ستقاوم وتستفيق أم ستسلم روحها، فنسبة نجاتها لا تتعدى عشرة بالمائة."

انخلع قلب الملك هوارد، وسقط على ركبتيه فوق الرخام الصلب، واجهش بالبكاء وهو يهمس بصوت مجروح:

"لكنني لم أملأ عينيّ بعد من وجهها الملائكي... لم أرتو من الشوق إليها! لطالما كانت بسلام وعافية حين كانت بعيدة عني وعن شؤم هذا العرش..."

في تلك اللحظة، انتفض آياتو من مكانه، واشتعلت حدقتاه بدموع الغضب والضعف الممزق، وصاح بوجه الملك بصراخ زلزل الرواق:

"كل هذا بسببك أنت! يا من تدعي أنك والدها وحاميها! حين أعلنت رفضها الزواج من ذلك الوغد... لم ألزمتموها بالبطش؟! لم استغللتهم غيابي وبعدي عنها وأجبرتموها على الاقتران به؟! كله بسبب أحقادكم وتجبركم! أقسم لك... لو تلفظت أماليا بأخير أنفاسها وماتت، سأنتقم منكم أجمعين شر انتقام!"

ثم نفض ذراع رايتو الذي حاول تهدئته، وانطلق راكضاً مبتعداً عن الجميع.

لحق به والتر وهو محتضن أليسيا الباكية، وتبعهما رايتو بخطوات متسارعة. دخل الثلاثة خلف آياتو الغرفة، أغلق رايتو الباب الثقيل ليعزلهم عن ضجيج الفاجعة.

ارتقت أليسيا نحو آياتو وقالت بدموع منسكبة:

"تفاءل يا آياتو! أترجاك لا تفقد الأمل... لا تزال هناك فرصة لنجاتها وتماثلها للشفاء!"

نظر إليها آياتو بملامح شاحبة وعينين تائهتين، وقال بصوت جاف يقطر مرارة:

"أي فرصة تتحدثين عنها يا أليسيا؟! لقد غرز نصله الفولاذي في أصل قلبها مباشرة... وقلوب

البشر ضعيفة للغاية، لا تتحمل قسوة الحديد."

جلس رايتو على طرف الطاولة، وتنهد بصوت مجهد قائلاً:

"يا صاحبي... كيف انقلبت الأقدار وعمّت هذه الفوضى العارمة فجأة؟ مملكتنا كايدي باتت بلا ولي عهد، وأنت وإيرنست لم تعودا أميرين في البلاط، وأماليا هنا تصارع الموت..."

أردف والتر وهو يربد على ظهر أليسيا بخفة:

"انقلبت موازين كل شيء رأسًا على عقب منذ دخلت أماليا عوالمنا... ماعدت أرى الأمور بوضوح."

التفت رايتو نحو آياتو وتساءل بنبرة جادة تحمل العتاب:

"أرأيت كيف علقت كل مستقبلك ووجودك بوجود أماليا وعرضت نفسك للجحيم؟ لم تحسب حساباً لما حدث الآن."

رفع آياتو رأسه، ونظر إلى الفراغ بلامح يمتزج فيها الندم بالعشق الحارق، وقال بصوت خفيض ودافئ:

"صحيح أنني ركضت في البداية وراء مصلحتي والعرش بزواجي منها، لن أنكر ذلك... لكنني أحببتها حقاً يا رايتو. لقد وقعتُ في أسرها بقوة لا أملك لها دفعا... إنها المرة الأولى في حياتي التي أستطيع فيها البوح لنفسي بحبي الصادق لامرأة... وكانت أماليا هي تلك المرأة."

انسلت ابتسامة حزينة على شفتي أليسيا وقالت بين شهقاتها:

"وهي أحبتك بكل جوارحها أيضاً يا آياتو... كانت دائماً عندما نختلي معاً نتحدث عن ملاكها الأسود وعيناها تلمعان بالشوق..."

ثم عادت أليسيا لتهوي في شهقات بكاء، فضمها والتر إلى صدره بحنان وأخذ يربد على شعرها ويهمس:

"لا بأس يا حبيبتي... اهدئي، ستعود أماليا إلينا وستستفيق، لا تقلقي."

رفعت أليسيا عينيها المحمرتين وقالت بنبرة مفاجئة:

"طوال حياتي في هذا القصر كنتُ وحيدة بلا رفيق... فكانت أماليا هي أول صديقة حقيقية

تدخل قلبي وتؤنس وحدتي..."

صاح آياتو فجأة بنبرة حادة وصارمة قاطعة:

"توقفوا جميعاً عن ذكر اسمها وكأنها باتت خطأً من الماضي! أنا أثق بأعماقي أنها ستفتح

عينيها وتستفيق بسلام."

مرّ ذلك اليوم حزيناً، كئيباً، يجر أذيال العتمة والوجوم على القصر بكامله. امتنع الجميع عن

ذوق الطعام والشراب، وقبع كل فرد في ركنه يلتهمه لوم الذات وتأنيب الضمير، حتى ساد

الصوم عن الكلام واختفت النبرات.

ومرت الأيام متثاقلة؛ يومٌ، يومان، ثلاثة، أربعة... حتى اكتمل أسبوع كامل، والجميع مرابطون

أمام الأبواب المغلقة، يترقبون نبضاً يعيد الحياة إلى قلب أماليا.

الفصل الخامس والعشرون: تاج تحت أشعة الغروب

كانت حديقة القصر خاوية إلا من وشوشة الرياح بين أغصان الأشجار العتيقة. جلس آياتو، ووالتر، ورايتو، وأليسيا على مقعد حجري عريض، تلتحف أرواحهم الكآبة، وتتساقط حولهم أوراق الخريف كما تتساقط أوهامهم. خيم الصمت الحزين على الحاضرين، حتى قطعه وقع خطوات متسارعة لحارس يرتدي درع إمبراطورية كايدي.

اقترب الحارس بخطوات منتظمة، وانحنى بجسده كاملاً، قائلاً:

"صاحب السعادة والأمراء الكرام... جلالة الملك تشارلز يطلب حضوركم الفوري، وقد أمرني بعدم العودة إلا برفقتكم."

انتفض رايتو ووالتر في وقفتهما فوراً، بينما ظل آياتو ثابتاً في جلسته، يرمق الأرض بعينين جافتين، ورد بنبرة خافته ينضح منها الأسى:

"لستُ أميراً هناك كي أُلبي النداء... امض في سبيلك ودعني وشأني."

تثبت الحارس في موقعه، ونظر إلى آياتو بصرامة محترمة وأضاف:

"يا سيدي آياتو... لقد شدد جلالة الملك خصيصاً على ذكر اسمك مقترناً مع أشقائك الأمراء."

تبادل الأخوة نظرات مبهمة، ثم انطلق الثلاثة طاوين المسافة نحو ديار كايدي. وما إن وطئت أقدامهم البلاط الملكي حتى توجهوا رأساً إلى جناح الملك تشارلز. دفعوا الباب ببطء، ليجدوه راقداً على فراش الموت، وجهه شاحب كالشمع، ويتنفس التعب.

تطلع الملك إليهم بأعين غائرة، وقال بصوت يتكسر فيه الصدى:

"لقد رأيتم كيف تتهاوى صحتي يوماً بعد يوم، وتنسل الحياة من عروقي... لذا قررتُ تنصيب ولي العهد ملكاً من بعدي دون تسويق. سنقيم مراسم التنصيب الآن، فها بنا إلى باحة القصر الكبرى."

في باحة القصر العريضة، احتشدت الجماهير والفرسان في الميدان كأمواج البحر. وقف الملك تشارلز في المنتصف بشق الأنفس، يسانده كبرياؤه الأخير. عن يمينه وقف إيرنست وبجواره آياتو، وعن يساره وقف رايتو ووالتر.

خطا الملك خطوات متثاقلة نحو الحشد المفزوع من شحوبه، ونادى بصوت جاف هز جنبات الميدان:

"اليوم... أسلم زمام الخلافة لولي عهدي الشرعي ليصير الملك والمطاع بعد مماتي. وأكل هذه الأمانة العظيمة لـ"

تقدم الملك بضع خطوات ثابتة نحو رايتو، ورفع التاج الذهبي قائلاً:

"للأمير رايتو!"

انحنى رايتو احتراماً، ووضع يده على صدره، لكنه رفع رأسه ورد بصوت جاد وقوي أسمع الحاضرين:

"شرفٌ لي يا جلالة الملك أن تصطفيني لهذا العرش... لكن الرعية تعلم قبل غيرها أن مكاني ليس حبيس الأروقة ولا فوق الكراسي المذهبة الصامته. مكاني الأصلي في ميادين القتال وبين ساحات الوغى، فأنا محاربٌ وأفضل أن أظل محارباً!"

ساد الذهول بين الجمع، فأخذ الملك التاج بوقار، والتفت ببطء نحو والتر، وقال بنبرة مليئة بالرجاء:

"أحترم رغبة الأمير رايتو القتالية... ولذلك أسند هذه الأمانة العظيمة إلى الأمير الأصغر، والتر."

انحنى والتر بمهابة، واقترب خطوة متقبلة:

"شرفٌ عظيم لي أن أكون ولي عهد هذه الإمبراطورية العتيدة، وأنا أقبل بهذه المسؤولية."

ألبس الملك والتر التاج، وانطلقت الأبواق تعلن ختم مراسم التنصيب. وقبل أن تتفرق الحشود، خطى والتر خطوة إلى الأمام، ورفع يده ليشير بالصمت، ثم التفت نحو آياتو وقال بصوت يفيض بالفخر والصرامة:

"بصفتي الآن ولي العهد والملك المستقبلي لكايدي... أعلن تخليّ الكامل عن هذه الشارة لصالح المحارب الشهم، الأمير آياتو! ففي الآونة الأخيرة، شهدنا جميعاً كيف كان يزود عن

حياض المملكة بكل جوارحه، حتى بعد سحب لقب الإمارة منه. وموقفٌ مثل هذا لا يجوز أن يمر مرور الكرام!"

تقدم والتر بثبات نحو آياتو المتفاجئ، وخلع التاج من رأسه ليضعه فوق رأس آياتو. كل ذلك جرى تحت نظرات إيرنست القاتلة، الذي كانت حمالة الغيرة والحقد تأكل قلبه وجوارحه. تقدم آياتو خطوة إلى الأمام والتاج يتلألأ فوق رأسه، ونظر إلى الجموع بعينين تشتعلان عزيمة وقوة، وصرخ بصوت زلزل الميدان:

"منذ هذه اللحظة... أصبح أنا الأمير آياتو، ولي عهد هذه المملكة والملك المستقبلي لإمبراطورية كايدي!"

تعالَت الصيحات والتصفيق الحاد بين الصفوف، وعادت العائلة الملكية إلى أروقة القصر الداخلية.

بينما كان آياتو يخطو في الممر الخالي برفقة شقيقه رايتو ووالتر، برز إيرنست من بين الظلال واعترض طريقهم، وابتسامة مسمومة تتراقص على شفتيه:

"وصلت إلى غايتك المنشودة أخيراً... وها أنت ولي العهد المطاع! أشهد أنك أكثر مكرًا وأقوى مما تخيلتُ دائماً."

توقف آياتو، ورمقه بنظرة حادة يكسوها الإعياء والصرامة:

"إيرنست... لا تعكر صفو مزاجي وابتعد عن طريقي فوراً، إن كانت حياتك تعنيك في شيء!"

ضحك إيرنست بتهكم وشاح بيده:

"لا تبتئس يا ملك الغد... جئتُ فقط لأخبرك بأنني لن أكون حجرة عثرة في طريقكم بعد

اليوم. سأغادر لأكمل خدمتي عند سلفينا."

رد آياتو بحدقة تتفجر غضباً ونبرة حارقة:

"فلتذهب إلى أعماق الجحيم! آثار سياطك وتعذيبك السافل ما زالت تشمئز منها أطرافي

وجسدي... فلا تظن لحظة أنني سأحمل لك ذرة شفقة! لولا حرمة دم الأخوة الذي يجمعنا،

لغمدت سيفي في حنجرتك منذ زمن بعيد!"

انكسرت حدة إيرنست قليلاً وقال بصوت خفيض:

"أنا... متأسف."

صاح آياتو بوجهه بصرامة:

"ابتعد عن ناظري ولا ترني وجهك الكالح مجدداً! أنا لا أراك سوى كتلة قذرة ملطخة

بالخيانة! كل ما وصلنا إليه من بلاء كان بسببك... بسبب طمعك تصارع آماليا الموت الآن! لو

لم أضطر لتركها والركض خلف دسائسك لما حدث ما حدث!"

تغيرت ملامح إيرنست فجأة إلى القسوة والجفاف، وقال بنبرة جافية:

"فلتذهب أنت وهي إلى الجحيم! لا يهمني أمرها ولا أمرك إطلاقاً... والآن وداعاً يا أخي

الحبيب وولي العهد، أتمنى ألا تتقاطع طرقنا مجدداً."

حاول إيرنست إبراز سحره للتواري والتلاشي، غير أن قيود السحر المغلولة في عروقه أبطلت قواه. استدار وجر خطاه مشياً، يتبعه آياتو ورايتو ووالتر بأعقابه حتى تواري أثره خلف البوابة السفلية.

تنهد والتر بأسى وشواهد التعجب تعلو وجهه:

"لم أكن أعلم أن أخانا الأكبر يكتنز كل هذا الغل والشر في صدره... لقد استحال شخصاً غريباً لا يمت لمن عرفناه بصلة."

التفت رايتو نحو آياتو وقال بعينين متسائلتين:

"إذاً يا آياتو... بما أنك صرت ولي العهد الآن وبمثابة الحاكم القائم، ما هي خطواتك التالية؟" رد آياتو دون أي تردد ونبرته حاسمة:

"سأنطلق فوراً إلى باكوغو، وسيرافقني والتر. أما أنت يا رايتو، فستبقى هنا إلى جوار الملك، فقد تتدهور صحته في أي لحظة. أبقني على اطلاع بأي جديد، اتفقنا؟" أوماً رايتو بانضباط:

"حسناً، جلالة ولي العهد."

سدد آياتو لكمة خفيفة وممازحة على كتفه، وارتسمت ابتسامة دافئة على ملامحه المجعدة:

"كف عن هذه الرسميات اللعينة! نحن إخوة، ولولا وقوفكما إلى جانبي لما تقلدتُ هذا التاج."

ابتسم رايتو، وانطلق آياتو ووالتر بسرعة نحو الإسطبلات. امتطيا جواديهما وشقا طريق العودة نحو إمبراطورية باكوغو.

مع اقتراب الغروب وسقوط أطياف الشفق البرتقالي على أسوار باكوغو العتيقة، وصل الأخوان. بعث والتر بحديث خفي لأليسيا، والتي تسلت كعادتها وأدخلتهما من الممرات الداخلية.

وفي منتصف الممر المؤدي للغرف الملكية، تفاجأ الجميع بالملك هوارد يبرز أمامهما، وعينه تنضحان بالشر والغضب:

"ما الذي تحسبان أنكما تفعلانه ههنا؟! من ذا الذي يملك الجرأة لفتح أبواب قصري لكم والتسلل كاللصوص كل مرة؟ لا تظنا أن الخلاف قد طويت صفحاته بيني وبين والدكما! نحن ما زلنا أعداء ألداء!"

خطا آياتو خطوة إلى الأمام بثبات، وواجهه بنبرة صلبة:

"أنا لست هنا من أجلك أو من أجل عرشك... أنا هنا من أجل أماليا!"

انتفض هوارد وصاح:

"وأماليا تكون ابنتي الشرعية!"

رد آياتو بتهكم مريز وعينين تلمعان بالوجع:

"ابنتك التي أضحت بسبب بطشك وتجبرك عليها في غيبوبة الموت؟!"

احمر وجه هوارد صراخاً:

"اخرس أيتها الحثالة! أنت لست حتى أميراً في قومك، فكيف تتجراً على رفع صوتك ومواجهتي بهذه الوقاحة؟!"

رفع آياتو رأسه وربد على صدره بثقة:

"لستُ أميراً... أنا الملك القادم، وقد تُوجت اليوم رسمياً بولاية العهد!"

تجمد الملك هوارد في مكانه بذهول:

"ماذا؟! كيف حدث هذا ومتى؟!"

"ليس من شأنك كيف تم ذلك!"

سكت الملك برهة، محاولاً ابتلاع الصدمة، ثم مسح وجهه وقال بنبرة تخللتها النفعية والشك:

"حسناً... صرت ملكاً ووصلت لما كنت تصبو إليه من سلطة، ولم تعد بحاجة لاقتطاع عرش باكوغو عن طريق الزواج! لذا اترك ابنتي وشأنها، فأنا مدرك تماماً اللعبة الخبيثة التي حكمتها من البداية."

اقتربت حدقتا آياتو من هوارد، وقال بصوت يفيض بالحزن والصدق الحارق:

"أتظن أنني أود الاقتران بها لمنصب سياسي؟ كلا! أنا أحبها بكل ما أوتيت من روح ولن أتخلي عنها أبداً... وها أنا أمامك، أصبحتُ ملكاً، ورغم أنها تصارع الموت بين الحياة والردى، لم أفكر لحظة في التوقف عن حبها!"

تخشب هوارد في موقعه، ورجع بفكره إلى الورا يقلب الأوراق، ثم انحسرت حدة غضبه وتنهد بعجز:

"حسناً... كفى هراءً وخصاماً. لماذا أنتما ههنا في هذه الساعة؟"

"نريد الاطمئنان على أماليا."

أطرق هوارد رأسه بألم وانكسار أبوي:

"إنها على حالها الجثامي منذ أسبوع... والأطباء يمنعون أي إنسان من وضع قدمه في غرفتها."

قال آياتو بجمود:

"حسناً... سأكتفي برؤيتها من خلف زجاج النافذة، ولن أدخل."

أوما الملك هوارد بموافقة صامتة، واقتادهما نحو جناح المشفى الملكي. تبعهم والتر، بينما

انسلت أليسيا وتعلقت بذراع والتر منذ لحظة وصوله تخفي خوفها.

عند الوصول إلى الزجاج المطلي المطل على الغرفة المعقمة، وقعت عينا آياتو على جسد

أماليا الراقد بلا حراك، الموصل بالأنابيب.

في تلك اللحظة، انكسرت صلابة آياتو؛ اغرورقت عيناه بالدموع، وانزلق جسده على الجدار

الحجري ليسقط جثواً على الرخام. أخذ يناظرها بأسى ممزق ويهمس بصوت متهدج:

"طفلي الصغيرة... انظري! ملاكك الأسود يقف هنا خلف الزجاج... هيا، لا تدعيه ينتظر

أكثر من ذلك، فقد أضناه الشوق لضحكاتك البريئة ونظراتك الخجولة... هيا افتحي عينيك يا

حبيبتي..."

دمعت عينا هوارد وهو يرقب لوعة آياتو الحقيقية. وفجأة، ترنحت أليسيا بين يدي والتر وسقطت مغشياً عليها من شدة الإرهاق والأسى. استدعى الملك خادمة أسرعت بحمل أليسيا إلى غرفتها لترتاح، بينما أمر هوارد بإعداد جناح ملكي فاخر لآياتو ووالتر لقيما فيه. دخل آياتو ووالتر الجناح الفخم. ارتمى آياتو على السرير العريض بكامل ثيابه، يحدق في السقف بعينين تائهتين لا تفكران إلا في أماليا. أما والتر، فجلس على الكرسي المقابل يراقبه بصمت مطبق.

بعد فترة وجيزة، تردد طرق خفيف على الباب. قام والتر وفتحه، ليجد أمه أناستازيا تقف عند العتبة.

تراجع والتر بضع خطوات إلى الخلف، وأنزل رأسه للأرض كي لا تتلاقى أعينهما، مكسور الخاطر. تأملته أناستازيا بنظرات حنونة يملؤها الشوق والحزن، وقالت بصوت دافئ: "والتر... لقد كبرت يا بني، وصرت رجلاً يافعاً يملأ العين."

لم ينطق والتر بحرف، وظل يتفادى نظراتها ويكبح دموعه المتمردة التي أخذت تتجمع في حدقتيه.

أضافت أناستازيا بأسى:

"أعلم أنك تحمل في قلبك لوعي لأنني تركتكم صغاراً... لكنني فعلت ذلك لمصلحتكم ولحمايتكم. لقد حكيت قصتي كاملة لآياتو وهو تفهم موقفي... أترفض محادثتي يا والتر؟ حسناً، دعني أشرح لك وضعي... حين كنت متزوجة بوالدك، تنبأت بالمستقبل و..."

رفع والتر رأسه فجأة، وكانت الدموع تتساقط من عينيه كالشلالات على وجنتيه. قطع حديثها بنظرات يملؤها الحب والاشتياق، ثم ارتدى في حضنها بعناق دافئ وشديد، يدفن وجهه في كتفها ويهمس بصوت متقطع:

"لم أغضب منك يوماً يا أمي... ولا إخوتي فعلوا ذلك قط! كنا نخلق لك الأعذار دائماً في غيابك، ونذكرك بالخير والدعاء في قلوبنا، ونتمنى لك عيشاً كريماً."

شدت أناستازيا عناقها حوله، ومسحت دموعها المنسكبة، ثم أبعدته قليلاً وهي تتفحص ملامحه بابتسامة:

"لقد كبرتم وصرتم أطول مني بكثير... كم هذا مبهج! لطالما تمنيتُ لو أننا عشنا حياة طبيعية بسيطة كأُم وأطفالها، لكن القدر خط لنا دروباً أخرى."

رد والتر وهو يمسح وجهه:

"لا بأس يا أمي، سنعوض كل ما فاتنا من السنين... واحزري ماذا؟ لقد أصبح آياتو اليوم ولي العهد والملك القادم لكايدي!"

اتسعت عينا أناستازيا بذهول وفرحة عارمة:

"هذا لا يصدق! كم هذا رائع...!"

لكن ابتسامتها تلاشت تدريجياً حين التفتت ورأت آياتو مستلقياً على السرير بجمود تام، لا يبدي أي تفاعل مع الخبر.

اقتربت منه أناستازيا بخطوات حنونة، وجلست عند طرف السرير وقالت:

"جميعنا يطوقنا الهم من أجل أماليا يا بني... لكنني أعدك بأنها ستتجاوز هذا الظلام وتعود بيننا سالمة."

رفع آياتو عينيه إليها بنظرة طفل صغير ينشد الأمان، ومسك يديها بقوة متوسلاً:

"أتعدينني بذلك حقاً يا أمي؟"

ابتسمت أناستازيا بابتسامة حزينة:

"أجل، يعدك قلبي بذلك... ولكن أخبرني، بخصوص الملامح المجعدة والجراح على وجهك، من ألحق بك هذا الأذى؟"

ابتسم بحسرة ومرارة:

"إنه ابنك الأكبر... إيرنست. لقد نكل بي وعذبني بأساليب لا يقرها عقل، وكأني ألد أعدائه! حتى العدو في الوغى يرأف بخصمه، ولا يفعل ما فعله ابنك."

سألت أناستازيا باستنكار:

"أين هو الآن؟"

"لا أدري... سحب الملك إمارته وطرده مقيداً خارج القصر، فعاد لخدمة سلفينا على حسب قوله."

تنهدت بأسى حاد:

"كم هذا مؤسف ومؤلم... لقد أفلت مني ذاك الشرير الصغير! كنتُ أظن طوال تلك السنين أن إيرنست هو من يركاكم ويكتفكم بعنايته!"

تدخل والتر قائلاً:

"كلا يا أمي... إيرنست ووالدي لا يعنیهما سوى أطماع الحكم والمملكة والدسائس، وحده

آياتو من كان يحمل همي وهم رايتو ويرعانا."

سألت أناستازيا بنبرة متذكرة:

"آه صحيح... أين رايتو؟"

"تركناه إلى جوار والدنا، ليطلبه ويخبرنا بجديد حالته إن تدهورت."

قالت أناستازيا بجفاف:

"إذاً فقد تدهورت صحة تشارلز أخيراً... سيموت في المدى القريب، فأنا لا أرى وجوده في

طيات المستقبل القريب."

انتفض آياتو من فراشه وجلس بلهفة، وعينه تتوسلان الإجابة:

"أمي! بما أنكِ ترين المستقبل... انظري فيه الآن! هل ترين أماليا في القادم من الأيام؟!"

أغمضت أناستازيا عينيها، وركزت حدسها وتنبؤها لثوانٍ، ثم فتحتها بقلق وذهول:

"مممم... دعني أتبين... الرؤية ضبابية ومكسوة بالغموض... لكنني أرى فتاة أخرى تجلس فوق

عرش الإمبراطورية... ليست أماليا! يا إلهي، أين هي أماليا؟!"

ارتجف آياتو وسألها بصدمة:

"هل يعني هذا أن أماليا لن تكون معنا في المستقبل؟! من تكون تلك الفتاة التي ترينها؟ ألا

تعرفين ملامحها؟!"

"كلا... لكنها تحمل شبيهاً خفيفاً من ملامح أماليا... أيعقل أنها أختها؟"

استنكر آياتو قائلاً:

"هذا غير معقول إطلاقاً! أختها الوحيدة هي ابنة سلفينا البشرية، كيف لها أن تجلس على

عرش باكوغو وهي لا تمت لهذه المملكة بصلة؟!"

"لا أملك تفسيراً لما أراه يا آياتو... ولكن ما يظهر لي ليس أماليا."

صاح آياتو بنبرة يكسوها الخوف:

"لكنك وعدتني للتو بأنها ستفيق وتكون بخير!"

أومأت أناستازيا بثبات وتغيير نبرتها:

"أجل، وما زلتُ عند وعدي لك."

ثم حاولت تلطيف الجو الملبد بالغيوم، فابتسمت وقالت:

"إذا كان آياتو يحب أماليا، ووالتر يهيم بأليسيا... فهل لأخويكما الآخرين حبيبات أيضاً؟"

احمر وجه والتر وتلعثم بحديثه:

"كم هذا محرج يا أمي! من ذا الذي أخبرك بأنني وأليسيا في علاقة؟!"

ضحكت أناستازيا بخفة:

"أيها الشقي الصغير! لا أحتاج لمن يخبرني، فنظراتكما تفضح كل شيء! ولكن على ذكرها، أين

هي أليسيا الآن؟"

أطرق والتر وقال بآلم:

"لقد كاد العقل يطير منها بعد أن سقطت أماليا في الغيبوبة... تذهب كل يوم إلى نافذتها وتروي لها كل ما يجري في القصر كأنها تسمعها. لطالما عاشت أليسيا وحيدة هنا، وكانت أماليا هي صديقتها الوحيدة والمقربة، وفقدانها حطم فؤادها."

تنهدت أناستازيا:

"مسكينة أليسيا... ولكن لم تجبني، هل لإخوتك الآخرين حبيبات؟"

رد والتر:

"رايتو رجلٌ صلب من الصعب أن يفتح قلبه للحب، فهو لا يحيى إلا للحروب والقتال. أما إيرنست، فلا علم لنا بشروره ولا نقرب منه لنسأله عن أمر كهذا."

"فهمت... وماذا عن تشارلز؟ ألم يتزوج امرأة أخرى بعد رحيلي؟"

"كلا إطلاقاً... لم تطأ امرأة أخرى حياته منذ أن غادرت."

قامت أناستازيا من مقعدها واستدارت نحو الباب:

"الآن سأترككما لترتاحا من عناء الطريق... هيا، ناما جيداً."

أوما كلاهما برأسيهما، فخرجت وأغلقت الباب خلفها.

عاد كل منهما إلى سريريه، يحدقان في السقف المظلم. تنهد آياتو تنهيدة حارقة خرجت من أعماق قلبه المكوم، وقال بصوت خفيض:

"ما هذا الكابوس الذي نعيشه بحق الجحيم... أطفئ الضوء يا والتر، ولتصبح على خير."

قام والتر، وقبل أن يطفئ السراج الزيتي، نظر إلى أخيه المستلقي بنظرات مليئة بالأسى والعطف، ثم أطفأ الضوء وخلدا إلى النوم وسط العتمة.

الفصل السادس والعشرون: سبعة أيام

تصلبت العقارب على حافة الزمن، ومسح الدهول وجوه المقيمين في قصر باكوغو العتيد. مر يومان آخران والجميع غارقون في بحر من الصمت الكئيب، يصومون عن الكلام ولا يذوقون لطعام طعماً، وكأن القصر بأكمله ينسل من جدران الشحوب.

وفي صبيحة اليوم الثالث، كانت أليسيا تجر خطواتها المثقلة بالإعياء والرعدة عبر الرواق الطويل المؤدي إلى جناح المشفى الملكي. فتحت الباب الزجاجي بخفة وخطت إلى الداخل، لتجد أماليا ممددة فوق الفراش الناصع دون حراك، وجسدها الشاحب موصول بالأجهزة الساكنة.

كان ذلك طقس أليسيا اليومي؛ تأتي لتقضي ساعات طوالاً إلى جوار أماليا، تنقل لها همس القصر وحكايات الأسوار على روحها الغائبة تسمعها. سحبت كرسيّاً خشبياً وجلست بجوار رأسها، ثم امتدت يدها المرتجفة لتلمس كف أماليا الباردة، وهتفت بنبرة دافئة يغالبها البكاء: "آسفة لأنني تأخرتُ في القدوم إليك اليوم يا حبيبتي... لكن المهم أنني ههنا إلى جوارك.

أخبريني، كيف حالك؟ لم يطرأ أي تحسن على وجهك الباهت... هيا يا فتاتي، استجمعي ما تبقى لك من قوة وانهضي! الجميع يتضورون شوقاً لرؤيتك. اسمعيني جيداً... حتى آياتو، بعد أن ارتقى عرش كايدي وغداً ولياً للعهد، لم يستطع البقاء هناك، ها هو مرابط خلف زجاج

نافذتكِ ينتظر صحتك... لقد أثبت للجميع أنه يحبكِ حباً نادراً وصادقاً، فلا تتركه وحيداً..."

وفجأة، ودون سابق إنذار، انقطع حديث أليسيا بصوت صفير حاد ومستمر؛ كانت شاشة مراقبة النبض ترسم خطأً أفقياً مستقيماً، واختفت الرعشة الخافقة في قلب أماليا. تسمرت أليسيا في موضعها، واتسعت حدقتها برعب قاتل، وتجمدت الدماء في عروقها. انطلقت من حنجرتها صرخة مدوية المدى شقت سكون القصر بأكمله، وهي تلتفت يمنة ويسرة دون دراية:

"أيها الأطباء! أغيثوني!! قلبها... قلبها توقف!"

هرعت الطواقم الطبية كالعاصفة إلى داخل الغرفة المعقمة. وفي لحظات خاطفة، تداعت العائلة المالكة بكاملها، يتذيلهم آياتو ووالتر بوجوه مرتعدة وقلوب تتطاحن خوفاً من أثر الصرخة.

وقف آياتو خلف النافذة البلورية العريضة، وجسده يرتجف بذهول العاجز. اقتربت عينيه الدامعتين من الزجاج ليراقب المشهد الخاطف: الأطباء يتراجعون بخطوات متثاقلة، بأيدي واهية، ويرفعون اللحاف الأبيض الناصع ليواروا به وجه أماليا الملائكي بالكامل. انسل الطبيب الرئيسي من الباب الزجاجي، ونكس رأسه نحو الرخام، وهمس بصوت جاف يقطر مرارة وأسى:

"نحن متأسفون جداً... لقد فارقت الملكة الحياة."

نزل الخبر كالصاعقة السامة التي قطعت شغاف القلوب. سقط السكون المرعب على الجميع... لم يكن أحد يملك القدرة على تصديق أن النهاية حُسمت بهذه القسوة والسرعة. أماليا... تلك الفتاة الرقيقة التي خطفت قلوب الجميع بطفوليّتها ونقائها، وانسجمت مع روح القصر في أمد وجيز، وأحبها آياتو بحجم الكون... تتخلى عن الحياة وتنزلق نحو التراب بهذه السهولة المأساوية!

حتى الشعب والفرسان خارجي الأسوار انصدموا من نعي الخبر؛ إذ لم يمر شهر واحد على عودة ملكتهم المفقودة، وها هي الإمبراطورية تعلن موتها الأبدي! لم تسعفها الأيام لتصدر مرسومًا، ولا لتذوق بهجة العرش الذي ورثته، ولا لتملأ عينيها بنعيم حياة الملوك. ساد القصر هرج ومرج يلفه الحزن الأسود. جهز الخدم وثياب الحداد مراسم الدفن الكبرى. وفي الميدان الخارجي، تقدم التابوت الملكي الفاخر والمخبأ تحت أغطية الأرجوان. تحمله أكتاف رجال العشيرة المقربين: والدها هوارد المنهار، وأبناء عمومتها، وآياتو الذي كان يمشي تحت التابوت وجسده يخفق بالاهتزاز، والدموع تحفر أخاديد حارقة على وجنتيه المدممتين، وسط نحيب مصاصات الدماء وبكاء مصاصي الدماء الذي ملأ أرجاء المملكة.

في الجهة المقابلة من العالم، وفي قلعة سلفينا المظلمة، كانت الأجواء تخالف كل منطق بشري. فور وصول خبر وفاة أماليا إلى مسامع سلفينا، انجلت عن وجهها ملامح البشر، وزغردت فرحاً بانتصار أحقادها. أعدت مأدبة فاخرة وأقامت حفلاً راقصاً، بينما كانت عائلة هوارد تتشج بالسواد وتقيم العزاء.

وقف إدوارد في منتصف القاعة الشاسعة، عيناه تتقدان بشرر الغضب والاحتقار لوالدته. كان إيرنست يقف إلى جوارها حارساً رسمياً، يحمل سيفه بجمود، لكن نظراته الزجاجة المزدرية كانت تشي باستيائه العميق وقرفه مما يجري حوله.

اقترب إدوارد من سلفينا وصاح بوجهها بصوت حاد هز جنبات القاعة:

"أليس لديك قلبٌ بداخل هذا الصدر اللعين تحسین به؟! إنها ابنتك يا امرأة! مهما بلغت أحقادك على والدها وهوارد والبلاط... أل هذه الدرجة المريضة لم تحرك فيك فاجعة موتها ذرة واحدة من حنان الأمومة؟! هل يعني هذا أنني ولونار، إن كرهت والدنا في يوم من الأيام، ستنتقمين منه عبر جثثنا؟! هل ستسعين ويرقص قلبك لموتنا كما تفعلين الآن؟!"

ثم شاح بوجهه عنها وأردف بنبرة تفيض بالقرف:

"أنا لن أكون جزءاً من هذه المهزلة الملوثة! لن أشارك في احتفالاتك الرخيصة... وإن كان

ضميرك الميت لم يستفق بعد كل ما قلته، فافعلي ما يحلو لك في جحيمك هذا!"

رمقها إيرنست بنظرة باردة يلفها الخذلان، بينما ابتسمت سلفينا ابتسامة مسمومة قاسية،

وقالت بشر:

"أنت ولونار قصة أخرى كلياً... لأنكما—"

وقبل أن تكتمل عبثيتها، استدار إدوارد بقسوة وتجاوزها بخطوات حثيثة، تاركاً إياها تخاطب

الفراغ والظلال.

الفصل السابع والعشرون: مملكة الحداد

جثا الوقتُ وتوقف في باحة المقبرة الملكية لباكوغو. ساد صمتٌ جنائزي ثقيل، يقطعه صغير

الريح الجافة التي كانت تعبث بأطراف الرداء الأسود للملك هوارد. وقف أمام الحفرة

المظلمة، يمسك بكلتا يديه المرتجفتين مقبض الرفش الخشبي، وحاول أن يحفر التراب

بركوع متهالك. غير أن يده خائنه؛ سقطت منه الأداة واصطدمت بالرخام بصلصلة حزينة،

وانحسر الكبرياء عن وجهه لتفيض الدموع حرقة وهواناً.

تزاحمت في مخيلته صور أماليا: ابتسامتها الملائكية العذبة التي كانت تشرق كالضياء في ظلمة

بلاطه، نبرة صوتها الرقيقة وهي تلفظ كلمة "أبي" لأول مرة—تلك الكلمة التي حرمه الدهر من

سماعها سنياً طوالاً—ثم دهمته الحقيقة المرة كالنصل المسموم؛ هو السبب! هو من ألقى

بها في آتان الموت حين أجبرها بالبطش والقسوة على الزواج من براين.

تمالك هوارد نفسه بشق الأنفس، وارتد بخطوات واهية نحو آياتو الذي كان يقف كالصنم

الشاحب، وعيناه مسمرتان على التابوت الخشبي المغلق. مد هوارد يديه بالرفش، وقال

بصوت خفيض، مكسور، يتكسر في حلقومه:

"اقبرها أنت... فأنا لا أستحق حتى أن أهيل التراب على طهرها."

تناول آياتو الرفش منه دون إبطاء ولا حديث. تقدم نحو حافة القبر بخطوات ثقيلة كأنها

تحمل ثقل الجبال. رمق التابوت البارد الرابض إلى جواره، وفي لحظة جنون وانفجار عاطفي

عارم، ألقى بالرفش جانباً واندفع كالضاري نحو التابوت. انكب على الأقفال وغرز أظافره ليخلع الغطاء، غير أنه بالصدمة التي اعترت وجوه الحاضرين.

انفتح التابوت... وظهر وجه حبيبته.

كانت أماليا ترقد هناك، شاحبة، كدمية من الشمع الناصع. رفع يديه المرتجفتين، ومسح بنعومة يائسة على خدها المتجمد الذي غاب عنه دفء الحياة. أخذ يدها الصغيرة، الباردة كالجليد، وضمها بين كفيه. في تلك الثواني القاتلة، مرت خاطرات الهوى في ذهنه كالشريط المشتعل: تذكر حين مالت برأسها وقبلته من رقبتة، تذكر جسدها الدافئ حين حماها بجناحيه السوداوين من قسوة البرد والموت، تذكر نبرتها الخجولة وهي تناديه "ملاكي الأسود الحامي"، تذكر الليالي التي ناما فيها تحت سقف غرفة واحدة تشهد على طهر عشقهما، تذكر ضحكاتها الطفولية، ودموعها البلورية... وأخيراً، دهمته الصورة الأخيرة الحارقة: نصل براين الفولاذي وهو يغرز في منتصف قلبها تحت ناظريه، وهو واقف مكبل العجز لا يستطيع افتدائها بروحه.

انحصر الهواء في حنجرتة، وانطلقت منه صرخة مجنونة، ممزقة، زلزلت أركان المقبرة،

وطارت على أثرها الغربان القابعة فوق الأشجار العاتية بعيداً في أفق السماء.

انحنى آياتو بضعف، وطبع قبله خفيفة، ميتة، على خدها البارد، يتذوق طعم الموت على

شفتيه. ثم بخطوات ترتجف، أغلق غطاء التابوت بيده، وإنزله بكثير من الرفق إلى عمق

القبر.

كانت رؤيته متضربة بالكامل خلف غشاوة الدموع المنسكبة. مسك الرفش مجدداً، وشرع يردم التراب فوق التابوت. كانت كل حسفة تراب تسقط على الخشب تصدر صوتاً يُمزق نياط قلبه، كأنها تحفر لحد أمله الخاص. ظل يهيل التراب وهو يشهق بالبكاء، حتى اختفى التابوت بالكامل تحت ثرى الأرض.

وما إن اكتمل القبر، حتى رفع آياتو الرفش بكلا يديه، ورماه بأقصى ما أوتي من قوة وغضب حارق ضد صخرة عتيقة، فانقسم المقبض الخشبي إلى نصفين. وفي لحظة انفصال ناري، انثقت عباءته وانبثق جناحاه الأسودان العظيمان من ظهره، ضرب بهما الريح، وطار بعيداً في عالي السماء، مخلفاً وراءه العائلة المالكة وهي تتهاوى انهياراً وبكاءً على التراب المستجد. لم تمض سوى ساعات حتى انهالت السماء بدموعها؛ شرع المطر يقتحم الأرض بغزارة، واستحالت الأجواء إلى مناخ مرعب يخالطه صوت الزوابع الصاخبة وقصف الرعد الذي يرقص على وقع البرق الفاضح.

داخل الغرفة الملكية لباكوغو، كانت العائلة تنشج بالأسود، والسواد يلف المكان ببرودة قاسية. انقطعت الكهرباء عن القصر، فأناروا الشموع التي كانت ظلالها تتراقص على الجدران كالأشباح.

فجأة، انفتح الباب الثقيل، ودخل آياتو وبرفقتة والتر، وثيابهما مبتلة بقطرات المطر. وقف آياتو في منتصف القاعة، وعيناه تلمعان بشرر الانتقام وجفاف المشاعر، وقال بنبرة جافية كالثلج:

"كلما حاولتُ جاهداً أن أرأب الصدع وأصلح بين المملكتين... زاد الخراب ضراوة. كنا أعداء في السابق، واليوم نصير أكثر شراسة وبغضاء... لم تعد تربطنا بكم أي فرصة للصالح!"

ساد الصمت، فواصل آياتو مسلطاً نظراته الذابحة عليهم:

"سأعود يوماً لأنتقم منكم فرداً فرداً، فالجميع في نظري متورطون وشركاء في سفك دم أُماليا... وخاصة أنت يا هوارد، وأنت يا مارغريت! أما أنت يا أمي... فلا تمنّي النفس بكثير، سنعود غرباء كما كنا في البدء، فلا شيء يجمعنا بعد الآن. والآن أنا مغادر... فهناك عرشٌ محتوم بانتظاري."

استدار آياتو وخرج مع والتر، وامتطيا حصانيهما تحت المطر الهادر. طويا الفيا في طوال الليل، ولم يطا أقدامهما بلاط قصر كايدي إلا مع بواكير الصباح البارد. فور أن وطئت أقدامهما الرواق، اعترضهما رايتو، وكان وجهه شاحباً والإعياء يعلو ملامحه، وقال بنبرة متلعثمة يملؤها الأسف:

"لم أستطع الحضور لشهد الجنازة يا آياتو... لقد تدهورت حالة جلالة الملك بشكل حاد ومفاجئ، واضطرت للمكوث إلى جواره و—"

قاطع آياتو برفع يده، وقال بنبرة خالية من العاطفة:

"لا تبرر لي شيئاً يا رايتو، فلست مجبراً على الحضور... لم تكن تجمعني بأُماليا أي علاقة رسمية معلنة، ولن يجمعنا شيء بعد الآن! لم تتسنّ لي حتى فرصة واحدة لأعترف لها بصريح

العبارة بحبي... ماتت ورحلت دون أن تتأكد من حجم عشق ملاكها الأسود لها! ولكن لا بأس... عدنا غرباء، بل أعداء متأهبين ضد باكوغو.

اقترب رايتو منه وضع يده الصلبة على كتفه:

"تمالك نفسك يا أخي... ستتولى العرش وتقود المملكة قريباً، ويجب أن تكون صلباً كال فولاذ."

رد آياتو بابتسامة قاسية وباردة:

"أتعلم؟ أنا اليوم أقوى من أي وقت مضى... سأذهب الآن لغرفة والدنا لأراه وأطلب منه العفو والسماح، فليغادر هذه الحياة وهو راضٍ عني على الأقل."

تدخل والتر متسائلاً:

"معك حق يا آياتو... ما رأيك أن نستدعي إيرنست كي يودعه أيضاً قبل الفوات؟"

شاح آياتو بوجهه ورد بصرامة:

"لم أفكر في الأمر ولن أفعل... كلا، لا تدعوه إطلاقاً! مجيئه سي جلب الفوضى والمشاكل فقط، دعوا سكرات موته تمضي بسلام."

خطأ آياتو داخل غرفة والده بخطوات هادئة. كان الملك تشارلز ملقى على فراشه العريض، صدره يعلو ويهبط بأنسام خافته، ووجهه يكسوه شحوب الموت. انحنى آياتو أمامه بجسده، ثم جلس على طرف الفراش، وترقب ملامحه الذابلة، وقال بصوت دافئ يغلفه

الشجن:

"أهلاً بك يا جلالة الملك... كيف حالك اليوم؟ لا تبدو بخير إطلاقاً."

حاول تشارلز أن يحرك شفّتيه ليصوغ كلمة، لكن حشجة الموت شلت لسانه. استمر آياتو يتحدث وعيناه تغرقان في الذكريات القديمة:

"لم تشعرني يوماً بأني ابنك الشرعي... ولا رايتو ولا والتر. كنت تحصر اهتمامك وعطفك لإيرنست وحده، وكأنه مخلوق من شيء مميز عنا! حتى وإن كان البكر وولي عهدك، لم يكن يجدر بك أن تفرق بين أبنائك بهذه القسوة... وبسبب غضبك وسلطتك، عشنا عمرنا يتامى الأم وهي على قيد الحياة، حرمتنا من حنانك ومن دفء أماننا..."

تنهد تنهيدة حارقة، وواصل ونبرته تشتد ألماً:

"آه يا أبي! أرايت هذا العرش والمال والجاه والملك الذي أفنيت عمرك تركض خلفه؟ سترحل الآن وتتركه خلفك مجرداً! أرايت كل هذا الوقت الذي خصصته لإيرنست تدريباً وتعليماً؟ لن يبقى منه سوى نقاط سوداء مظلمة في ذكرياتنا... إيرنست الذي فضّلته علينا خذلك وخانك في النهاية! ومن الذي بقي بجوارك الآن؟ من الذي ذاد عن المملكة وحماها من شره؟ ومن الذي سيتوج ملكاً على عرشك بعد لحظات؟ إنه أنا! ذاك الأمير الذي تخلّيت عنه ببساطة ولم تعره يوماً أدنى اهتمام، رغم أنني كنتُ أشدهم قوة، وأكثرهم ذكاءً، وأبرزهم في الوغى! إنها العدالة الإلهية يا ملك..."

انكسرت حدة آياتو، واغرورقت عيناه بالدموع وهو ينظر لوجه والده المحتضر:

"لم آتِ إلى هنا لألومك أو أعاقبك... فلا وقت لديك لتقدم التبريرات أو تثني على ما صنعت، بل أتيتُ كي أذكرك بمن أكون... ولأطلب منك العفو والسماح. على الأقل، قبل أن ترحل إلى الأبد، اترك لي أول وآخر ذكرى جميلة معك... ابتسم لي! ابتسم بتلك الحنية التي طالما تمنيتها وخرزنتها لإيرنست! ولو لمرة واحدة في حياتك... ابتسم لابنك آياتو!"

انفطرت دمعتان حارقتان من عيني الملك تشارلز وتدحرجتا على خديه الشاحبين... لكنه قاوم ورفض أن يبتسم!

ابتسم آياتو ابتسامة جانبية ساخرة، مكسورة، وهز رأسه بأسى:

"كنتُ أتوقع ذلك. لا بأس، لا مشكلة إطلاقاً يا أبي... فقط اعلم أنني لن أفرق بين إخوتي أبداً. حتى إيرنست... حين يقع في مأزق، سيجدني سنداً صلباً له. لن أكون نسخة منك قط؛ سأجهد نفسي لأكون حنوناً وعادلاً مع إخوتي... دعني لا أقول أبنائي، لأنني لا أظن أنني سأخون أماليا حتى بعد مماتها وتغيبها عن دنياي... آه يا أبي! لطالما تمنيتُ تلك الابتسامة، ولكنك ترفض منحها لي حتى وأنت تفارق أنفاسك الأخيرة! كم أنت صلبٌ وقاسٍ!"

هم آياتو بالنهوض والتراجع، غير أن يد تشارلز المرتعشة ارتفعت فجأة وقبضت على معصمه بضعف شديد.

توقف آياتو ونظر إلى وجه والده... وفي تلك اللحظة الأخيرة، انفجرت شفتا تشارلز عن ابتسامة دافئة، حنونة، صادقة، استقرت على ملامحه المجعدة.

انهمرت الدموع من عيني آياتو كالمطر، وابتسم بقلب مجروح، ثم انكب على صدر والده يعانقه بقوة ويقبل جبينه المتردد بالأنفاس، وهمس بدموع منسكبة:

"أخيراً منحتني إياها... لطالما طال انتظارها في صدري!"

وبينما كان آياتو يشد على يده، شعر ببرودة مباغته تتسلل إلى أصابع تشارلز، وارتخت القبضة ببطء. أغمض تشارلز عينيه للأبد، واستقرت تلك الابتسامة الحنونة على شفثيه كأنها وشمٌ من السلام.

انحنى آياتو وقبل يده الميتة، ثم وقف ونادى الخدم ليجهزوا جثمان الملك للدفن. خرج آياتو إلى الرواق، ونادى على رايتو ووالتر وأخبرهما برحيل تشارلز. انهار الأخوان بالبكاء والاحتضان، ولم يكن آياتو أفضل حالاً منهما، إذ كان صدره يغلي بالمرارة واللوعة. تجهزت الجنازة الملكية، وخرج الجثمان محملاً على أكتاف الفرسان نحو المقبرة الإمبراطورية لكايدي، في مواكب جنازية مهيبة احتشدت فيها الجماهير والسياسيون ورجال الدين والجنود المشاة.

وضعوا التابوت الرخامي إلى جوار القبر المحفور. تقدم آياتو بخطوات واهية، وأمسك الرفش، وحفر بضع حسفات في التراب المبتل بفعل المطر الهائل، ثم أنزلوا التابوت إلى القاع.

شرع آياتو يهيل التراب المبلى فوق والده، ومع كل حسفة تنهال، كان جرحه ينزف أكثر. وما

إن التقم القبر الجثمان كاملاً، حتى سقط آياتو على ركبتيه فوق الطين، وأخذ يبعثر التراب

المبتل بكفيه المدماتين، ويصرخ بصوت ممزق، ينسكب بدموعه الحارقة:

"كم أنا ضعيفٌ وهشٌّ! لماذا أخسرهما متتالين هكذا؟! بالأمس واريثُ أماليا الثرى... واليوم

أدفن والدي بيدي! ما الذي اقترفته يداي لأعاقب بكل هذا البطش والقسوة؟! لماذا يحدث

كل هذا معي أنا بالذات!!؟"

انهمر المطر بغزارة يغسل الدموع والطين عن وجهه، بينما تقدم والتر ورايتو وانحنيا ليرفعا

بين أيديهما من على التراب المبتل، واقتاداه بصعوبة إلى داخل القصر.

الفصل الثامن والعشرون: عرش بلا ملك

لم تكن برودة قاعة العرش في إمبراطورية كايدي نابعة من أحجار البركانيود السوداء التي تٌكسى بها الجدران، بل من الفراغ القاتل الذي تركه الرحيل.

وقف آياتو عند أصل الدرج المذهب. كان رداؤه الإمبراطوري الثقيل، الموشى بخيوط الذهب الخالص والفضة العتيقة، يتدلى على كتفيه كأنه درع من الرصاص. لم يرتد التاج بعد؛ كان التاج يرتاض فوق وسادة مخملية حمراء إلى جوار العرش العالي، يلمع تحت ضوء الشموع المصنوعة من دهن الحيتان، يترقب الرأس الذي سيحمله.

تقدم والتر بخطوات هادئة، وضع يده الثقيلة على كتف آياتو، وشعر بارتياف خفيض يسري في جسد أخيه.

"السفراء في القاعة الخارجية... قادة الجيوش، حكام الأقاليم، ورجال الدين النبلاء. جميعهم ينتظرون أن تخرج إليهم بكامل هيبتك. التردد اليوم ليس مجرد ضعف... إنه دعوة مفتوحة للتمرد."

لم يلتفت آياتو. كانت نظراته مثبتة على المقعد الخالي، وزوج من قفازاته السوداء الجلدية يضغط بقوة على قبضة سيفه حتى أبيضت مفاصاليه. قال بنبرة خفيضة، جافة كالرماد:

"ليست الهيبة ما ينتظرونه يا والتر... هم ينتظرون أن يروا هل ينبض في صدري قلب ملك، أم جثة محنطة ترتدي القرمز."

انفتح الباب الجانبي العريض بصير ثقيل، ودخل رايتو. كان يحمل في يده ملفاً من الجلد المختوم بشمع أحمر تحميه غرز من الفضة. كان وجهه مشدوداً، وعيناه النافذتان تتألقان بحذر حاد.

"حسنتُ الأمر مع الحرس الإمبراطوري"، قال رايتو وهو يلقي بالملف على الطاولة الرخامية القريبة، ليرتطم بها بصوت جاف. "أقسم الفرسان الخمسة عشر ولاءهم لك شخصياً، لا للعرش. لكن الأخبار القادمة من الجنوب لا تسر."

عقد آياتو حواكبه أخيراً، ملتفتاً بنصف وجهه لنصف ضوء الشمعة:
"باكوغو؟"

"أشد من ذلك"، رد رايتو ويده تسند ثقل جسده على الطاولة. "هوارد قبع في قلعته كالميت. يقول تجار الحدود إن أعلام الحداد السوداء ما زالت ترفرف فوق أسوار باكوغو. لا يتحرك، لا يصدر أوامر، وحتى قرارات الضرائب معطلة. هوارد ينكسر من الداخل... لكن المصيبة ليست في الملوك المكسورين، بل في الشياطين التي تقف على كسورهم."

اقترب والتر خطوة، تتساءل عيناه: "لاود؟"
أوما رايتو بقسوة:

"القلعة الشاحبة في مملكة لاود أضاءت مشاعلها بالكامل ليلة أمس. سلفينا لا تضيع الوقت. عيوننا هناك أفادت بأن طيور الزاجل لا تتوقف عن الطيران بين مقرها وبين الحصون الشمالية... ومعها إيرنست."

ارتسمت على شفتي آياتو ابتسامة قاسية، خالية من أي دفء. مسح بطرف إبهامه على
جوهرة السيف المدمجة في مقبضه:

"إيرنست... الأخ البكر الذي يقتات على الفتات."

بعيداً في الأعماق الشمالية المظلمة، داخل قلعة لاود حيث تحاك المؤامرات في الظلال
الميتة، كان صرير أقلام الريش على الورق السميكة هو الصوت الوحيد الذي يشق صمت
القاعة الحجرية.

كانت سلفينا تجلس على كراسيها المخملية العالي، ترتدي فستاناً من الحرير الفحامي الموشى
بالدانتيل الأسود. شعرها الفضي كان المظهر الوحيد للضوء في القاعة، وعيناها الرماديتان
الباردتان تتأملان الخارطة المفروشة أمامها على الطاولة العريضة. كانت تزن خنجراً ذهبياً بين
أصابعها النحيلة، تديره بمهارة أفعى تنهياً للغرس.

إلى جوارها، كان إيرنست يقف عند النافذة القوسية العالية، يرقب المطر الغزير وهو يضرب
الزجاج الملون. كان يرتدي ثياباً قتالية سوداء خالية من أي شارات ملكية، ويده تقبض
بغضب على حافة النافذة الحجرية.

"توقف عن التحديق في الفراغ يا إيرنست،" قالت سلفينا بصوتها المخملي السام، دون أن
ترفع عينيها عن الخارطة. "المطر لن يسترد لك عرش كايدي، ولا البكاء على أطلال والدك
الراحل سيجعل آياتو ينحني لك."

استدار إيرنست بنظرة مشتعلة بالحق، وصوته يخرج كحشرة مكتومة:

"ذاك الصعلوك يجلس الآن على الكرسي الذي دُرِّبْتُ أكثر من ثلاثين عاماً لأجلس عليه!

تشارلز مات وهو يظن أنه أورث المملكة لأقواهم... ولكنني العرق البكر! العرش لي، وسيف

كايدي الإمبراطوري يجب أن يقطع رقبة آياتو!"

أنزلت سلفينا الخنجر، ليغرز رأس النصل المدبب في منتصف الخارطة—تحديداً فوق

عاصمة باكوغو.

ابتسمت ابتسامة باردة أظهرت ناصعة أسنانها:

"عقلك الصغير يتطلع فقط إلى كايدي يا إيرنست... وهذا هو الفرق بين الملك والطاغية.

آياتو انشغل بحزنه المريض على تلك الفتاة الميتة، ووالتر ورايتو منشغلان بتأمين القصر. أما

هوارد في باكوغو... فهو كالثور الجريح الذي ينتظر ضربة الرحمة."

اقترب إيرنست من الطاولة، وضغط بكفيه على الرخام البارد:

"ماذا تدبرين؟"

انسابت سلفينا نحو الشباك، وشعرها ينثال حول كتفيها كشلال من الفضة المسمومة:

"نحن لن نهاجم كايدي الآن... بل سنترك آياتو يغرق في وهن حزنه. سنستغل فوضى باكوغو

وانهيار هوارد. سنفتت مملكته من الداخل، نسيطر على مناجم السحر المظلم في حدودهم،

وحين نبتلع باكوغو بالكامل، سنزحف بجحافل لاود وباكوغو معاً نحو كايدي... حينها، لن

تجد أخاك آياتو يقاتل على العرش، بل ستجده جثة هامدة فوق قبر حبيبته."

توسعت عينا إيرنست ببريق مظلم، وانفرجت شفتاه عن ابتسامة متشفية:

"هل تظنين أنه سيتركنا نتحرك بحرية؟"

التفتت إليه سلفينا، وعيناها تلمعان بسحر عتيق:

"آياتو يملك قوة، نعم... ولكنه يملك قلباً مكسوراً. والقلب المكسور هو أسهل ثغرة يُنفذ

منها النصل. اترك لي أمر إغواؤه بالظلام... وأنت أعد لي جندك. العروش لا تُمنح يا

إيرنست... العروش تُنتزع من بين الجماجم."

عودة إلى قصر كايدي.

غادرت الحشود قاعة العرش بعد مراسم البيعة المقتضبة. استقرت العتمة في الأروقة

الطويلة، ولم يبقَ سوى صوت خطوات آياتو الوحيدة وهو يسير بخطى ثقيلة نحو جناحه

الخاص.

أغلق الباب الثقيل خلفه، ووقع الصمت القاتل مجدداً.

خلع عباءته الإمبراطورية ورمّاها على الأرض دون اهتمام. تقدم نحو المرأة الطولية المغطاة

بوشاح أسود. مد يده المرتجفة، وجذب الوشاح ليحديق في انعكاسه.

كان وجهه شاحباً، الهالات السوداء تحيط بعينه اللتين غاب عنهما البريق. رفع يده إلى

صدره، وضغط عليه بشدة كأنه يحاول إيقاف ألم يمزق أحشاءه.

تذكر نبرة صوت أماليا وهي تناديه، تذكر لمسة يدها الباردة قبل أن تُغطي بالتراب، وتذكر

صوت سقطات الحصى فوق تابوتها الخشبي.

جثا آياتو على ركبتيه فوق السجاد الفاخر، وانطلق من أعرق نقطة في صدره أنين مكتوم، تحول إلى صرخة خافتة، مدمية، تحطم كبرياء الملك. ضرب الأرض بقبضته الحافية حتى انقشعت الجلد عن مفاصله واختلط دمه بالألياف.

رفع كفه المدماة أمام عينيه الشاحبتين، وجال بنظره نحو التاج الذهبي الرابض ببرود فوق الوسادة المخملية. انفرجت شفتاه عن ضحكة مكسورة، خائبة، امتزجت بدمعة حارقة انهمرت لتغسل آثام العرش على خديه.

"هذا هو إذًا..." همس بصوت يرتجف، متكسر بالنعيب. "هذا هو العرش الذي بعثُ لأجله طهر عينيك يا أماليا؟ هذا هو الذهب الزائف الذي أوهمتُ نفسي بأني أريده، وسحقتُ في سبيله نبل حي لك واستغللتُ وجودك كجسرٍ يوصلني لقمة هذا الكرسي اللعين؟!"

زحف على ركبتيه نحو التاج، لا كملكٍ يرتديه، بل كخاطيءٍ يرجو المغفرة من جمادٍ لا يعقل.

قبض على الفلز البارد بكتا يديه، وضغطه ضد صدره بقوة، كأنه يريد أن يغرز نتوءاته الحادة في قلبه ليعاقب نفسه على كل لحظة حذر فيها عاطفته واستخدم فيها رقتها ليثبت أقدامه في صراع العروش.

تنفس بصعوبة، وصدره يعلو ويهبط بأنسام خائفة، ملوثة بالندم:

"تباً للعرش... وتباً لكايدي وما فيها! ما نفع الملك إن كنتُ أجلس فيه وحيداً؟ ما قيمة التاج وأنا لا أجد عينيك لأرى فيهما انكسار نوري؟ كنتُ أحسب أن لذة النصر ستنسيني ذنب

استغلالك، ولكنها مرارة تقتله في حلقومي... العرش بلا وجودك ليس سوى قبرٍ مذهب، وأنا
لستُ سوى جثة ترتدي التاج!"

انحنى بكامل جسده حتى أطرق رأسه الأرض، ومسح جبهته بدمائه والتراب، يشهق ببكاء
مرير طفولي، يمزق نياط الصدر، حيث انكسرت هيبة الملك وسقطت كبرياؤه، ولم يبقَ منه
سوى عاشقٍ مدمى، أدرك بعد فوات الأوان أن الملكة التي خسرها كانت هي المملكة
الحقيقية.

"لا..." همس بصوت ممزق، وعيناه المحمرتان تتألقان بالجنون المظلم. "لن أتركك للتراب...
لن أسمح للموت أن يكسب هذه المعركة!"

قام بخطوات غير متزنة، وانحنى نحو رفوف الكتب العتيقة في أقصى حجرة المكتبة الخاصة
بالمملك. مسح بيده الملطخة بالدم فوق ظلف خشب الصنوبر القديم، حتى وقعت أصابعه
على نتوء مخفي.

انفتح جدار حجري بصيرير خفيض، يبعث منه هواء بارد برائحة العفن والعظام القديمة...
السرداب المحظور لكايدي.

نزل آياتو الدرج الرخامي بخطى هائلة، والدم يقطر من يده على الدرجات المظلمة، غير أنه
بالتاج ولا بالعرش ولا بالمملكة التي تنتظر أوامره، بل بذرة أمل مسموم بدأت تتشكل في عقله
المظلم.

الفصل التاسع والعشرون: أطراف الماوية

تسرب الهباء والبرودة العفنة من جوف السرداب المحظور، حيث تقاطرت قطرات الماء على الأحجار البركانية السوداء بنقراتٍ منتظمة تشبه دقات ساعةٍ تحتضر.

كان آياتو يهبط درجات السلم الرخامي المتهدم، يدفع الظلمة الشديدة بمشعلٍ نحاسي خافت يتراقص لهبه الإرجواني، ينعكس نوره الضعيف على المفاصل المدمتين ليديه الشاحبتين. وصل إلى القاع، لتنفث أمامه حجرة دائرية طاعنة في القدم، تغطي جدرانها رفوف خشبية متآكلة تنوء بحمل المخطوطات والكتب المجلدة بجلود الكائنات العتيقة. تقدم بخطى بطيئة، تنبعث من بين أصابعه رائحة الحبر الجاف والأوراق الصفراء المفعمة بالشر. مسح بكفه المرتجفة الغبار عن إحدى المخطوطات الضخمة، ليفك قفلها الفضي العتيق بصيرير حاد. أخذ ينقل عينيه بين السطور المكتوبة بلغة السحر الأسود المحرم؛ كانت الكلمات تتضور جوعاً، تتحدث عن الحدود الهشة بين الحياة والعدم، وعن طقوس سحب الأرواح من وراء ظلال الموت.

تسمرت حدقاته عند فقرةٍ مكسوة بطلاسم مدمجة بدماء جافة: "البعث ليس محالاً لمن يملك مفتاح السحر العتيق... ولكن الروح التي عبرت البوابة لا تستعاد بالصلوات، بل بطاقةٍ ملكية توازن ثقل القبر."

اقشعر جسده، وارتسمت على شفثيه ابتسامة ملوثة بالجنون. أغلق المخطوطة بدفعة قوية أطارت هالة من الرماد، وضغطه ضد صدره كأنه وجد دواءً لروحه الميتة.

في صبيحة اليوم التالي، كانت القاعة الملكية الشاسعة تعج بأصوات القادة وصليل الدروع الفضية.

كان آياتو يجلس على العرش العالي، يرتدي رداءه القرمزي الثقيل وتتوج رأسه الهالة الذهبية، لكنه كان أشبه بتمثالٍ رخامي خاوٍ. عيناه الغائرتان تحدقان في نقطة وهمية على السجاد، تنفذان عبر أجساد الجالسين دون أن تراهن.

تقدم رايتو يمسه بلفة من الجلد المختوم، وضرب بيده على الطاولة الخشبية بحزم: "قوات الحدود عند حدود باكوغو تنتظر أوامرك يا آياتو! التحركات المريبة من جانب سلفينا وإيرنست لا تحتل التأجيل، ونحتاج إلى مرسوم ملكي فوراً لنشر الفرسان!" إلى جواره، كان والتر يراقب وجه أخيه الشاحب بنظرات ملؤها الشك والقلق، ثم قال بصوت خفيض، يميل بنصف جسده نحو العرش:

"آياتو... هل تسجل معنا كلمة واحدة؟ القادة يتحدثون إليك منذ ساعة، وأنت لم ترمش عينك حتى."

لم يلتفت آياتو. خرج صوته جافاً، باهتاً، خالياً من أي نبرة حياة، كأن حباله الصوتية صُنعت من الرماد:

"افعلوا ما ترونه مناسباً... افصلوا القوات أو انسحبوا، الأوامر لكم."

تبادل والتر ورايتو نظرات مشدوهة من هذا الذهول القاتل. أشار رايتو بيده بقلّة صبر،
فانحنى القادة مغادرين القاعة بوجوم، بينما بقي الملك قابضاً على سيفه بجسدٍ خاوٍ بلا روح،
ينتظر بفارغ الصبر انسحاب الضوء وحلول العتمة.

تراجع والتر خطوتين إلى الوراء، هامساً بنبرة مشبعة بالخوف والأسى وهو يرقب أخاه:
"العرش لم يرفعه يا رايتو... بل دفنه حياً. إنه لا يحكم كأيدي، إنه ينسحب من الحياة كلياً ولا
يتبقى منه سوى جثة ترتدي التاج."

قبض رايتو على فكّه بقسوة، وجفل كفه فوق نصل سيفه وهو يرد بنبرة حادة كالشفرة:
"أتعس ما في الموت يا والتر، أنه لا يأخذ الراحلين وحدهم... بل يترك الأحياء أشباحاً تنتظر
نوبة الذبح التالية."

عندما طبق الليل سدوله وأغلق آياتو باب غرفته الإمبراطورية على نفسه، خلع ثيابه الملكية
فوراً، وارتدى رداءً أسود داكناً يستر ملامحه وهويته. تسلل عبر الممرات السفلية للقصر
كالظل المنسل، متجاوزاً الحراس بحذر حتى غادر أسوار القصر نحو أطراف الغابة.
كان كوخ الساحر الأكبر يفوح برائحة النحاس المذاب والأعشاب المسمومة. انفتح الباب
الخشبي بصيرٍ حاد، وظهر العجوز من بين الضباب الأخضر، بعينين بيضاوين خاويتين من
الحياة.

أزاح آياتو غطاء عباءته عن وجهه الشاحب، وعيناه المظلمتان تلمعان بشرٍ حارق، وقال
بنبرة جافة، قاطعة:

"أتيتك بما أقرأه في مخطوطات السحر الأسود... هل يمكن إعادة الروح والحياة لجثة بعد دفنها؟"

حدق الساحر فيه مطولاً، ثم انفرجت شفاته المشققتان عن ابتسامة ساخرة خبيثة:

"مممكن يا ملك كايدي... لكنه سحرٌ محظور يلتهم من يقترب منه. إنه خطرٌ عظيم عليك تحديداً."

انقبضت أصابع آياتو على مقبض سيفه، ونبس بحدة وعروق رقبتة تنبض:

"لماذا سيكون خطراً عليّ؟ تحدث ودع عنك الألغاز!"

خطا الساحر نحوه، وانبعث من أنفاسه عبق المقابر العتيق:

"لأن الأرواح الميتة تحتاج لطاقة حياة ملكية عاتية ونقية لتستعيد نبضها... وإن أردت أن

تعود أماليا إلى هذا العالم، فعليك بالتخلي عن قوة جناحيك الأسودين للأبد! سأمتص نورهما

وسحرهما حتى يتحولا إلى رماد... ستفقد قوتك العظمى وسلاحك الأعنى، وتصبح جسداً

ضعيفاً، لن تتمكن من الطيران بعدها وستملك قوة واحدة فقط، بينما طاقتك هي التي

ستنفخ الحياة في جسدها البارد."

كان التضحية بالجناحين يعني تجريده من رمز حمايته وهويته الإمبراطورية. لكن آياتو لم

يستغرق في التردد سوى غمضة عين، وقال بصوت حازم لم يرتجف:

"خذ جناحي... خذ نوري وسحري وقوتي كلها! لا نفع لي بأجنحة لا أستطيع أن أضمها بها

وهي حية."

اتسعت حدقتا الساحر بدهشة خاطفة، ثم أشار بعصاه نحو الظلام وقال بنبرة دافئة
كالموت:

"حُسم الأمر إذاً... اذهب حالا تحت ستار الليل، انبش قبرها، وأحضر لي جثتها إلى هنا قبل
أن تشرق الشمس، لنبدأ طقوس البعث!"

الفصل الثلاثون: رماد الأجنحة

شقّ آياتو ظلام الليل بجناحيه الأسودين العظيمين، يقطعان المطر العاصف بصوتٍ يشبه خفق الرياح بين الجبال. كانت هذه هي المرة الأخيرة؛ شقّ بها السماء بكبرياء الملاك الأسود وهو يعلم أن الأجواء لن تشهد تحليقه مجدداً. كان جسده مشدوداً كوتر، وعيناه المحمرتان تتألقان برغبة جارفة تجعل الخوف مسألة طفيفة.

هبط فوق أرض مقبرة باكوغو المنسية كشهابٍ مظلم. كان التراب مبتلاً، ورائحة الموت والندى الكثيف تغطي المكان. دون أن يتردد ثانية، انحنى آياتو يغرز أصابعه في التراب الرطب. لم يستعن بمجرفة ولا أداة؛ كانت يداه الحافيتان تنبشان الأرض بقسوة، ودمه يختلط بالثرى حتى ارتطم نصل خنجره بغطاء التابوت الخشبي.

رفع الغطاء بصريٍّ يمزق الصمت.

هناك، تحت ضوء القمر الخافت، كانت أماليا ترقد في كفنها الأبيض، وجهها الشاحب ساكن كنسخة من العاج البارد. جثا آياتو بجانبها، ورفعها بين ذراعيه برفق تام، ضاماً جسدها الهامد إلى صدره. همس في أذنها بنبرة مكسورة تحت قطرات المطر:

"لست للتراب صغيرتي... لم تكتمل قصتنا بعد، ولن أسمح للموت أن يكتب فصلنا الأخير."

لفها برداء عريض بعد أن أعاد ردم القبر، واحتضنها بقوة ثم اندفع بها في أفق الليل نحو كوخ الساحر.

كان الكوخ الحجري يشع بنورٍ أرغواني مريب، والبخار المسموم يتصاعد من شقوق الباب. ألقى آياتو بالباب جانباً، ودخل يحمل أماليا بين يديه ليضعها فوق المذبح الرخامي البارد في المنتصف.

كان الساحر ينتظره، وعيناه البيضاوان تلمعان بشرٍ مظلم. مسح بكفه المجعدة على جبهة أماليا، ثم التفت نحو آياتو وقال بصوت يخرج كحشرة من أحشاء القبور:

* "ضع يديك فوق رأسها يا ملك كايدي... وافتح روحك للسحر المحظور. الطقس لا يرحم، وما إن يبدأ الاحتراق، فلن يمكنك التراجع حتى لو صرخت طالباً الموت."

اقرب آياتو. وضع كفيه المرتجفتين فوق جمجمة أماليا الساكنة، وأغمض عينيه.

بدأ الساحر يتمتم بتعاويد بلغة محرمة، ارتجفت معها جدران الكوخ. وفجأة، اندلعت نيران سوداء من أصل ظهره—تحديداً من منبت الجناحين.

انطلق من حنجرة آياتو صراخٌ مدمى هز أركان الغابة الميتة. كانت النيران المظلمة تلتهم الريش الأسود بشراسة، تجرده من نوره وسحره العتيد ريشةً ريشة. شعر برياح السحر المحظور تمزق لحمه وتفتت عظامه، والدم يتفجر من ظهر رداءه بغزارة، بينما كانت الطاقة الملكية الذهبية والمظلمة تنساب عبر ذراعيه المرتعشتين كجمرٍ ممتد لتصل قلب أماليا البارد.

كان الجناحان يتحولان إلى رماد متطاير في الهواء، وآياتو يجثو على ركبتيه فوق الأرض
الرخامية، يصرخ بوجع يفتت الروح، وعروق رقبتة تتفجر. انحنى بكامل ثقله نحو المذبح،
ودموعه الممزوجة بالدم تسقط على وجه أماليا.
وفجأة... سكن كل شيء.

انطفأت النيران السوداء، وتلاشى الجناحان العظيمان تماماً، ليتبقى منهما ندوبٌ مدماة،
مشوهة، وغائرة على ظهره. سقط آياتو جانباً وهو يتقيأ الدم بغزارة، يتنفس بصعوبة وجسده
يرتجف بلا هوادة بعد أن فقد سر قوته وأغلى ما يملك.
لكن، في تلك اللحظة القاتلة... ارتفع صدر أماليا برهة، وانطلقت منها شهقة أنفاسٍ خفيفة،
دافئة، شقت الصمت.

في القلعة الملكية لإمبراطورية باكوغو...

استيقظت أناستازيا فزعة من نومها، وجسدها يتصبب عرقاً بارداً. تصاعدت من بين يديها
طاقة سحرية مظلمة، وانتابتها رعدة شديدة شلت أطرافها.
ارتجفت حدقتها ووقفت عند النافذة العالية يراودها شؤم مرعب، وهمست بنبرة مذعورة
تخاطب الفراغ:

"السحر الأسود... هناك روحٌ نُبشت من القبر، ونورٌ ملكي قد احترق ليحل مكانه المسخ!"

الفصل الواحد والثلاثون: المعجزة

تنفست الشمس الأولى خيوطاً نحاسية باهتة تسللت عبر أفرع الأشجار، متخللةً زجاج كوخ الساحر المشروخ.

كان آياتو متكئاً بجسده المنهك على الجدار الحجري البارد. خفتت نوبات سعاله الحاد قليلاً، لكن الشحوب كان يكسو وجهه كقناعٍ من الثلج، والثوب الأسود خلف ظهره يلتصق بدمائه المتجلطة فوق الندوب الغائرة التي تركتها النيران المحرمة مكان جناحيه الراحلين. استعاد وعيه كاملاً، لكن شعلة القوة العتيدة التي كانت تهز أركان كايدي قد انطفأت في داخله، ليحل محلها ثقلٌ خفي ورعشة دقيقة في أطرافه. التفت بنظراته الذابلة نحو المذبح الرخامي.

كانت آماليا ترقد هناك، صدرها يعلو ويهبط بأنفاسٍ بطيئة، مضطربة، وجفناها المغمضان يرتجفان تحت تحركات مقلتيها الخفيفة. كانت نصف مستفيقة، غارقة في هالة من الإجهاد الشديد وسكرات السحر الأسود الذي ينبض في عروقها الباردة.

انحنى آياتو نحوها بخطوات متثاقلة، يكسوها العرج والوهن. رفعتها بين ذراعيه برفقٍ يفيض بالخوف والحرص، واحتضن ثقل جسدها المجهد إلى صدره. غطى رأسها بعباءته الفاخرة المتبقية ليحجبها عن أفق الصباح، وخرج بها من الغابة متجهاً نحو القلعة الإمبراطورية.

ما إن توقفت عربة الملك السوداء أمام البوابة العظمى لقصر كايدي، حتى انتشر الخبر كالنار في الحطب.

هرع الفرسان، وضجت الممرات بالصيحات المذهولة. وفي القاعة الملكية الفسيحة، وقف والتر ورايتو مصدومين، يتأملان الشاش الأبيض الذي يحمله آياتو بين يديه. كانت أماليا تتنفس، وجهها الصافي يظهر من تحت العباءة كأنها استيقظت للتو من نومٍ طويل أسطوري. ضج القصر بصرخات الفرح المكتومة، واهتزت أروقة كايدي بـ "معجزة" عودة خطيبة الملك الراحلة من براثن الغيبوبة والموت.

تقدم والتر بخطوات سريعة، وعيناه متسعتان بشرٍ غير مصدق، يمد يده ليتلمس جبين أماليا البارد:

"هذا... هذا غير ممكن! أماليا؟ كيف؟ أين وجدتها يا آياتو؟ كنا نظن أننا دفنا..."

توقف والتر عن الكلام حين رأى عيني آياتو. كانت العينان غائرتين، خاويتين من البريق الإمبراطوري.

تدخل رايتو بصرامة، يضع يده على مقبض سيفه ويراقب شحوب أخيه القاتل:

"آياتو! ما الذي حدث بالضبط؟ الأطباء في باكوغو أقرؤا بموتها، وأنت تختفي ليلة كاملة لتعود بها حية بين يديك؟ تحدث!"

انفجرت شفتا آياتو عن ابتسامة باهتة، جافة. وضع أماليا برفقٍ شديد على السرير الحريري الذي أعده الحراس فوراً، ثم استقام بجسده بصعوبة، يمسك بحافة الطاولة المجاورة ليوازن ثقله المترنج.

خلق كذبة متماسكة بنبرة صلبة رغم انكسارها:

"لم تكن ميتة... بل كانت في غيبوبة عميقة تسبب بها سمٌ عتيق غطى نبضها. أخذتها سراً ليلة أمس إلى أحد الحكماء القدامى في أطراف الغابة... واستطاع استخراج السم من عروقه." لم يكذ ينهي جملته حتى انتابته سعلة حادة مزمجرة، طأطأ معها رأسه وانكمش صدره بحرقة. رفض مساعدة والتر الذي قفز نحوه، وأخرج من جيبه منديلاً أبيض ليمسح شفثيه... ليلطخ المنديل بنقاط جارية من الدم القاني.

تراجع والتر خطوة إلى الخلف مصدوماً:

"آياتو! الدم؟ ما الذي يحل بجسدك؟ وجهك كالमित، وأنت تنزف من الداخل!" احتمى آياتو ببروده القاسي، يطوي المنديل الملطخ ويخفيه في قبضته المرتجفة: "إنه مجرد إرهاق... لم أذق طعم النوم منذ أيام، ولم آكل شيئاً. الطريق إلى الغابة كان شاقاً." "لماذا تستعمل العربة وليس جناحيك للتنقل؟ ماذا يحدث معك؟"

"لا شيء يذكر يا أخي، جسدي يحتاج للراحة فقط. اعتنوا بأماليا... دعوها ترتاح في جناحي الخاص."

وصلت الأخبار سريعاً إلى مقاطعات الحدود، لتصل إلى مسامع أليسيا. لم تنتظر ثانية واحدة؛ ركبت هودجها وسارعت بالوصول إلى قصر كايدي والدماء تحتبس في عروقها من اللهفة والذهول.

اندفعت أليسيا عبر أبواب الجناح الملكي، ودموعها تتساقط فوق فستانها الأرجواني الفاخر فور رؤيتها لأماليا وهي ترقد بهدوء على السرير العريض، وجنبيها يجلس آياتو يربت على يدها. جثت أليسيا على ركبتها بجانب السرير، وضمت كف أماليا الباردة إلى خدها، تشتعل بالبكاء والنحيب:

"أماليا... يا إلهي، أماليا حية! كنت أعلم أن السماء لن تحرمنا منك... كنت أعلم!"

التفتت أليسيا بنظراتها المليئة بالحب والامتنان نحو والتر الذي كان يقف خلفها، ثم إلى رايتو المتكى على مقعده البعيد في العتمة.

قالت بصوت قاطع يملؤه الإصرار:

"لن أعود إلى باكوغو بعد اليوم. سأبقى هنا في كايدي... سأعيش في هذا القصر لأعتني بأماليا بنفسني حتى تستعيد كامل عافيتها، ولأكون بجانبك يا والتر. لن أترك أختي وحببيتي تواجه هذا الشحوب وحدها."

نظر والتر إليها بمسحة من الحنان والمحبة، ثم نقل نظرتة نحو آياتو الذي كان يفتح عينيه بصعوبة، يتنفس بصعوبة ويصارع آلام نيران الجناحين المحترقين والدم الذي يملأ حلقومه.

بعد تلك اللحظة القاتلة من الصمت المجهد، تحركت يد أماليا فوق الشاش الأبيض حركة خفيفة، وانسابت منها زفرة دافئة شقت شحوب الغرفة. فتحت جفניה ببطء شديد، لتظهر عيناها العميقتان مغشوتين بضبابٍ ذابل وذهولٍ واهن.

جالت بنظرها الثقيل بين الوجوه المذهولة، حتى استقرت حدقتها على وجه آياتو الشاحب القابع في العتمة. انفرجت شفتها عن صوتٍ خفيض، مبحوح كأنه صداء نداءٍ قادم من بعيد:

"آياتو...؟ أين... أين أنا؟ ماذا حدث لي...؟"

اهتز جسد آياتو بالكامل فور سماع نبرة صوتها. تناسى آلام النيران التي تكوي ظهره وسُعال الدم الذي يملأ حلقومه، وقفز من مكانه بخطى تعثرت بالوهن ليتكوم على ركبتيه بجانب سريرها. قبض على كفها الباردة بكلتا يديه المرتجفتين، وضغطها ضد جبهته ودموعه الحارة تتساقط فوق أناملها، يطير من الفرح رغم ذبوله القاتل:

"أنتِ هنا يا أماليا... أنتِ معي وفي بيتكِ. لا تخافي، لم يعد هناك تراب ولا تابوت... أنتِ بخير."

اقترب والتر ورايتو وأليسيا بوجوه تطفو عليها الدهشة الممتزجة بالارتياح، يطمئنونها بنبرات خافتة وودودة كي لا يثقلوا على وهنها. تبادل والتر نظرة سريعة مع رايتو، ثم انحنى ونغز كتف أليسيا برفق، موحياً للجميع بالانسحاب.

"دعوهما يرتاحا الآن"، همس والتر وهو يمسك يد أليسيا ليقودها للخارج. "أماليا تحتاج إلى الهدوء، وآياتو كذلك."

انسحب الجميع ببطء وأغلق الباب الثقيل بصرير خفيض، ليستقر الصمت الدافئ بين العاشقين في عتمة الجناح الإمبراطوري.

رفعت أماليا يدها الأخرى ببطء شديد، ولامست بلمستها الباردة النحيلة خد آياتو الشاحب، متتبعة خطوط التعب ودموعه المتساقطة:

"لماذا يبدو وجهك كأنك عبرت الجحيم لتصل إليّ يا ملاكي الأسود؟"

انحنى آياتو يدفن وجهه في تجويف عنقها، يتنفس عبق أنفاسها التي أعادها من أحشاء القبر، وهمس بنبرة رومانسية مكسورة، تفيض بالحب والندم:

"عبرت الجحيم فعلاً... وبعثُ كل مجدٍ ونورٍ أملكه لكي أسمع نبضك مجدداً. لا تهمني

العروش، ولا تهمني قوّتي... أنتِ حياتي الحقيقية يا أماليا، وإن كان ثمن عودتكِ هو اختراق

للجحيم، فسأحرق كل ليلة فقط لأراكِ تتنفسين بجانبِي."

ابتسمت أماليا ابتسامة ذابلة ساحرة، وأسندت رأسها الضعيف على صدره، غير مدركة لعظم

التضحية التي دُفعت، بينما كان آياتو يضمها بكسرة ذراعيه، يتألم بصلابة عاشق فضّل الفناء

على الفقد.

الفصل الثاني والثلاثون: كما كنتِ

لم تكن شمس كايدي تشرق إلا لتبدد هواءً أثقله الشك. كان الضوء يسقط خجولاً عبر الستائر المخملية العريضة التي تحولت إلى ساترٍ دائمٍ يمنع نهار المدينة من الدخول. كانت أماليا تجلس على طرف السرير الوفير، ينساب شعرها الفاحم على كتفيها الشاحبتين كشلالٍ من الليل. لم تعد تملك ذاك الذبول المتيبس الذي حملته يوم وصولها؛ بدأت بشرتها تستعيد بريقاً عاجياً مصقولاً، ونبضات قلبها صارت أوقع وأشد انتظاماً، لكن عينيها كأنما تحفّهما ظلمةٌ جديدة— غائرة، ساحرة، وخالية من البراءة التي عرفها الجميع عنها. انحنت أماليا لترفع كف آياتو المرتجفة. كان يجلس على مقعدٍ قريب، يلتف برداء ثقيل يسدل على ظهره المشوه ندوباً لا تندمل.

"لماذا تأتي الشمس إلى هنا يا آياتو؟" همست أماليا بصوتٍ هادئ، تحفه نبرةٌ خفيفة جعلت فرائص الحراس تقشعر. ابتعدت برأسها قليلاً عن شعاع ضوءٍ ضئيل يتسلل من الثقب الجانبي للستارة، وارتجفت حدقتها بنفورٍ جلي. "الضوء... يلتهم عيني، يلسع حاد كالإبر."

رفع آياتو عينيهِ الذابلتين إليها. كانت الشفاه الملكية شاحبة متشققة، ورائحة الدم الحديدية تخرج مع أنفاسه المجهدة. سعل سعلة خفيفة مكتومة في قبضة رداءه، ومسح طرف شفثيه

بسرعة ليخفي البقعة القانية المألوفة قبل أن تلاحظها أليسيا التي دخلت الحجرة تحمل صينية نحاسية.

"لقد حضرتُ لكِ حساء الأعشاب الدافئ يا أماليا،" قالت أليسيا بابتسامة متكلفة، لكن عينيها كانتا تجولان في أرواح الغرفة بحذر. "يجب أن تستعيدي قوتكِ كاملة أيتها الملكة."

توقفت أليسيا عند حافة السرير وهي ترتب الوسائد. وفجأة، تجمدت أطرافها.

تحت لحاف السرير الأبيض الفاخر، وفي الجهة التي تنام فيها أماليا تحديداً، كانت هناك لطخة دمٍ داكنة، يابسة، تفرعت كأنها عروق شجرة ميتة. لم تكن لطخة جرحٍ عادي، بل بدت وكأنها أريقت هناك في منتصف الليل ثم جُففت ببطء.

رفعت أليسيا عينيها بنظرة مذهولة متسائلة نحو آياتو، لكن الأخير وضع يده على صدره وجذب اللحاف بسرعة، يغطي الأثر ونبرته تعلو بحدة مجهدة:

"اتركي الصينية واخرجي يا أليسيا... أماليا تحتاج للهدوء."

انحنت أليسيا بوجوم، وخرجت بخطوات متسارعة، ينبض قلبها بذعرٍ مبهم، بينما كانت أماليا ترقب خروجها بابتسامة خفيفة، هادئة جداً... وأصابعها النحيلة تفرك حافة الخشب حتى أحدثت فيه حزاً عميقاً دون أن تشعر بأي ألم.

خارج الجناح، عند الشرفة العريضة المطلة على الساحة العسكرية للقصر، كان رايتو يقف متكئاً على السور الحجري، وجانبه والتر يقلب ملفاً من الجلد.

"الخادمة 'إيلينا' لم تظهر منذ البارحة يا والتر،" قال رايتو بصوتٍ خفيض، وعيناه النافذتان تراقبان حركة الفرسان في الأسفل. "قال حراس الجناح الشرقي إنها صعدت لتغيير أغطية الأسرة في الجناح الملكي ليلة أمس... ولم تخرج من القصر، ولم يُعثر لها على أثر في العاصمة."

عقد والتر حاجبيه، والضيق يأكل ملامحه الوسيمة:

"ربما عادت إلى قريتها دون إذن... الفوضى تعم القصر منذ عودة أماليا، والجميع متوتر." "لا يا والتر،" رد رايتو ويده تقبض بغضب على مقبض سيفه الفضي. "سمعتُ حراس الليل يتحدثون عن أصوات غريبة... حشرة مكتومة كأنه زئير حيوان مفترس، ومشية خفيفة ترتطم بالبلاط السفلي في الممرات بعد منتصف الليل. وآياتو... آياتو لم يعد يقدر على حمل سيفه لدقيقة واحدة! ذراعه ترتجف، وكلما اقترب من أماليا تزداد صحته تدهوراً! هل تنطلي عليك كذبة السم والغيبوبة؟"

قبل أن يجيب والتر، ارتفعت في الساحة الخارجية بوق الإنذار الإمبراطوري، وصليل حدوات الخيل يهز البوابة العظمى لكايدي.

انسكبت جحافل فرسان باكوغو أمام أسوار كايدي، تحت قيادة الملك هوارد بنفسه. كان هوارد يرتدي درعه الأسود العتيق، وجهه متغضن بآلام الفقد والحرب، وإلى جواره أمه مارغريت المشدودة الملامح، وأناستازيا زوجته التي كانت تتلفع بعباءة أرجوانية داكنة، وعيناها تبرقان برعبٍ سحري مكتوم.

انفتحت الأبواب العريضة للقاعة الإمبراطورية، ودخل هوارد بخطى جبارة تهز الرخام، يتبعه فرسانه المجهزون بالسيوف.

كان والتر ورايتو يقفان في الصدارة، بينما تقدم آياتو بخطوات واهية، يتكأ بذراعه على مقبض سيفه لكي لا يسقط. كان شحوبه كالجسد المغسول بالثلج، وهالاته السوداء تزيد عينيه قسوة.

"أين ابنتي؟!" أطلق هوارد زئيره في القاعة المذهلة، وصوته يتردد بين الأعمدة الحجرية.

"بلغني أنك نبشت الأكاذيب وزعمت أنها حية! أين أماليا يا آياتو؟ إن كنت تلعب بجثتها لأهدمن كايدي فوق رأسك!"

تقدم آياتو خطوة، وسعل سعلة خفيفة حاول كتمها، ثم قال بنبرة جافة، مشبعة بالكبرياء المكسور:

"أماليا في جناحي الخاص... حية، تتنفس، وتستعيد عافيتها. ولكنها لن ترتكب خطيئة رؤيتك يا هوارد."

صدمت الجملة هوارد، فخطأ نحوه وعيناه تشتعلان بالدم :

"هي ابنتي! افسح لي الطريق لأراها فوراً مصحوباً بمارغريت وأناستازيا، وإلا فالسلاح هو الفتيل بيننا اليوم!"

ارتفع صليل سيوف فرسان باكوغو، وفي المقابل تجرد رايتو وسيفه الفضي واستل فرسان كايدي أسلحتهم فوراً. اشتعلت الحوارات والتهديدات بين العائلتين، والقاعة تغلي كمرجل من نار.

خطت أناستازيا خطوات إلى الأمام، وعيناها تتفحصان آياتو بنظرات ثاقبة. اقشعر جسدها؛ كانت تشم في هواء آياتو رائحة الريش المحترق... رائحة الدم الملعون والتضحية المحظورة. "أنت تنزف روحك يا ولدي..." قالت أناستازيا بصوتٍ هادئ هز القاعة برهبته. "تخفي خلف هذا الشحوب جثماً احتضن الظلمة. ما الذي أحضرته إلى هذا القصر؟ أين أجنحتك السوداء؟ أين هالتك التي كانت تزلزل الأرض؟"

اتسعت عينا والتر ورايتو بدهشة قاطعة حين سمعا ذكر الجناحين، والتفتا نحو آياتو الذي انقبضت ملامحه بقسوة، ويده المرتجفة تضغط على مقبض السيف حتى كادت مفصله تتفجر.

"لن يدخل أحد إلى جناح أماليا!" هدر آياتو بصوتٍ مزق خناق السعال، وهو يثبت قدميه على الأرض بصعوبة. "أنا ملك كايدي، وأماليا تحت حمايتي وحرمتي. إن خطوت خطوة واحدة يا هوارد، فسيكون هذا المرسوم هو إعلان الحرب الشاملة بين ممالكنا!"

ارتفعت نبرة التهديدات والسباق الكلامي، وهوارد يزمجر بالوعيد:

"سأعود بجيش باكوغو كاملاً يا آياتو! سأهد هذا القصر جداراً جداراً لأستعيد ابنتي من بين أيدي جنونك!"

استدار هوارد بغضب عارم ومعه مارغريت وأناستازيا التي ألقت بنظرة أخيرة مرعبة نحو الأعلى... نحو نافذة جناح آياتو المظلمة.

في منتصف الليل...

ساد الصمت القاتل أروقة القصر. وفي حجرة النوم الإمبراطورية، فتح آياتو عينيه بتعبٍ شديد، يتنفس بصعوبة والجرح الممتد على ظهره يكويه بنارٍ لا تهدأ. التفت إلى جانبه في الفراش... كان السرير خالياً.

تأوه آياتو، ونهض ببطء، يجر جسده المجهد بعباءته السوداء. خرج إلى الممر السري الممتد نحو البرج الأعلى للقصر.

هناك، تحت ضوء الميعاد والقمر المكتمل، كانت أماليا تقف عند حافة الشرفة الحجرية العالية. كانت ترتدي ثوباً أبيض خفيفاً يطير مع الرياح الباردة. لم تكن ترتعد من الجليد، بل كانت تقف بثباتٍ، تتطلع نحو النجوم بعينين تتألقان بحمرةٍ خفيفة. "أماليا..." همس آياتو بصوتٍ متعب، يتقدم نحوها بخطى مهدودة. "لماذا غادرتِ الفراش؟ البرد يقطع العظام هنا."

التفتت إليه ببطء. لم تكن في عينيها نبرة دفاء، بل نظرة جوعٍ مظلمة تلاشت في كسر من الثانية حين رأت وجهه المدمى.

"النجوم... قالت أماليا بنبرة أثيرية، وصوتها يتردد كصداء المقابر. "النجوم تخبرني بأشياء كثيرة يا آياتو... تخبرني أن هذا الجسد يحتاج إلى المزيد لكي يكتمل. تخبرني أن الدم الذي ينبض في عروقي ليس ملكي."

اقترب آياتو وضمها بيمينه المرتجفة إلى صدره، يغطي كتفها بعباءته، غير مدرك أن أماليا كانت تنظر إلى عنقه النابض برغبة متوحشة، وأظافرها تنغرس بنعومة مرعبة في ثوبه الأسود.

شعر آياتو بوخزة حادة تخترق قماش ثوبه الأسود وتغوص في جلد صدره. كانت أظافر أماليا تنغرس بنعومة مرعبة، وقوتها المباغثة تتجاوز رقة جسدها الشاحب. انقبضت ملامح آياتو أثراً للألم، وأمسك بمعصمها اللطيفين ليزيل يديها برفق عن صدره. تراجعت أماليا خطوة إلى الخلف، وانسابت على شفتيها ابتسامة هادئة، غامضة، ثم رفعت عينيها تتطلع في وجهه المجهد وسألته بصوت ذابل:

"ماذا يحدث يا آياتو؟ آخر عهد لي بالدنيا كان حين كنت أتشاطر القوة مع براين... كيف

أحضرتني إلى هنا يا ملاكي الأسود الحامي؟ كيف أنقذتني من برودة ذلك الأرعن؟"

ثبت آياتو نظراته العميقة في عينيها، محاولاً إخفاء مرارة السعر وتضحية السحر الحرام التي قدمها لأجلها، وقال بنبرة يملؤها الدفء والصدق:

"أنا ملاكك الحامي يا أماليا... ومن واجبي الأول والأخير أن أحميك وأبقىك في عالمي، لأن حياتي دون وجودك ليست سوى عدم فارغ. لقد أعدتك لأنني... أحبك. أحبك أكثر من روحي ومن كل مجدٍ يحيط بي."

تسمرت أماليا في مكانها، واتسعت عيناها برشفة فرحٍ عارمة؛ كانت هذه المرة الأولى التي يعترف فيها آياتو بحبه لها بصريح العبارة، دون كبرياء أو غموض. طغت الفرحة على شحوبها، ولم تتمالك نفسها من الفورة العاطفية، فقفزت نحو صدره لتلقي بنفسها بين ذراعيه وتحتضنه بكل ما أوتيت من قوة.

"آه...!"

تأوه آياتو بصوتٍ مكتوم، وتقوس ظهره بغتة تحت ثقل عناقها؛ إذ ضغطت يدها مباشرة على ندوب الجناحين المحترقين واللحم الحي المكتوي بالنار المحرمة. تراجعت أماليا فوراً وذعرٌ شديد يملكها، متفحصة ملامحه المتألّمة:

"آياتو! ما بك؟ ماذا حدث لظهرك؟ دعني أراه!"

استدارت لترفع عباءته وتستكشف جرحه، لكنه قبض على يدها بصلافة ومنعها فوراً، مسح العرق البارد عن جبينه ومبتسماً بجهد:

"لا شيء صغيرتي... ليس هناك ما يدعو للقلق. إنه مجرد إرهاقٍ شديد وضغط أوقات الحرب، ويزول بالراحة فقط."

وقف الاثنان تحت ضوء القمر الساطع الذي يغمر الشرفة، فتحرك آياتو خطوة نحوها، ممسكاً بوجهها بين كفيه الشاحبتين، وقال بنبرة تخرج من أعماق جوارحه:

"إن كان عليّ أن أتحمّل ألم الأرض والسماء مجتمعين لكسب لحظة واحدة أرى فيها ابتسامتكِ هذه، لفعلتُ دون تردد. أنتِ النور الوحيد الذي يضيء ظلامي العتيق يا أماليا... وبدونكِ، لا قيمة لأي ملكٍ أو عرش."

تأثرت أماليا بكلماته الساحرة، واقتربت منه أكثر حتى تلاقت أنفاسهما، وهمست بدفء ينسكب في قلبه:

"وأنت كل ما أملك في هذا العالم... لم أكن أخشى الزواج من براين، بل كنت أخشى أن أستيقظ في سرير لا أجد فيه عينيك."

لم ينتظر آياتو أكثر؛ جذبها نحوه برفقٍ وقوة في آنٍ واحد، وانحنى ليقبلها بعمق تحت أضواء النجوم والقمر المكتمل، قبلة تختصر كل العذاب والتضحية والشوق.

وبعد أن استكانا لبعضهما والدفء يلف أجسادهما، قادها ببطء عودةً إلى جناح النوم الإمبراطوري، ليستلقيا معاً في الفراش ويناوما في حضن الليل.

الفصل الثالث والثلاثون: حافة الماوية

في الجناح الإمبراطوري، كان الهواء ثقيلًا، تكتنفه رائحة الموت المستترة وراء أريج المئة وردة ميتة جُمعت في زوايا الغرفة. استيقظ آياتو والوهن يقعه عن الحركة. التفت بجسده المتهالك نحو أماليا الرابضة إلى جانبه؛ كانت نائمةً بهدوءٍ ملائكي، بشرتها الشاحبة صقيلة كالمارمر، ونبضات عنقها متزنة ورخيمة.

ولكن، ما إن مدّ كفه المرتجفة ليلمس كتفها، حتى انتابته رعدةٌ تسريت من أصابعه إلى نخاع عظامه.

كلما اقترب منها، تجددت نيران الجناحين الراحلين في ظهره، واشتعل صدره بسعالٍ حاد مزمجر، كأن القوة المظلمة التي استقرت في عروق أماليا تطرد سحره الإمبراطوري العليل وتقتات على ما تبقى من عافيته. انكمش آياتو على نفسه، ودفع جسده إلى الخلف بسرعة، يسعل بتوسلٍ مكتوم في منديله الأبيض حتى تخضب بقطعٍ داكنة من الدم الأسود المتجلط. استيقظت أماليا ببطء، وفتحت عينيها المغشوتين بيريقٍ أحمر خاطف انطفأ في كسرٍ من الثانية ليحل مكانه الشحوب والوداعة.

"آياتو..." همست بصوتٍ ناعم كاللمس المخملي، ومدت يدها لتمسح جبهته المبتلة بالعرق البارد. "جسدك يزداد حرارةً وبرودةً في آنٍ واحد... لماذا تتألم كلما جلستُ بجانبك؟"

تراجع آياتو بجهدٍ خرافي، وهو يبتلع غصص الدم في حلقومه ويهتز كقصبة في الريح:

"أنا بخير صغيرتي... لا شيء. استريح أنت فقط."

نهضت أماليا من الفراش بثوبها الأبيض الطويل. مشت بخطوات خفيفة لا تُحدث صوتاً فوق البلاط السحلي، متجهةً نحو زاوية الحجرة حيث وُضعت صينية الفطور التي أحضرت ليلة أمس. انحنت ببطء، وفي غفلةٍ من آياتو الذي كان يطوي منديلَه المدمى، أخذت قطعة اللحم النية التي أُعدت للطهي، وأدخلتها في فمها بلذّةٍ مكتومة، دون أن تستخدم سكيناً ولا شوكة، وأسنانها تنغرس فيها بنعومةٍ مرعبة، قبل أن تمسح شفيتها بطرف رداؤها وتعود إلى السرير بكل براءة.

في القاعة الحربية لقصر كايدي، كانت الخارطة الإمبراطورية المفروشة على الطاولة الخشبية العريضة تعج بالعلامات الحمراء والسوداء.

كان رايتو يرتدي درعه الفضي كاملاً، وسيفه العريض يستقر على خصره. وضعت أصابعه القاسية خطوطاً حادة على الحدود الشمالية والغربية لكايدي، وعيناه المحمرتان تلمعان بشارة الحرب.

"التحركات لم تعد مجرد مناورات!" قال رايتو بنبرة جهورية هزت أركان القاعة، وهو ينظر إلى الفرسان والقادة المصطفين. "سيلفينا تحشد جيوشها عند المضائق الشمالية، تنتظر إشارة واحدة لتنقضي على كايدي. ومن الجنوب، هوارد يعيد تجهيز فرسان باكوغو ويقيم

المعسكرات على حدودنا! نحن بين فكي ملقط، والملك... الملك يذوب في جناحه!"

تقدم أحد القادة بكبرياء مجروح:

"أين جلالة الملك آياتو يا حضرة الأمير؟ كيف نخوض حرباً على جبهتين دون أن نسمع مرسومه العسكري؟"

ضرب رايتو قبضته على الطاولة بقوة أطارت المخطوطات:

"أنا من يتولى شؤون الجيش ابتداءً من هذه اللحظة! آياتو مريض، ولن أسمح لكايدي أن تسقط بينما ننتظر معجزة لن تأتي. أعدوا الفرسان، وأغلقوا المعابر الشمالية فوراً!"

بعيداً عن صخب القاعة الحربية، وفي السرداب الطبي المظلم الملحق بالقلعة، كان والتر يغرق بين المئات من الكتب المجلدة والمخطوطات الطبية القديمة.

كانت الشموع تتساقط دموعها الشمعية على الطاولة النحاسية، ووالتر يقلب الصفحات بعيون أرهقها السهر، يحاول فك رموز الأمراض العتيقة والسموم المحرمة.

دخلت أليسيا الحجرة ببطء، تحمل سراجها الصغير، ووضعت يدها الحنون على كتفه

المشدود:

"والتر... لم تذق طعم النوم منذ يومين. هذه الكتب لن تمنحك إجابة إن كان آياتو يرفض حتى أن يلمسه الأطباء."

رفع والتر وجهه، وهالات التعب تحيط بعينه الواسيتين، ثم قال بصوتٍ خفيض مشحون بالخيبة والشك:

"هناك شيء خطأ يا أليسيا... هذا ليس مرضاً. لقد قرأتُ عن كل السموم المعروفة في عالمنا، لا يوجد سمٌ يجعل الملك ينزف دمه الأسود من الداخل بينما تتلاشى قوته السحرية بهذه السرعة! وكلما زادت آماليا تعافياً، كلما اقترب آياتو من الذبول!"

تسمرت أليسيا مكانها، وشحب وجهها:

"ماذا تقصد؟ أعتقد أن... أن آماليا هي السبب؟"

قبض والتر على يدها بقوة، وقال بصوت يرتجف:

"ليتنى أعلم! ولكن أليست تصرفاتها مريبة؟ البارحة، وجدتُ زوج حذاء الحارس آرثر عند عتبة الجناح الملكي ولا أثر له... واللحاف الملطخ بالدم! وآياتو يرفض أن يدعني أفحص ظهره. إنه يخفي سراً سينتهي بموته، وأنا لن أقف مكتوف اليدين وأشاهده يتلاشى أمامي." حلّ الغروب، وألقى السواد بأستاره على كايدي.

في الجناح الإمبراطوري، دخلت أليسيا ببطء وهي تحمل طبقاً من الفاكهة الباردة لتقضي بعض الوقت مع آماليا، كما وعدت والتر بأن تراقبهما عن كثب.

كانت آماليا تجلس أمام المرأة الكبيرة، تمشط شعرها الفاحم ببطء شديد. التفتت نحو أليسيا بابتسامة غامضة، وقالت بنبرة أثيرية:

"أليسيا... تعالي واجلسي بجانبني. لم نتحدث منذ زمن طويل."

اقتربت أليسيا بخطوات مترددة، وجلست على المقعد بجانبها. وفجأة، لاحظت أليسيا أن انعكاس أماليا في المرآة الزجاجية الضخمة كان باهتاً... مشوشاً، كأن الضوء يهرب من جسدها ولا ينعكس كالمعتاد.

انقبض قلب أليسيا بذعر، وأسقطت طبق الفاكهة من يدها ليتناثر على البلاط. "ما بكِ يا أليسيا؟" سألت أماليا وهي تميل برأسها بزاوية غير طبيعية، وعيناها تتسعان بظلمةٍ ساحرة. "هل تخافين مني؟"

"لا... لا شيء"، تلعثمت أليسيا وهي تتراجع ونبضها يدق كالقلب. "استأذنك... يجب أن أرى والتر."

خرجت أليسيا تركض في الممرات، متجهةً نحو مكتب والتر والدموع تترقرق في عينيها من الشؤم المرعب الذي يلف القصر.

وفي الحجرة، مضت أماليا تمشط شعرها ببرود، بينما كان آياتو يستلقي في زاوية السرير، يتنفس بحشجة مدمية، يراقب حبيبته التي افتداها بجناحيه... وهو يعلم في أعماق نقطة في روحه، أن المعجزة التي صنعها بيديه قد أطلقت لعنة مدمرة.

الفصل الرابع والثلاثون: ليلة الخسوف

ساد السكون المريب أرجاء العاصمة كايدي، وارتفع البدر في كبد السماء لأولوة قرمزية تحفها هالة من الضباب الأسود. كان الهواء دافئاً على نحوٍ مباغت، أثقلته رائحة الزنخ ورطوبة الأرض.

في الأطراف الغربية المتاخمة لأسوار القصر الإمبراطوري، كانت ظلال خمسة من فرسان إيرنست النخبة من مصاصي الدماء والتجار الخبراء برصد الحركة تتسلل بين جذوع الأشجار. في مقدمتهم كان إيرنست بنفسه، يلفه رداء مخملي داكن، وعيناه النافذتان تتفحصان أبراج كايدي بحذرٍ أفعواني.

"ابقوا في الظلال"، همس إيرنست بنبرة حادة كالشفرة، وهو يعدل قبضته على خنجره المسموم. "أريد دليلاً يثبت أن ملك كايدي يحظر شيئاً شنيعاً خلف تلك الجدران. إن كان آياتو عاجزاً، فهذه الليلة هي فرصتنا لنسحق عروشه." وفجأة... سكت حفيف الرياح.

توقفت أوراق الشجر عن الحركة، وانقطعت أنفاس الليل. على بعد أمتار قليلة، فوق صخرة بركانية سوداء تعلو الممر، كانت هناك قامة ناصعة البياض تقف منتصبه تحت ضوء القمر. كانت أماليا.

كان ثوبها الأبيض الخفيف يطير مع الهباء، لكنها لم تكن تبدو كالكائن الرقيق الذي عرفه البلاط. كانت رأسها مائلاً بزاوية غير طبيعية، وشعرها الفاحم يتحرك كأنه كائنات حية تتلوى. انفرجت شفرتها العاجية عن ابتسامة عريضة، غير بشرية، اتسعت حتى شقت جانبي وجهها الشاحب، لتظهر أنياباً استطالت وتبرق تحت القرمزية القمرية.

"إيرنست..." انطلقت منها نبرة لم تكن صوتها؛ كانت حشرة متعددة الطبقات، تتداخل فيها أصوات صراخ بعيد وفحيح زواحف عتيقة. "أحضرت لي طعاماً طازجاً... في ليلة اكتمالي؟"

قبل أن يرتد طرف واحد من فرسان إيرنست، انقضت أماليا من الأعلى بسرعة تتجاوز حدود إدراك مصاصي الدماء.

انشق الهواء عن صوت تمزقٍ مروع. أطبقت مخالبتها التي استطالت كالمدافع على عنق الفارس الأول، وجرتة نحو الأرض بضربة واحدة حطمت قفصه الصدري. ارتفع صراخٌ مدمى يمزق صمت الغابة، حيث انغرزت أنيابها المسمومة في شريانه العنقي، تمتص دماءه العتيقة بجوعٍ جنوني، وجسد الفارس يختلج ويرتجف حتى جفّ بين يديها في ثوانٍ معدودة.

"اهجموا!!" صرخ إيرنست وصوته يتهدج برعبٍ لم يعرفه طوال حياته.

استل الجنديان الآخران سيفيهما البركانيين واندفعا نحوها، لكن أماليا التفتت برأسها نحوهم حافية القدمين، وعيناها قد غرقتا بالكامل في سوادٍ مطلق خاوٍ من الحدقات. أطلقت زئيراً

مرعباً هز أركان الغابة ودوى في أسوار القصر، وبحركة واحدة من يدها، قطعت أجسادهم في الهواء كأنهم أوراق جافة، والدم القاني ينسكب رذاذاً يغطي وجهها وثوبها الأبيض. وقف إيرنست متسماً في مكانه، وجسده يتصبب عرقاً بارداً. رأى المرأة التي ماتت ودفنت تحولت أمام عينيه إلى مسخٍ طفيلي يقاتل على الدماء، ويمتص أجساد أقوى فرسانه في طرفة عين. تراجع إيرنست للخلف خطوات مذعورة، وسقط على الأرض الرخامية، قبل أن ينهض ويختفي ليظهر فجأة في جناحه في قلعة لاود، يلهث برعبٍ ساحق وهو يردد في داخله صدى تلك الكارثة.

في القصر، انطلقت أجباس الإنذار العاتية، وهز الزئير المروع أروقة كايدي. ركض رايتو وهو يجرد سيفه الفضي العريض، وإلى جواره والتر يمسك بلفة من السلاسل النحاسية المنقوشة بتعاويز الحبس العتيقة، وراءهما كان آياتو يجر قدميه بذهولٍ قاتل، يرتدي عباءته السوداء ويسعل الدم بغزارة. "إنه هناك في الساحة الداخلية!" صرخ رايتو وهو يرى أشلاء حراس البوابة ملقاة على البلاط. "يا إلهي... ما هذا الكيان؟!"

كانت أماليا تتوسط الساحة الرخامية، تحيط بها جثث الحراس. كانت جبهتها متصلبة، وعروقها السوداء البارزة تنتفخ عبر رقبتها ووجهها الشاحب، وتصدر صريراً مرعباً وهي تتلفت حولها برغبةٍ متوحشة لا تكتفي.

ما إن رأت الفرسان القادمين، حتى قفزت نحو رايتو بسرعة خاطفة. رفع رايتو سيفه ليصد ضربتها، لكن قوة مخالبتها كسرت نصل السيف الفضي إلى نصفين وأطارت رايتو متدحرجاً على الأرض عدة أمتار، والدم ينزف من كتفه.

"رايتو!" صرخ والتر وهو يرمي طوق السلسلة حول ساقها.

التفتت أماليا نحو والتر بنظرة افتراسية، ورفعت يدها لتمزق عنقه، لكن آياتو اندفع بجسده المجهد وجثا بينهما.

"أماليا... توقف!" أطلق آياتو صراخه المدمى، وبصق قطعة كبيرة من الدم الأسود على

قدميها. "أنا آياتو... أنا ملاك! لا تفعل هذا بي!"

توقفت أماليا لكسر من الثانية. جالت عيناها السوداوان المظلمتان في وجه آياتو المدمى، وظهرت في ملامحها رشفة صراع خفية بين الروح المحتبسة والمسوخ الطفيلي الذي يلتهمها. استغل رايتو تلك اللحظة الخاطفة، وقاد هجوماً خاطفاً مع والتر؛ اندفعا بكل قوتها وقاما بلف السلاسل السحرية الثقيلة حول ذراعيها وجسدها. انطلقت شرارات سحرية ذهبية محرمة تكوي جلد أماليا، لتطلق صرخة ألمٍ مزمجرة هزت القصر وأجبرتها على الجثو على ركبتيها.

أحكم والتر ورايتو إغلاق الأقفال السحرية بجهدٍ خرافي، وعضلاتهما تتشقق من شدة التوتر، حتى استقرت أماليا مقيدة بالسلاسل على الأرض الرخامية الملطخة بالدماء، وهي تتنفس بحشجة متوحشة وعيناها تتألقان بحمرة مسمومة.

تجمع البلاط في أطراف الساحة من بعيد، ووقفت أليسيا خلف أحد الأعمدة، تضع يدها على فمها لتكتم صرخات الرعب والدموع تتساقط من عينيها بغزارة فور رؤية صديقتها تحولت إلى هذا المسخ المقيد.

كان الجميع يرتعدون. الخوف شلّ أركان القادة والفرسان؛ لم تعد هذه أماليا خطيبة الملك الرقيقة، بل أصبحت شابة مظلمة ووحشاً يهدد بإبادة كايدي كلياً.

جثا آياتو أمامها على الأرض، ورفع كفيه المرتجفتين ليلمس وجهها، لكن السلاسل السحرية كانت تطلق زفيراً من الشرر كلما اقترب منها، وصحة آياتو تتهاوى بجنون؛ إذ بدأ يسعل الدم بغير توقف، وجسده يهتز كعرشة الموت.

التفت والتر نحو أخيه بنظراتٍ يمتزج فيها الذعر العارم والغضب المجروح، وقال بصوت يرتجف:

"آياتو... باسم السماء، ما الذي أعدته من ذلك القبر؟! هذه ليست أماليا... هذا مسخٌ يقتات على الدماء، وسحرٌ ملعون سيمزقنا جميعاً!"

لم يجب آياتو. انحنى بجبهته المدماة على السلسلة النحاسية الباردة، يشهق ببكاء مرير، متأكداً في أعماق نقطة في روحه المعذبة أن نيران السحر الأسود قد فتحت أبواب الهاوية، وأن الدائرة المأساوية قد بدأت تلتف حول رقابهم جميعاً.

الفصل الخامس والثلاثون: الاعتراف المدمي

استقر الشحوب في الحجرة السرية العميقة الملحقة بالجناح الملكي، حيث تسلت برودة الليل عبر الجدران الحجرية لتشتبك مع عبق الشمع المحترق ورائحة الدم الحديدية المتبقية من الساحة.

كانت السلاسل النحاسية المنقوشة بتعاويز الحبس تتوهج بنور أرجواني خافت في زاوية الغرفة؛ هناك حيث أغلقت الأبواب الحديدية على آماليا المقيدة. بين الحين والآخر، كانت تصدر من خلف الفولاذ حشرجةً مكتومة، وصوت احتكاك أظافرها بالبلاط الحجري كمخالب كائنٍ مفترس يتربص الفرصة للوثوب.

في مركز الحجرة، حول الطاولة الخشبية الثقيلة، يجلس أربعة طوقتهم الصدمة كأطواق الحبل: آياتو، والتر، رايتو، وأليسيا.

كان آياتو يربض في مقعده متهاكاً، يلتف برداء أسود ثقيل يغطي انحناء ظهره المشوه. وجهه مغسولٌ بشحوب المقابر، وعيناه الغائرتان تحيط بهما هالات داكنة، ينزل من طرف شفتيه شريطٌ ضئيل من الدم القاني الذي يواصل السعال جرفه من جوفه بغير توقف. افتتحت أليسيا الصمت بصوتٍ يرتجف، ويدها المضمومتان إلى بعضهما تطرقان خشبة الطاولة برعشةٍ لا تهدأ، والدموع تحفر طريقها على خدها الناعم:

"لم تكن هذه أماليا التي نعرفها... منذ عودتها وهي غريبة! البارحة وجدتُ انعكاسها في المرآة باهتاً كأنه يتلاشى، وكانت تتجنب ضوء الشمس كأن الحوارات الضوئية تكوي جلدها!

واللحاف... اللحاف الأبيض كان ملطخاً بالدم اليابس كل صباح!"

قبض والتر على جبهته بكفيه وضرب مرفقيه على الطاولة، وعيناه تتألقان بغضبٍ مكسور ونبرته تحترق بالأسى:

"والخادمة 'إيلينا' والحارس 'آرثر'... لم يعودا للظهور أبداً. أماليا لم تستعد عافيتها بالراحة كما توهمنا، بل كانت تتغذى على مصاصي الدماء! تصرفاتها، حساسيتها للضوء، خروجها في منتصف الليل لترقب النجوم، وذلك الجوع المرعب في عينيها... كل إشارة كانت صرخة تحذير وتغاضينا عنها لأننا أردنا تصديق 'المعجزة'!"

قام رايتو من مقعده بحركة خاطفة، وجرد نصف سيفه المكسور من غمده، ليحدث صليلاً حاداً هز الحجرة:

"كفى كذبا!" تطلع رايتو في وجه آياتو بنظرات نارية نافذة، وانحنى فوق الطاولة ليصبح على مسافة سنتيمترات من أخيه. "تحدث يا آياتو! انظر إلى حالك... أنت تنزف أحشاءك، وتنهار قطعة قطعة منذ تلك الليلة! أي سم يتسبب بهذا؟ أي غيبوبة تعيد ميتة لتجعلها تحطم دروع مصاصي الدماء وتنهش حراسنا؟ من أين أحضرتها؟ وكيف أنقذتها؟!"

ساد صمتٌ ثقيل، لم يقطعه سوى أنفاس آياتو المتشظية. أغلق آياتو عينيه، وأخذ يتنفس بصعوبة كأن الكلمات حجارٌ تتكسر في حنجرتة. رفع يده المرتجفة، ومسح الدم عن شفثيه بطرف رداثه، قبل أن يرسل زفرة طويلة، مشبعة بالمرارة والندم القاتل.

"لم تكن هناك غيبوبة..." قال بصوتٍ جاف، خفيض، يخرج كحشجة من أحشاء الأرض.
"ولم يكن هناك سمٌ ليُستخرج."

اتسعت عينا أليسيا، وتوقف والتر عن الحركة.

واصل آياتو ونبرته تتكسر بالنحيب المكتوم:

"لقد نبشتُ قبرها بيدي... أخذت جثتها الباردة من ثرى باكوغو، وذهبت بها إلى كوخ الساحر الأكبر في أطراف الغابة الميتة. بعثُ نوري، وبعثُ قوتي... استعنت بالسكر الأسود المحظور لإعادتها إلى الحياة."

وقف رايتو مذهولاً، وتراجع والتر خطوة إلى الخلف، يتأملان أخاهما كأنه غريبٌ عنهما.

"السكر الأسود..." همس والتر بصوتٍ كاد يختفي، والذعر يتسلل إلى عروقه. "استعنت

بالتعاويد المحرمة؟ ولكن ما هو الثمن يا آياتو؟ الأرواح الميتة لا تعود مجاناً!"

انفرجت شفثا آياتو عن ابتسامة مكسورة، خائبة. انحنى إلى الأمام، وبرفقٍ مؤلم، أزاح العباءة السوداء والثوب القرمزي عن كتفيه وظهره.

انقبضت صدور الجميع فور رؤية الهول.

كان ظهره مشوهاً بندوبٍ غائرة، سوداء ومكتوية، كأن سلاسل من النار قد اقتلعت لحمه وعظامه. لم يكن هناك أثر للجناحين الأسودين العظيمين؛ فقط رمادٌ متجلط وجراحٌ تتفجر بالدم الأسود كلما أجهد جسده.

صدمت الصدمة أليسيا فشهقت وغطت فمها بكفيها، بينما تراجع رايتو وسيفه يرتعش في يده:

"جناحاك...؟ أين جناحاك يا آياتو؟!"

"احترقا..." همس آياتو وهو يغطي ظهره بضعف، وعيناه تنهمران بالدموع. "أعطيتُ نورهما وسحرهما للساحر... أحرق جناحيّ الأسودين ليصنع منهما شعلة طاقة تنفخ النبض في قلب أماليا. ضحيّ بقوتي وهويتي حتى أراها تتنفس بجانبي..."

جثا والتر على ركبتيه أمام آياتو، وقبض على كتفيه بذهولٍ وألم عارم:

"يا لك من مجنون... يا لك من عاشقٍ أعمى! لقد أعدت جسدها، لكن الروح التي عادت ليست أماليا التي أحببتها! إنها طفيلية تغتذي على قوتك، ولهذا تتدهور صحتك كلما اقتربت منها! سحرك المحترق الذي ينبض في عروقها يرفض جسدك العليل ويقتلك من الداخل!"

أطرق آياتو رأسه، ولم يزد على السعال المدمى الذي صبغ البلاط تحت قدميه.

تطلع رايتو إلى الأبواب الحديدية التي تزمجر خلفها أماليا المقيدة، ثم التفت نحو والتر وقال بصوتٍ حازم:

"ماذا نفعل الآن؟ إن علمت باكوغو أو لاود بما جرى، فستسقط كأيدي في يوم واحد! الملك مخصي القوة وأماليا وحشٌ مقيد!"

مسح والتر عرق الخوف عن جبينه، وتنفس بعمق وهو يثبت نظراته بين آياتو والأبواب المقفلة:

"علينا معالجة الداء بداءه... الساحر الذي أوجد هذا الكيان هو الوحيد الذي يعلم سر إبطاله أو كبجه."

التفت والتر إلى آياتو وقال بصرامة لا تقبل الجدل:

"سنذهب إلى نفس الساحر يا آياتو. ستقودنا إلى ذلك الكوخ الملعون. يجب أن نعرف دواء أماليا، وكيف نوقف هذا السهم المسموم قبل أن يلتهم جسدك بالكامل ويكسر ما تبقى من هذه المملكة!"

الفصل السادس والثلاثون: حلقة مغلقة

تسللت العاصفة عبر أغصان الغابة الميتة كصوت أربطةٍ تتكسر في ظلامٍ يابس. كان المطر المتساقط يمتزج برائحة العفن المستمر والطين الثقيل، بينما كان الخمسة يسرون تحت ستار العتمة المطلقة: والتر يقود الطريق بمشعلٍ نحاسي تتراقص نيرانه الأرجوانية، وإلى جواره رايتو وسيفه مسلولٌ جزئياً يترقب أي خطوة غادرة، وخلفهما أليسيا وهي تسند آياتو المترنح، يجر قدميه بعباءةٍ ملطخة بالطين، وجسده ينكفي مع كل نوبة سعالٍ مدمية تخترق صدره.

وصلوا إلى الكوخ الحجري المتهالك. كان الدخان الأخضر الكثيف يتصاعد من الشقوق الخشبية كمحيطٍ مسموم.

دفع رايتو الباب بقدمه بصرامة حذرة، ليصدر صريراً حاداً امتد كإبرة في أذن الصمت. في الداخل، كان المشعوذ الأكبر يقف أمام المذبح الرخامي، يقلب بيده المجدعة أحشاء طائرٍ ميت، وعيناه البيضاوان الخاويتان تنظران إلى الفراغ قبل أن تستقرا على الجمع القادم.

"عودةٌ أسرع مما توقعت يا ملك كايدي..." قال الساحر بصوتٍ يحاكي احتكاك الحصى في قاع القبر. "أحضرت معك حراسك ليحفلوا بثمار خطيئتك؟"

تقدم والتر خطوة إلى الأمام، ورائحة النحاس المذاب والأعشاب المسمومة تكتم أنفاسه، ورفع يده ليشير نحو آياتو المتهالك:

"كفى تلاعبا بالكلمات أيها الملعون! الملك ينزف أحشاءه، وأماليا تحولت إلى مسخٍ يمزق
الفرسان ويشرب الدماء! أصلح ما أفسدته بسحرك قبل أن أقطع رأسك هذا بدمٍ بارد!"
انفجرت شفتا الساحر المشققتان عن ضحكة خفيفة، جافة، اهتزت معها أطراف رداءه
الخرق. التفت بنظراته الخاوية نحو والتر ثم رايتو، قبل أن ينظر إلى آياتو المغشية عيناه
بالشحوب.

"أنا لم أفسد شيئاً يا سادة..." قال الساحر بنبرة دافئة كالمقبرة. "أنا فقط نفذتُ عقد التبادل.
طاقة الجناحين الأسودين التي قدمها ملككم لم تكن مجرد قوة سحرية... بل كانت طاقة
ملكية عاتية، مشبعة بالدم والخلود والكبرياء. وعندما صببتُ تلك الطاقة في جسدٍ ميتٍ خاوٍ
من الروح النقية، تحولت تلك القوة الملكية إلى السم الذي يغذي الكيان الضاري داخل
أماليا!"

تسمرت أليسيا في مكانها، وانقبضت يدها على ذراع آياتو:

"ماذا... ماذا تقول؟"

واصل الساحر وهو يفرك رماداً بركانياً بين أصابعه:

"جناحاه اللذان كانا يحميان هذه المملكة، هما اللذان يغذيان الوحش الذي يسكنها اليوم.

كلما اقترب آياتو منها، تتذكر الطاقة العتيدة مصدرها، فتحاول مجادلته واعتصار ما تبقى في

جسدك العليل يا ملك! قوته السابقة هي التي تقتله الآن من الداخل، وهي التي تجعلها

تشتهي الدماء لتكمل تجسدها!"

سقط آياتو على ركبتيه فوق الأرض الطينية للكوخ، وانطلق من أعماق نقطة في صدره أنين مكسور، تحول إلى نحيبٍ مدمى يفتت أركان الروح. ضرب الأرض بقبضته الحافية حتى اختلط دمه بالتراب والرماد.

أنا... أنا من صنع الوحش... "همس آياتو بنبرة تتكسر بالحسرة والجنون. "كنت أحسب أنني أمنحها الحياة... فوهبتها جحيماً يتغذى على دماغي ودماء بني جنسي!"

انفجرت أليسيا بالبكاء بحرقة، وغطت وجهها بكفيها الشاحبتين وهي تجثو بجانب آياتو، بينما وقف رايتو ووالتر في صمتٍ مروع، شلت ألسنتهما بعد أن أدركا ثقل الفاجعة التي حلت بعائلتهم وملكهم.

خطا والتر خطوة أخرى نحو الساحر، وعيناه المحمرتان تشتعلان برغبة يائسة في النجاة:

"لا بد من دواء! لا بد من طريقة لإبطال هذا التعويذ الملعون! تحدث... كيف نعالج أماليا؟ وكيف ننقذ آياتو؟!"

سكن الهواء في الكوخ، وتوقفت قطرات المطر عن النقش على السقف.

نظر الساحر إليهم جميعاً، واستقرت عيناه البضاوان على وجه آياتو الشاحب، ثم نطق بالعلاج الوحيد بصوتٍ جاف، قاطع، نزل كالصاعقة فوق رؤوس الحاضرين:

"روح أماليا لن تحرر من هذا المسخ، والكيان الضاري لن يموت ولن يهدأ... إلا إذا سفكت بيديها دم من أقامها وتقتله بنفسها؛ جلالة الملك."

تراجعت أليسيا خطوتين وهي تصرخ برعب:

"لا! مستحيل!"

ساد الدهول القاتل، وسأل والتر بنبرة متلعثمة، شاحبة كالميت:

"وما... وما هو دواء آياتو؟ كيف نوقف الدم الذي يمزق أحشاءه ونستعيد صحته؟"

التفت الساحر بيروودٍ مرعب، وقال ناطقاً بالحقيقة القاسية:

"ما من دواءٍ لآياتو... سوى موت أماليا."

صُدم الجميع من حجم التضحية المحتومة.

كان القصاص حلقةً مغلقةً من الدم؛ لكي تُشفى أماليا من المسخ الملعون، يجب عليها أن تقتل آياتو بيديها. ولكي يشفى آياتو وينجو من الموت المحقق، يجب أن تُقتل أماليا وتعود للتراب للأبد.

التقت أعين الإخوة في عتمة الكوخ المسموم، وآياتو يجثو بينهما جثّة حية ترتدي كفن الندم، مدركين جميعاً أن الأقدار قد كتبت الفاجعة الأخيرة، وأنه لا مفر من هدر دماء الحب للوصول إلى الخلاص.

الفصل السابع والثلاثون: التضحيات

عادت الظلال لتربض فوق العرش الإمبراطوري في كايدي، لكن البلاط هذه المرة لم يكن يعج بالفرسان أو المستشارين، بل أغلقت الأبواب الفولاذية العاتية لتنزل القاعة العظيمة عن العالم الخارجي. كانت ألسنة الشموع تتراقص بوهن، تسكب أضواءً نحاسية باهتة على الجدران الحجرية شاهدة لليلة لا تشبه غيرها.

في منتصف القاعة، جثا آياتو على ركبتيه فوق الرخام البارد. كانت عباءته السوداء مبللة بطين الغابة الميتة، وشحوب المقابر ينخر ملامحه الوسيمة. يرفع كفاً مرتعشة ليمسح خط الدم الدافئ الذي ما فتئ ينزف من جانب شفثيه، وعيناه المحمرتان تحدقان في الفراغ بنظرة شاردة استقرت فيها الاستكانة والمرارة.

"الخيار واضح..." نطق آياتو بنبرة متكسرة، خفيضة، كأنها زفير إنسانٍ يلفظ أنفاسه الأخيرة. "إن كان موتي هو التعويد الوحيد الذي سيحرر روح أماليا من هذا المسخ الملعون... فلتأخذ دمي. سأدعها تمزق قلبي بيديها إن كان ذلك سيمنحها الحياة."

ساد الصمت لثانية واحدة... ثانية احتُبست فيها الأنفاس، قبل أن تتفجر القاعة ببركانٍ من الغضب الهستيري.

"كفى! كفى جحيماً وتضحياتٍ بلا معنى!"

صرخ رايتو بكل ما أوتي من قوة، وانفجر في حالة هستيرية لم يعهدها أحدٌ منه من قبل. اندفع نحو آياتو ودفعه من كتفيه بضراوةٍ أطارت الملك العليل جانباً ليرتطم بالرخام. تراجعت عيون رايتو يتخللها الدمع والغضب الساطع، وجرد نصف سيفه المكسور ليووجهه نحو الأرض، وعضلات فكه تتشقق من شدة الانفعال:

"إلى متى ستظل أعمى؟! إلى متى ستسير بقدميك إلى المقبرة من أجل بشرية عديمة النفع؟! ضحيت بالعرش لأجلها... ثم قدمت جناحيك الأسودين وشرفك لسحرٍ ملعون في الغابة لأجلها! وجعلت ملكك يبصق الدم في كل زاوية من هذا القصر لأجلها! والآن... الآن تريد أن تهبها روحك ونحن نراقب مسرحية الموت هذه بدمٍ بارد؟ هل سحرتك ابنة باكوغو؟" تقدم والتر بخطواتٍ مضطربة، وجسده كاملاً يرتعش في ثورة غضبٍ عاتية. انحنى وأمسك بياقة رداء آياتو يرفعه ببطشٍ يمتزج بالدموع واليأس:

"اسمعي جيداً يا آياتو! اسمع صوت العقل لمرةٍ واحدة في حياتك التعيسة! لقد أعطيتها كل شيء... أعطيتها عرشك وجناحيك وقوتك، ولم تحصد سوى مسخٍ يقتات على جثث الفرسان! ما الذي دفعك للتفكير بأن روحك هي الثمن المستحق لهذه الخطيئة؟ أين دمنا نحن؟ أين مكانتنا في قلبك؟ تضحي بنفسك وتترك إخوتك ومملكته للخراب من أجل وهم؟ لقد حان دورها هي لتدفع الثمن! حان دورها لتضحي من أجلك لمرا واحدة في حياتها وتعود للتراب الذي ينبغي ألا تغادره أبداً!"

كان آياتو يتنفس بصعوبة، يراقب ثورة أخويه بنظراتٍ مكسورة، وشفتيه المدميتين تفيضان بالصمت، عاجزاً عن الرد أمام حجم الأسي الذي زرعه في قلوبهم.

في هذه اللحظة الممتلئة بالصراخ والغضب المشتعل، تقدمت أليسيا بخطواتٍ بطيئة من ظلام الزاوية. لم تكن تصرخ، بل كان صمتها وثقل دموعها المتساقطة بغير صوت أكثر إيلاماً من صراخ الأخوين. وقفت أمام آياتو وشخصت بعينيها النحاسيتين في وجهه العليل.

"آياتو..." همست أليسيا بصوتٍ مبحوح، واجف، يقطر بالمرارة والمنطق القاسي. "تظن أنك بهذه التضحية تمنحها النجاة؟ تظن أنك إن قدمت قلبك لمخالبتها لتمزقه، وتحرر هي من المسخ... ستعيش بعدها بسلام؟"

جثت أليسيا أمامه، ووضعت كفيها البارين على خديه الشاحبين، وتابعت والدموع تخنق حنجرتها:

"لو تركناها تقتلك... لو سمحنا لها بجهلٍ منها أن تسفك دمك لتتعافى، ثم فتحت عينيها واستعادت وعيها لتدرك أنها قتلت بيديها الرجل الذي أحبها وافتداها بجناحيه وحياته... كيف ستعيش أماليا بعدها؟ ستستيقظ لتجد يديها ملطختين بدمك الزاكي! ستعيش كل ثانية من حياتها القادمة تحت وطأة ذنبٍ يفتت العظام وخزيٍ لا يطاق. لن تعرف السعادة أبداً يا آياتو... بل ستمنى الموت في كل لحظة، وتلعن اليوم الذي عادت فيه إلى هذا العالم على حساب جثتك."

توقف آياتو عن التنفس. كانت كلمات أليسيا كخناجر من الجليد انغرست في أعماق نقطة في وعيه. ارتجفت حدقاته، وتراءى له منظر أماليا وهي تستفيق من كابوس المسخ لتجد جثته بين يديها، وتدرك الحقيقة القاسية.

أنزلت أليسيا رأسها، وقالت بصوتٍ قاطع نزل كحكم الإعدام:

"موتك لن ينقذها يا آياتو... بل سيحكم عليها بجحيمٍ أبدي. الخيار الوحيد الذي يملك ذرة من الرحمة للجميع... هو أن تموت أماليا."

انطبقت أسنان آياتو، وأغلق عينيه بشدة بينما تسلفت دموعه حارقة عبر الدماء الجافة على خديه. سكنت ثورة رايتو ووالتر، وخيم على القاعة صمتٌ جنائزي ثقيل.

أطرق الملك رأسه، وأرسل زفرةً طويلة محملة بالنحيب الخافق، قبل أن يهز رأسه ببطء، معلناً اقتناعه واستسلامه للحقيقة المريرة التي لا مفر منها.

الفصل الثامن والثلاثون: صراخ السماء

لم تمهل الأقدار كايدي كي تضمد جراحها الخفية أو تبكي قتلاها؛ إذ انشق الأفق الشمالي عن غبارٍ داكن يعلو كالسحاب العاصف، معلناً زحف جحافل إمبراطورية لاود. كانت سلفينا قد أعدت هذه الحرب لتكون المقصلة النهائية، مستغلةً حالة الشحوب والانكسار التي نخرت عظام كايدي. انسكبت الأعلام السوداء والرايات الخشنة فوق المضائق والحدود، تحت قيادة إيرنست الذي سار بعينين تشتعلان برغبة عارمة للإطاحة برأس آياتو، واعتلاء عرش كايدي المترهل على أجساد فرسانه.

احتدمت الحرب بضراوة حارقة. تصادمت الدروع الفولاذية وصليت السيوف بصلصال الدماء فوق السهول الممتدة، واختلط رغاء الخيل بصرخات الموتى التي شقت عنان السماء. وعلى الرغم من أن جسد آياتو كان يتهاوى بسرعة مرعبة، ونبضه يئن تحت ثقل السعال المدمى الذي يصبغ المنديل الأسود بقطع العلقم، والوهن ينخر عظام ظهره بعد فقدانه حماية جناحيه الأسودين؛ إلا أنه رفض البقاء خلف جدران القصر. شدّ درعه الفضي الصدى فوق جراحه الناتئة، وجرّ قدميه المجهدتين ليكون في الصدارة، يتكأ على سيفه الحاد وإلى جواره رايتو بأسلحة بطشه، ووالتر الذي تقود عينيه نار الحفاظ على ما تبقى من العائلة. في قلب الملحمة المشتعلة، بين جثث الفرسان المتراكمة والدخان الأسود الذي يعمي الأبصار، التقى آياتو وإيرنست.

كان المطر ينزل كالإبر، يخلط الطين بدماء الصرعى. كان آياتو يترنح، يلهث بصوتٍ محشور
تخرج معه زفرات قانية، وركبتيه تخونانه تحت ثقل ضربات إيرنست المتتالية المتوحشة.
أخذ إيرنست يقهقه بشرٍ مظلم، يضرب بنصله العريض بكلتا يديه، مسبباً شقوقاً عميقة في
درع آياتو الفضي، حتى أجبر ملك كايدي العليل على الجثو على ركبته فوق الثرى المدمى،
ممسكاً بسيفه الغائر في الأرض لكي لا يخزّ على وجهه.

"انتهت أسطورة آياتو كايدي!" هدر إيرنست بصوتٍ مزق صمت المعركة، وهو يرفع سيفه
الفلواذي الثقيل فوق رأسه بكلتا يديه، وعيناه تبرقان ببريق النصر المحتوم، متأهباً لغرز
النصل في منتصف صدر آياتو المجهد.

وفجأة... شقّ الجوّ صليلُ نصلٍ مباغت، ينضح بسحرٍ أرجواني عتيق.

تجمّد إيرنست في مكان هجومه. اتسعت حدقتاه بذهولٍ ساحق حين اخترق سيفٌ بارداً
طويل ظهر درعه الفلواذي، يقطع اللحم والعظم بصرامة لا ترحم، ليخرج نصله النحاسي
الملطخ بالدم الداكن مباشرة من منتصف صدره، متقطراً على الطين تحت قدميه.
سقط السيف الثقيل من كف إيرنست المرتجفة، واستدار بجسده ببطءٍ شديد، وهو يشهق
بحشجة أليمة ينخرها الدهول ورعب الفقد المباغت.

كانت تقف خلفه مباشرة... أناستازيا.

كانت تلتفع بعباءتها الأرجوانية الداكنة التي تتطاير مع رياح الحرب، وتقبض على مقبض
السيف ببراعةٍ قاسية، ووجهها المتغضن يفيض بجمود الصخر، بينما تترقق في عينيها اللتين
تحصيان سنين الهجر والقسوة دموعٌ حبستها العقود.

تسمّر إيرنست وهو ينظر إلى وجهها. كانت الملامح التي لطالما حلم بها في طفولته الضائعة،
اللامح التي بحث عنها في أزقة النسيان وبين طيات الدماء والحروب، تقف أمامه الآن... لا
لتحتضنه، بل لترتوي بسيفها من دمه.

انساب شريط دمٍ حار من فم إيرنست، وانفجرت شفتاه المدميتان عن همسٍ مكسور،
متلعثم، يتشظى بالأسى والمرارة القاتلة:

"أمي...؟ أهذه... أهذه هي اليد التي كنتُ أنام متمنياً أن تمسح عن رأسي غبار الحرب...؟
أهكذا... أهكذا يكون العناق الأول والأخير؟"

تأملها لثوانٍ دهس فيها الزمن كل أطماعه وعروش، ثم ابتسم ابتسامةً ذابلة، ساحقة
بمرارتها، بينما تخطت دمة حارة طريقها وسط غبار وشحوب خده، قبل أن تتراخي أطرافه
بالكامل، وينكفي برأسه على وجهه، ليلقى حتفه تحت قدمي أمه التي وقفت تتطلع إلى جثته
بجفافٍ أشد قسوة من الموت نفسه.

تسمر آياتو في مكانه، وجثا على ركبتيه المدماتين غير مصدقٍ ما شهدته عيناه.

كان شحوب وجهه يزداد عمقاً، لا بسبب الجراح ولا بسبب السعال الذي يخنق جوفه، بل
من هول الفاجعة النفسية التي تمزق أحشاءه. تطلع إلى جثة إيرنست الملقاة على الطين، ثم

رفع عينيه المذعورتين نحو أناستازيا—أمه التي جردت سيفها بدمٍ بارد لتسفك دم ابنها وتقتله أمام عينيه فقط لتنقذ ابنها الآخر.

انسابت الدموع الحارة من عيني آياتو لتشق طريقها وسط الدم الأسود والغبار الجاف على خديه. اختنق صوت حنجرتة بنحيبٍ مكسور، وانهمرت دموعه بغزارة فوق الثرى، يرتجف جسده بالكامل تحت ثقل الذنب والأسى.

"إيرنست..." همس آياتو بنبرةٍ متقطعة يملؤها النحيب والوجع القاتل.

كان يتعصر ألماً على هذه النهاية؛ كان يمكن لهذه القسوة أن تتلاشى، وكان يمكن لعائلتهم أن تكون بأفضل حالٍ لو لم تفرقهم أطماع الملوك ودمار العروش. لم يره كعدوٍ سقط في ساحة المعركة، بل رآه كأخٍ حرم من حنان الأم طوال حياته، ليحصل على عناقه الأول والأخير في صورة نصلٍ يغرس في قلبه.

دفن آياتو وجهه بين كفيه المرتجفتين، يبكي روح إيرنست بحرقه، بينما كانت أمطار الحرب تغسل جثة أخيه ورماد المأساة التي صنعتها أيديهم جميعاً.

ومع سقوط قائد جيش لاود ملطخاً بدمائه، دبّت الرعدة في صفوف جيشه، وانكسرت شوكتهم تحت صدمة المشهد، لتنتهي الحرب بانتصارٍ حزين، مخضب بالدموع والرماد لإمبراطورية كايدي.

لم يمنح آياتو جسده ثانية واحدة للتضمد أو الراحة. بعيونٍ غائرة تشتعل بآخر جمرات الكبرياء والبطش الإمبراطوري، قاد ما تبقى من فرسان كايدي متجهاً كالصاعقة نحو قلعة

سلفينا. وفي ساعاتٍ معدودة، أحبط كافة مخططاتها السياسية وتحالفاتها الخفية، وشنّ هجوماً كاسحاً أهلك حصونها العتيدة، وأضرّم النيران في دككها، فلم يترك في مملكتها حجراً فوق حجر، محولاً عروش أطماعها إلى رمادٍ تذروه الرياح الشمالية.

في القاعة الملكية لإمبراطورية كايدي، بين الأعمدة الحجرية الباردة التي شهدت صعود وسقوط السلالات...

كان الصمت يلف المكان ككفنٍ ثقيل. وقف آياتو أمام الكرسي الإمبراطوري العالي، يتكئ بضعفٍ شديد على مقبض سيفه المكسور، ووجهه المغسول بشحوب الموت يعكس نفاذ كل شعلة حياةٍ في داخله. إلى جواره وقف رايتو بوجومٍ وقبضة مدماة، وأمامهما كان والتر يراقب أخاه بنظراتٍ يمزقها العجز والأسى.

خلع آياتو التاج الإمبراطوري الذهبي الثقيل ببطءٍ شديد، ووضعه على الطاولة الرخامية أمام والتر، يتبعه بالمرسوم الملكي المختوم بدمه الأسود.

"العرش... والمملكة... والسيف..." قال آياتو بصوتٍ جاف، خفيض، يخرج كاحتضارٍ أخير من روحٍ خاوية. "كل شيء لك يا والتر. أتنازل لك رسمياً عن الملك والتاج... فقدت الكثير يوم وضعتَه على رأسي، عجزت عن تحمل لعنته."

نظر والتر إلى التاج ثم إلى وجه أخيه الشاحب، وسالت دموعه رغماً عنه:

"آياتو..."

أشار آياتو بكفه المرتجفة ليصمته، واستدار بخطواتٍ متثاقلة، متعرجة، نحو الظلام الممتد
في عمق القصر، متنازلاً عن الملك والمجد والعالم كلياً، ليعود إلى السرداب المظلم حيث
تنتظره آماليا المقيدة بالسلاسل...

الفصل التاسع وثلاثون: شريعة الدم

تخللت الشموع المشتعلة في القاعة السرية أضواءً نحاسية خافتة، تفيض ببرودةٍ يابسة كبرودة القبور. تسلل عبق الدماء الجافة ورماد الحرب عبر النوافذ العالية، بينما جلس الإخوة الثلاثة حول الطاولة الرخامية الثقيلة.

كان الصمت يخنق الأنفاس، يقطعه فقط صوت السعال الحاد المكتوم الذي كان يخرج من جوف آياتو، وهو يطوي منديله المدمى بكفين ارتعشتا تحت ثقل الفاجعة. رفع والتر عينيه المجهدتين، وجسده كاملاً ينبض بالمرارة، ليقول بصوتٍ مبحوح يقطر أسي: "إيرنست... لم يستحق القتل بتلك الطريقة البشعة. نعم كان قاسياً، ونشأ في ظلال الأطماع، لكنه كان أكثرنا تعلقاً بذكرى أمنا... طوال حياته لم يبتغ سوى نظرةٍ منها، ليتلقى سيفها في قلبه على يدها فور أن وجدها."

اطرق رايتو رأسه، ومسح بأصابعه على مقبض سيفه المكسور، ونبرته الحادة تخفي شخيراً من الوجد المكتوم:

"قتلت ابنها لكي تنقذك يا آياتو... لكن موته ترك في أرواحنا جميعاً شرخاً لن يندمل. لقد مات بكسرة قلبٍ أشد هولاً من السيف الذي اخترق ظهره."

أغمض آياتو عينيه، ودمعة دافئة تسلت عبر شحوب خده المدمى، يشهق بنحيب صامت،
بينما كسر صرير الأبواب الفولاذية العاتية حداد الحجر، مع دخول فارسٍ يحمل رقاً جليداً
مختوماً بالشمع الأسود.

جثا الفارس، وقدم الرق ل والتر قائلاً:

"رسالة عاجلة من الملك هوارد... إمبراطور باكوغو يطلب معاهدة سلمٍ شاملة فورية مع
كايدي."

رفع رايتو حاجبيه بشرٍ مستغرب، بينما فتح والتر الرق ليقرأ بنود السلم. كانت أركان باكوغو
ترتعد رعباً بعد أن شهد هوارد دمار لاود الماحق ومحو قلعة سلفينا على يد آياتو، ليقرر
تقديم الوداد وتجنب المصير الذبيح.

قبل أن يكمل والتر القراءة، قفز آياتو من مقعده بحركةٍ مباغته أطارت الكرسي للخلف.
اشتعلت عيناه المحمرتان ببريقٍ جنوني، وتأوه وهو يضرب قبضته على الطاولة بقوة أحدثت
فيها شقاً:

"لا سلم مع هوارد! أبلغوا رسوله أن الحرب القادمة ستكون عند أبوابه، وأني سأحرق باكوغو
عن بكرة أبيها!"

استقام والتر بجسده الثقيل، ونظراته تفيض بصرامةٍ ملكية جديدة، وقال بصوتٍ قاطع هز
جدران الحجر:

"اجلس يا آياتو! أنت لست الملك هنا بعد الآن."

التفت آياتو نحو أخيه بنظرة ذهولٍ جلي:

"ماذا قلت؟!"

"أنا الملك الآن"، قال والتر بصلافة، وهو يضع التاج الذهبي أمامه على الرق المختوم. "ولن

أوقع مرسومًا يجر كايدي إلى حربٍ جديدة وهو جاء، ولا يوجد سببٌ واحد يدفعنا لسفك

الدماء مع باكوغو بعد أن طلبوا السلم."

تحدثت عينا آياتو بالقسوة، واقترب من والتر وعروق رقبتة تنتفخ بالدم المسموم، ونبرته

تصعق الحاضرين بالغضب:

"أليسيا... هذه قرارات أليسيا، أليس كذلك؟! أنت تخاف على عائلتها الملعونة في باكوغو!

ترفض حماية شرفنا لأنك لا تريد أن تجرح حبيبتك!"

رفع والتر رأسه بكل كبرياء، ولم يتردد ثانية واحدة وهو يشخص بعينه في وجه أخيه:

"نعم! أليسيا حبيبتي، ولن أسمح بذبح عائلتها أو تدمير وطنها بلا سبب. لن أكون سبباً في

بؤسها يا آياتو!"

اندفعت الشياطين في رأس آياتو، وسعل سعلة مدمية أطرقت رأسه، قبل أن يصرخ بوجه

والتر وهو يلعنه ويشتمه بكل جوارحه:

"اللعنة عليك يا والتر! تباً لك ولعاطفتك الجبانة! أنا من قدمتُ لك العرش على طبقٍ من

ذهب! أنا من تنازلتُ لك عن الملك والمجد وتجرعت الموت في السهول! ألا يمكنك

التضحية بأعدائنا من أجلي؟ ألا تملك ذرة امتنان لما قدمته لك؟!"

لم يتراجع والتر خطوة واحدة. انحنى وقبض على حافة الطاولة، ورّد بصراخٍ هز القاعة وقطع حشجة آياتو:

"ولماذا أضحي بحبيبتى وبحياتي لأجلك؟! ألم تكن أنت من يضحي بالعرش والجناحين وشرفه ودمه وحياته لأجل أماليا؟! ألم تكن تراني وترى رايتو نتوسل إليك لنتوقف، وكنت تضرب بحديثنا عرض الحائط من أجلها؟! أنا سأفعل المثل تماماً! سأحمي أليسيا وأضحي بكل شيء من أجلها كما فعلت أنت مع أماليا!"

تجمّد آياتو في مكانه، وانفجرت شفاته المدميتان دون أن تخرجا حرفاً. كان كلام والتر كصفعةٍ من الصخر أعادت ذكريات خطيئته وتضحياته الخائبة لأجل أماليا.

ساد الصمت الثقيل بين الأخوين، ونفسهما يتردد كصخب الرياح، بينما كان رايتو يراقبهما بوجومٍ وقبضة مضغوطة.

تجهّم وجه والتر، وأرسل زفرة حارة محملة بالحزن والقسوة، ثم تقدم خطوات ووقف أمام آياتو المترنح، لينطق بشرطه القاطع الذي صاغه كالاتفاق الأخير:

"إن كنت أعمى بالانتقام وتصر على شن الهجوم على باكوغو... فلديك خيارٌ واحد يا آياتو. رفع آياتو عينيه الذابليتين بنظرة استفسارٍ مجهدة.

واصل والتر بنبرة جافة كالجليد:

"سأصدر أمراً عسكرياً بالهجوم على باكوغو... فقط إذا استسلمت، وقتلت أماليا بيدك فوراً." اتسعت عينا آياتو بذعر.

تابع والتر قوله دون رحمة:

"بقتلك لأماليا... سنتعادل في التضحية؛ أنا أضحي بحبيبتي وأفتح حرباً على أهلها، وأنت تنهي

المسخ الذي يقتلك. وحين تفارق أماليا الحياة... ستتوقف الطاقة المسمومة التي تنزف بها

أحشاؤك، وتستعيد قوتك العتيدة وسحرك الملكي، لتستطيع حينها هزم باكوغو والمشي في

صدارة الجيش كما كنت."

انكمش صدر آياتو، وتراجع خطوتين إلى الخلف، يجر قدميه الذهيلتين وعيناه تنهمران

بالدموع المريرة فور إدراكه للشرط المرعب؛ أن ثمن تأره وحربه هو قطع رأس حبيبته بيده،

ليستعيد قوته فوق ركام قصتها المأساوية.

الفصل الأربعون: خناق المنتهى

انحسرت الأضواء عن ممرات القصر، ولم يتبق سوى سرداب الأسفل، حيث تتنفس الجدران الحجرية رطوبةً يابسة تشبه أنفاس المقابر. كانت المشاعل على الجوانب تبصق شراراً باهتاً، يلقي بظلالٍ متراقصة على الوجوه الأربعة التي انحدرت السلم الحجري: والتر، رايتو، أليسيا... وآياتو الذي كان يتقدمهم بخطى ثقيلة، مصلوبة بكبرياءٍ مكسور.

عند نهاية الممر، كانت أبواب زنزانة الفولاذ الثقيلة تنفتح تحت وابلٍ من الضربات الخافقة. خلف القضبان المتينة، كانت أماليا تجثو فوق البلاط المدمى. لم تكن الصورة تشبه تلك الفتاة العاجية التي أحبها البلاط؛ كان شعرها الفاحم يتلوى كأفَاعٍ مسمومة، وعيناها قد غرقتا في سوادٍ مطلق خاوٍ من الرحمة. تحركت أنيابها المستطيلة بحشجةٍ مرعبة، وأظافرها تنغرس في الرخام لتحدث صفيراً يفتت العظام، تزمجر برغبةٍ افتراسية عاتية كلما شمت رائحة الدم الملكي العليل المنبعث من جسد آياتو.

توقف آياتو عند العتبة. كانت يده المرتجفة تقبض على المفتاح النحاسي الثقيل، ووجهه المغسول بشحوب الموت يعكس هدوءاً قاتلاً... هدوء العاصفة التي أدركت مقره النهائي. انحنى آياتو ببطء، ووضع جبهته على القضبان الحديدية الباردة، على بُعد سنتيمترات من فك أماليا المفترس الذي كان يطرق الفولاذ محاولاً التقام لحمه.

"أماليا..." همس آياتو بنبرة خفيضة، أثيرية، شقت صمت السرداب برعشة تحبس الأنفاس.

"أبصرتك في طهرتك المنسي... وأبصرتك في هذا الجحيم المظلم. وما زادني هذا الظلام إلا يقيناً بأنني لم أعرف الحياة إلا بين يديك."

تراجعت أماليا لكسر من الثانية، وأطلقت زئيراً مزمجرأ هز السرداب، وضربت السلسلة النحاسية بالسقف، والشرر السحري يكوي جلدها المشوه.

اقترب آياتو أكثر، ولم تطرف له عين. انحنى يتأمل ملامحها الممسوخة بحنانٍ يمزق الروح، وتابع ودمعة حارة تشق الدم المتجلط على خده:

"صنعتُ منك مسخاً حين أردتُ استبقاءك... واليوم أهبك حريتك الأخيرة. لا تبكي يا ملاكي الراحل فور أن تستفيقي من هذا الكابوس... فالدم الذي سينكسر على شفتيك الليلة، هو أصدق عقد حب كتبه الفناء."

وفجأة... تحرك آياتو بسرعة لم يتوقعها أحد.

أدخل المفتاح النحاسي في القفل الضخم، وأدار القفل بصريٍّ حاد. فتح الباب الفولاذي الثقيل، ودخل بخطواتٍ ثابتة إلى داخل الزنانة الضيقة حذو أماليا المقيدة، ثم سحب الباب خلفه بقوة وأغلقه بدوية صدمت السرداب، تاركاً المفتاح يستقر في قبضته من الداخل!

تسمر والتر في مكانه، واتسعت عينا رايتو برعبٍ لم يذقه في أي حرب، بينما شهقت أليسيا وتغطت فمها بكفيها.

"آياتو! ما الذي تفعله؟!" صرخ والتر بنبرة هستيرية، واندفع نحو القضبان يضرب الفولاذ بكلتا يديه والدموع تتفجر من عينيه. "افتح الباب! باسم السماء افتح هذا الباب الملعون واخرج من هناك! اقتلها فقط يا أخي."

تراجع رايتو خطوة، وسيفه المكسور يسقط من يده المرتجفة على الأرض، وجسده كاملاً يرتعد بالجنون:

"آياتو! هل جنت؟! أخرج فوراً! هذا ليس قصاصاً، هذا انتحار!"
التفت آياتو نحوهم عبر القضبان.

كان يبتسم... ابتسامة ساحرة، نقية، خالية من أي وجع أو خوف، كأنه عاد ذلك الفارس الذهبي الذي ملك القلوب قبل أن تمزقه الأقدار. رفع يده المدماة، ولامس بها القضبان، وقال بصوتٍ ينساب كالموسيقى الجنائزية:

"لا أستطيع خيانتها يا والتر... ولا أستطيع أن أتركها تموت بيدك رايتو. لقد ضحيْتُ بعرشي وجناحيّ لأجلها... وسأهبها الآن تضحيتي الأخيرة."

اتسعت عينا والتر بالنحيب المرير:

"آياتو... أرجوك!"

نظر آياتو إلى عينيّ أخيويه، وهمس بكلماته الأخيرة التي حفرت في جدران القصر للأبد:

"أنا... أحبها."

استدار نحوها ببطءٍ شديد، وكأن الزمن قد توقف في تلك اللحظة القاتمة. رفع المفتاح النحاسي الثقيل بعينين تفيضان بسكونٍ خرافي يتجاوز هول الموت، وألقى به بعيداً في عتمة الزنانة، ليرتطم بالبلاط الحجري بصوتٍ جاف كأنه صدى المسمار الأخير في نعش حياته. تطلع إليها وهي ترتبض أمامه كالمسخ الثائر، واختلجت حدقتاه بحزنٍ أثيري، مأساوي، يمزق الروح قبل الفؤاد.

"كلما حاولنا الاقتراب... " همس بصوتٍ مكسور يتردد بين الجدران الباردة كنشيج جنازةٍ منسية، "كانت السماء تصبُّ بيننا بحاراً من الدم. كأن الأقدار لم تُخلق إلا لتجعل من حبنا مأساةً تبكيها السلالات... كلما أردتُكِ وطناً، جعلتُكِ الأيامُ لي مقبرة، وكلما التقت أيدينا، انشقت الأرض بيننا ليفرقنا الموت."

رفع وجهه المدمى نحو الظلام العالي، واختنق بضحكةٍ ذابلة تساقطت معها دموعه الحارة كالجمر، ليصرخ بنبرةٍ شقت صمت السرداب وأدمت قلوب الواقفين:

"فلتُلعن الأقدار! ولتُلعن العروش التي سِفكت لأجلها أرواحنا! إن كانت السماء قد حرمتني من أن أحيا بجواركِ في الضوء... فلن تملك الأقدارُ قوةً تمنعني الليلة من هذا العناق الأخير، ولو كان ثمناً له أن أصير في عينيكِ أشلاء!"

ثم... أخرج خنجره، وبحركة واحدة، حطم أقفال السلاسل السحرية المقيدة لأمالها! سقطت السلاسل الثقيلة على الأرض بصليخٍ مرعب.

في تلك اللحظة القاتلة... انطلقت أماليا كالشرارة المسمومة. لم تكن ترى عشيقاً ولا ملاكاً؛ بل رأت طعيمةً ضارية تعج بالدم الملكي. انقضت عليه بصرخةٍ وحشية هزت أركان القصر، وغرزت مخالبتها الاستثنائية مباشرة في حنجرة آياتو وصدره!

"آيبيبييااااتووو!"

انطلق صراخ أليسيا بعويلٍ مدمٍ يفتت الصخر، وسقطت على ركبتها أمام القضبان تبكي بحرقةٍ وتملاً المكان بالنحيب والهستيريا، بينما كان والتر ينطح رأسه بالفلواز صاخباً، ورايتو يمزق ثيابه ويداه تحاولان فتح الباب العاتي بلا جدوى.

داخل الزنزانة... كان المشهد مأساةً تخر لها العروش.

سقط آياتو على ظهره فوق الرخام، وأماليا ترتبض فوق صدره، تمزق لحمه وتنهش عروقه بجوعٍ جنوني. كانت الدماء القانية تتدفق رذاذاً يغطي وجهها وثوبها الأبيض، والعظام تتكسر تحت مخالبتها.

ورغم ذلك... ورغم الهول والألم الذي يفتت الأحشاء، لم يصدر من حنجرة آياتو صراخٌ ألمٍ واحد.

رفع كفه المدمية، المهروسة بالأظافر، وبجهدٍ أخيرةٍ خرافي، وضعها فوق خد أماليا الملطخ بدمائه. مسح على شعرها برفقٍ حنون، وشفته المشققتان تنفرجان عن ابتسامة رومانسية، ذابلة، تسيل منها دماء النزاع الأخير.

ثبت عينيه الغائرتين في عينيها المظلمتين، وهمس بأنفاسه المتشظية، القاطرة بالدم:

ما أجمل أن أكون ضحيتك يا ملاكي..."

تراخت يده المدماة، وسقطت فوق البلاط السحلي بصوتٍ خفيض.

انسكبت الدماء الملكية تغطي أرجاء الزنزانة، بينما واصلت أماليا تمزيق جسد ملاكها الأسود

الحامي إلى أشلاء وسط عويل أليسيا الهستيري وصراخ الأخوين اللذين جثيا عند العتبة،

يدفنان وجهيهما في الثرى والدموع، يشهدان الموت الأشد هولاً ومأساوية في تاريخ كايدي؛

موت الملك الذي افتدى حبيبته بروحه ودمه وجسده، ليبقى رماد حبهما حكايةً تبكيها

السلالات.

الفصل الحادي والأربعون: نجا الجسد ومات القلب

سكن كل شيء بكتلةٍ واحدة من الصمت الجنائزي المرعب.

تلاشت حشجة الموت العنيفة من جوف آياتو، وتوقفت قطرات الدم المسكوبة على بلاط الزنانة عن الجريان إلا من خيوطٍ دافئة باردة تخثرت بين شقوق الرخام. كانت أماليا ترتبض فوق الجسد المسكن، ومخالبها التي تشبعت بالدم الملكي تقطر رذاذاً أحمر قانياً.

وفجأة... شقّ الظلمة صوتُ انكسارٍ أثري، يشبه تهشم الزجاج المسموم في أعماق الأرض. انبعثت من جثة آياتو الممزقة شعلَةٌ خافته من الضوء الفضي—آخر بقايا سحره الملكي الذي كان يغذي التعويد المحظور. تبددت الهالة السوداء التي كانت تلف جسد أماليا كالدخان المطرود بالرياح، وانطفأ البريق الأحمر المسموم في عينيها دفعةً واحدة.

استرخت عضلات رقبتها المتصلبة، وانكمشت الأنياب والمخالب الاستثنائية ببطءٍ مؤلم، متراجعةً لتعود إلى شكلها البشري الشاحب.

رمشت أماليا بجفניה الثقيلين كمن يستفيق من غيبوبةٍ عاتية امتدت لقرون. تسلت البرودة إلى أطرافها، واشتعل جوفها برائحة حديدٍ حادة ومألوفة... رائحة الدم. رفعت يديها ببطءٍ أمام وجهها.

كانت كفاهها مغطاتين بالكامل بدمٍ دافئ، تتخلله قطعٌ صغار من لحمٍ ممزق وقماش ثوبٍ
أسود مهشّم. امتدت نظراتها المذهولة، المتلعثمة، نحو الأسفل... نحو الشحوب القابع
تحت ركبتيهما.

تسمرت حدقتها العاجيتان.

كان آياتو.

كان ملاكها الأسود، حاميهما، وملكها العليل... ممدداً تحتها كجثةٍ محطمة. وجهه الوسيم
مغسولٌ بدمائه الخافقة، ودرعه الفضي مكسورٌ وممزق الصدر، وعيناه العميقتان مفتوحتان
بجمالٍ أثيري، تحدقان في الفراغ بابتسامةٍ ذابلة، نقية، انطبعت على شفثيه الشاحبتين حتى
النزع الأخير.

"... آياتو...؟"

خرج الصوت من حنجرتها كشهقةٍ غريقٍ يختنق بالماء والتراب. انفرجت شفثاهما
المرتجفتان، ومدت أصابعها الملطخة بدمه لتلامس خده البارد.

لم يجُبها. لم يتحرك نبضه، ولم تصدر من جوفه تلك الحشرة المألوفة التي كان يطمئنهما
بها كلما أرهقه السعال.

تلمست أماليا صدره المفتوح بذهولٍ جنوني، وانغرزت أناملها في دمه الزاكي، ليتردد في أذنيها
صدى ذكرياتٍ ضائعة؛ صوته وهو يعترف بحبه بصريح العبارة، اعتصاره لأجله في كوخ

انطلقت من أعـمق نقطة في روحها صرخةٌ مدمية... صرخةٌ لم تكن صوتاً بشرياً، بل كانت عويلاً يفتت الصخر وينخر العظام.

ألقى جسدها بنفسه فوق جثته المحطمة، وتمرغت بجهدٍ هستيري في دمه المسكوب،

"أنا آسفة! أرجوك استيقظ يا ملاكي! لا تتركني في هذا الظلام وحدي! خذني معك... لا تدعني أعيش بيدين قتلتا روحك!"

انهارت أليسيا كلياً؛ سقطت على الأرض الرخامية، وجسدها يرتعد بنشيج متواصل، تغطي

أما والتر، فقد استند برأسه على القضبان الباردة، ودموعه تنهمر بغير انقطاع، يضرب جبهته بالفولاذ في صمّتٍ مكسور، يتأمل جثة أخيه الأكبر الذي افتدى حبيبته بأبشع طريقة ممكنة، تاركاً إياه تحت ثقل التاج والذنب.

وجثا رايتو بجانبه، ممسكاً بسيفه المكسور، ويداه ترتجفان بذهولٍ قاتل؛ كان الفارس الذي لا

يخشى الحرب يرتعد كالطفل أمام جثة الملك الذي فضّل الفناء والتمزيق على أن يعيش في

عالمٍ يخلو من آماليا.

ساد العويل والصراخ أرجاء السرداب، ليختلط بكاء آماليا الهستيري بنشيج الإخوة، محولاً

القصر الإمبراطوري إلى مرثيةٍ أبدية تُكتب بدم الملك الأسود الذي تحدى الأقدار ومات بين

يدي من أحب.

مرّت السنوات على باكوغو، لكنّ الزمن لم يمحُ أثر تلك الليلة؛ فقد تضمّدت جراح المملكة وعادت الحياة تسري في أزقتها، وارتفعت راياتها فوق الأبراج، وامتصّ الصمت صخب الحرب القديمة. غير أنّ القصر، بكل ما فيه من جلال وحرس ومستشارين، ظلّ يحمل ثقلًا خفيًا، وفراغًا شاسعًا تركه رجلٌ واحد، كأنّ الجدران ذاتها ما زالت تترقب خطواته .

اعتلت أماليا عرشها من جديد، غير أنّ السنوات نحتت في شخصيتها ملامح امرأة أخرى؛ أكثر سكينَةً، وأشدّ صلابة، تتقن حبس ما يدور في أعماقها. تعلمت أنّ بعض الفقد لا يزول مع الوقت، بل يتحول إلى ثقل ينسجم مع الروح حتى يعتاد المرء حملة . لم تكن تُكثر من ذكر آياتو؛ لم تكن بحاجة للحديث عنه، فحضوره داخلها كان أكبر من الكلمات. غير أنّ خطي أماليا كانت تبطئ كلما مرت بالساحة التي شهدت معركته الأخيرة، تلتفت عيناها نحو المدى لثوانٍ معدودة، ثم تتابع سيرها بصمت، كأنها تقاوم أملها الدفين في أن تلمح ظله ينبثق من بين العتمة كما كان يفعل دائماً .

وفي كايدي، واصل والتر قيادة مملكته، غير أنّ ذكرى آياتو لم تغادره قط؛ لم يذكره كحاكم سائد أو ساحر لا يُقهر، بل كأخٍ اختار أن يفتدي بقاءه من أجل من أحب، ليبقى ذلك القرار جرحاً غائراً في وجدانه . أمّا رايتو، المتمرس في أحلك المعارك، فكان يقف عاجزاً أمام مشهد واجهه مرة واحدة ولم يستطع تجاوزه: أثر أخيه وهو يتلاشى أمام عينيه، مخلفاً سيفاً مكسوراً وصمتاً أطبق على الجميع . أما أليسيا، فظلت الظل الوفي لأماليا، وكانت الوحيدة التي تدرك أنّ السكينة التي تظهر على الملكة نهائياً تتلاشى ليلاً، حين تستيقظ أماليا في العتمة تحديق في

الفراغ، كأن صوتاً مألوفاً ناداها ثم تلاشى. وهكذا تنساب الأيام وتتوالى الفصول، تتبدل الوجوه وتطوي الأرض أسرارها، بينما يبسط اسم آياتو جذوره في أفئدة من عرفوه، وتستقر في

أعماق آماليا حيرة لا تهدأ: هل كانت تلك بحق هي النهاية؟

وفي صباح ساكن، استقرت آماليا في شرفة جناحها، تتأمل خيوط الشمس الأولى وهي تكسو أسوار باكوغو، بينما يداعب النسيم الستائر وترتشف قهوتها بمهل. وفجأة، حطّ على حافة الشرفة طائر أسود داكن، ذو ريش لامع وعينين تنبضان ببريق أخضر غامض. تأملته لبرهة، ودون أن يتردد، تحرك الطائر واستقر على كتفها. وبينما رفعت يدها لتبعده، مال برأسه نحو أذنها، وانبعث منه همس خفيض، مألوف، يستحيل أن تخطئه ذاكرتها: "أنا عائد إليك..."

تجمّدت أنفاسها في صدرها .

فقد كان ذلك الصوت...

صوت آياتو...

النهاية